قصص الحيوان فى القرآن

الأستاذ الدكتور
خالد الزواوى

مؤسسة حورس الدولية

الزواوي ، خالد

قصص الحيوان فى القرآن - د. خالد الزواوي -

الإسكندرية : مؤسسة حورس الدولية للنشر ، ٢٠٠٧

٢٨٢ ص ؛ ٢٥ سم

تدمك ٢ ١٥٧ ٣٦٨ ٩٧٧

١- قصص القرآن - قصص الأطفال

أ - العنوان

٢٠٠٧/٢٢٩,٥

٢٠٠٧-٢٠٠٨

مدير النشر

مصطفى غنيم

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٧ / ٢٢٨٣

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-368-157-2

الإخراج وفصل الألوان

وحدة التجهيزات الفنية بالمؤسسة

جمع كمبيوتر : رحمة الشيخ

جرافيك : أحمد أمين

مؤسسة حورس الدولية

للنشر والتوزيع

١٤٤ ش طيبه- سبورتنج - الإسكندرية

ت.ف : ٥٩٢٢١٧١ - ت ٥٩٣٠٥٩٨

الأطفال هم رجال المستقبل وقادة الأمة ، وتكوينهم الثقافى فى الصغر هو أساس توجيه فكرهم فى مستقبل حياتهم ، وخير ما يقدم لهم لتكوين بنيانهم الثقافى هو القصة الهادفة التى تجذب الانتباه ، وتشرح الصدور، وتربى القيم الفاضلة والأخلاق الكريمة ، وترسخ الحرص على طاعة الله عز وجل ...

إهـــداء

إلى أمي – رحمها الله –
فقد علمتني حب القرآن
فأسمعتها به حينا فحينا



الأطفال هم رجال المستقبل وقادة الأمة ، وتكوينهم الثقـافى فـى الصغر هو أساس توجيه فكرهم فى مستقبل حياتهم ، وخير ما يقـدم لهـم لتكوين بنيانهم الثقافى هو القصة الهادفة التى تجـذب الانتبـاه ، وتشـرح الصدور، وتربى القيم الفاضلة والأخلاق الكريمة ، وترسخ الحرص علـى طاعة الله عز وجل ...

للطيور والحيوان والحشرات وسائل للتفاهم – هى لغاتها ومنطقها – فيما بينها .

هل تستطيع الحيوانات الاتصال ببعضها مع البعض .. ؟

هل تستطيع الحيوانات والبشر الاتصال ببعضها مع البعض ..؟

هل تستطيع الحيوانات تعلم لغة الإنسان ..؟

إنه الله ...



مقدمة

منذ آلاف السنين والمحاولات تتوالى لتقسيم الكائنات الحية إلى مجموعات متماثلة لتسهيل دراستها ، والتعرف عليها وعلى علاقتها بنا، فقسمت الحيوانات مثلا إلى حيوانات ضارة ، وأخرى غير ضارة، وحيوانات تطير فى الهواء ، وحيوانات أخرى لا تستطيع الطيران، وحيوانات تؤكل ، وحيوانات لا تؤكل.

ثم قسم أرسطو الحيوانات إلى نوع ذى دم ، وحيوانات أخرى لا دم فيها ، وحيوانات تلد، وأخرى تبيض، ولم تقم تلك المحاولات فى التقسيم على أسس علمية، ولكن الأمر قد تغير بعدما تقدمت دراسة العلوم، وبدأ تطبيق التكنولوجيا الحديثة، ومن ثم حدث تعمق كبير فى دراسة تركيب الخلية، وما حدث من تطور سريع فى دراسة وبحوث الكيمياء الحيوية – الأمر الذى أدى بالتالى إلى تكشف الكثير من المعرفة والموضوعات الجديدة. وإمكان زيادة إبراز أوجه التشابه بين الكائنات، وإظهار التقارب فيما بينها. فقام العالم جون راى بأول محاولة لتصنيف الكائنات الحية على أساس علمى، هو التشابه والاختلاف فى الصفات الخارجية – كما وضع تعريفات للنوع على اعتبار أنه الوحدة الأساسية لتصنيف مجموعة من الأفراد لها صفات مورفولوجية متشابهة، وتتلاقى فى صفات آبائها .ووضع العالم كارل لينيوس، أسلوبا علميا للتصنيف مازال متبعا حتى يومنا هذا ويسمى التصنيف الطبيعى، فجمع الكائنات الحية التى تتشابه فى الشكل الخارجى فى تركيب الجسم فى مجموعة واحدة، مرتكزا فى ذلك على النوع كما حدده جون راى، وعلى اعتقاده بثبات الأنواع، وعدم تغيرها، بمعنى أن أى نوع لا ينتج إلا من نفس

نوعه، وليس من نوع اخر. وقد قسم لينيوس الكائنات الحية. بعد أن فحص الكثير من النباتات والحيوانات التى جمعها بكافة الطرق، وعلى أساس تشابهها فى الصفات الرئيسية – إلى مجموعتين كبيرتين : هما المملكة الحيوانية، والمملكة النباتية، ثم تلا ذلك أنْ قَسَّمَ كل مملكة منها إلى مجموعات متسلسلة بحسب تدرجها فى التشابه فيما بينها، فمن قبائل إلى طوائف، رتب، فصائل، أجناس ثم أنواع.

وقد جاء ذكر هذه الممالك فى القرآن الكريم، ليذكرنا أولا الحق تبارك وتعالى بقدرته على الخلق، وإبداعه فيما خلق، ونفعه من وراء ما خلق، وحكمته مما أوجد، ودعانا إلى التأمل والتبصر فى هذا العالم العريض، والوقوف على أسراره، وسبر أغواره، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (الغاشية ١٧). إنها دعوة إلى اكتشاف هذا العالم العجيب .. ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (النحل ٥).

والقصة لون من ألوان التاريخ، وهى أنواع .. فهناك الطرفة، وهناك النادرة فالأقصوصة ثم القصة والرواية، وبعد ذلك تكون السيرة، فنقول إذا أردنا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – وتكلمنا عنه : سيرة محمد، وليس قصة محمد.

والقصة ترتبط أحداثها بأزمانها وأماكنها، وقد لا يعرف الزمان والمكان، ولابد له من شخصيات يدور حولها الحوار، ولها عقدة ثم يكون الحل بعد ذلك فى النهاية..

ومعنى قصة جاء من قص الأثر، أى تتبعه واقتفى أثره، وهى تخبر عن حدث فى غاية الأهمية ليعرف الناس مغزاه ومقصده، وقد يأتى

المعنى على لسان طير أو حيوان أو إنسان يخبرنا به لنعمل بحكمته، ونقتدى به فى سلوكنا..

والأطفال أشد تأثرا بقيمة هذا الحدث، وما كان منه، ومن ثم فهم يتتبعونه ويلتفتون إليه، ويستنبطون الحكمة من ورائه، ويقتدون بما انتهى إليه.

ومن هنا لابد أن تكون القصة واقعية الأحداث، أو أنها يمكن أن تكون فى هذا الواقع حتى تمس جوانبهم، وتشبع حاجاتهم، وتلبى رغباتهم، وتملأ عليهم أحاسيسهم ووجداناتهم.. أما المعجزات والخوارق التى نراها فى القص القرآنى، فقد جاءت تحديا للمكذبين والمعرضين، وكانت لهم بمثابة آيات لصدق الدعوة والرسالة التى كلف بها الأنبياء والرسل، ثم هى تبصرة لمن لا يبصر، وتذكرة لمن لا يذكر، ومنها نستمد الحكمة ونتعلم الصبر، ونتبع الهدى.

وهنا يمكن أن نقول : إذا كانت الحكاية التى تروى للأطفال لا تكون ذات تأثير إلا إذا كانت تجنح إلى الخيال أو من الأساطير والخرافات كما نرى فى قصص ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وغير ذلك من هذا النوع من الخيال القصصى، فإن ذلك يخرجها عن حقيقة ما تهدف إليه .. صحيح نجد فيها تسلية وخيالا خصبا يشد السامع أو القارئ إليها ولكننا نهدف منها إلى تعديل السلوك، وغرس المبادئ، وترسيخ القيم والعادات، فكلما كانت القصة من الواقع أو من التراث أرست دعائمها على المتلقى، فأقبل عليها وافتتن بها، ولعلنا ندرك قيمة ذلك فى حياتنا لو اطلعنا على القص القرآنى بصفة عامة، وعلى القص الحيوانى منه بصفة خاصة، فكم

من راغب فى هذا القص أصبح على الطريق الصحيح بفضل ما خلصت إليه نتائج الأحداث التى تدور حولها القصة القرآنية..

وما أوردته فى هذا البحث من ضوء على عالم مليء بالعجائب فى تكوينه وسلوكه وطبائعه، ليفوق فى تصورى خلق الإنسان وسلوكه وتكوينه، ذلك أن المتأمل فى خلق الله يجد دهشة وعجبا من دقيق صنعه، وعظمة مقدرته فيما جعل لكل خلق ميزة وسببا، ومن أجل ذلك قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النور ٤٥)، وجعل لهذه الكائنات أرزاقها، ويعلم مستقرها ومستودعها: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود ٦).

وما يندرج تحت هذا العالم العجيب الكثير والكثير من الكائنات التى لا تعد ولا تحصى، ولا يدرى عنها من فى عالم البشر إلا القليل واليسير، لكن الله قد أحصى كل شيء علما، وكتاب الله مرجع لما فى كل هذه العوالم من أسرار وحقائق، فمن شاء فلينظر كيف شكلت هذه الكائنات كل فى عالمه الذى يعيش فيه، ولقد حرصت على أن أقدم بعض النماذج التى تكشف عن بعض الأسرار التى قد نكون عنها غافلين، ربما تدفعنا إلى البحث والتأمل والتبصر والتفكر فى ملكوت الله..

ومن ثم كان القص القرآنى عن الحيوان الذى وجدت فيه مادة شائقة للأطفال إذا أحسن تقديمها وعرضها الكبار، أو أقدم عليها من الصغار من أدرك ملكة القراءة، وأعمل فكره وعقله فيها..

د. خالد الزواوى

الفصل الأول

بلاغ ...

العنف ...

لماذا جاءت القصص على لسان الحيوانات؟

كليلة ودمنة

اقرأوا على أولادكم شيئا من القص الحيوانى فى القرآن، واجعلوهم يستمعون لما تقولون، فالاستماع وسيلة من وسائل التربية المهمة فى تكوين الطفل، وهى من الأساسيات التى لابد أن نوليها اهتمامنا فى تربية النشء قبل أن نعلمه القراءة والكتابة. فالاستماع أحد الوسائل المميزة التى كشفت الدراسات عن فائدتها فى تعلم الأطفال، وتكوين شخصياتهم وتوسيع مداركهم ومعارفهم، يتعود الطفل كيف يستمع، وأن يفكر فيما يستمع إليه، ثم يأتى دوره فى نهاية ما يسمع بالحوار عما قد يتردد فى خاطره من أسئلة يجاب عنها. فهذا النوع من طرائق التعليم والتدريس له فوائد عديدة للبناء النفسى للطفل.

فالاستماع له ما يميزه من كونه سردا لبعض الحكايات الهادفة فى بنية متماسكة مسوقة مع مخاطبة المستويات الشعورية واللاشعورية من الحياة النفسية للطفل، وهو الأمر الذى يساعده على التخيل، والتخلص من الانفعالات والذى يحقق التوازن النفسى له، ثم يأتى بعد ذلك دور تدريس المناهج الذى يكون مسبوقا أيضا بفترة يقضيها الفرد فى الاستماع.

وإذ يسهم الاستماع من التخلص من الانفعالات، وتحقيق التوازن النفسى للطفل، فإنه يماثل فى ذلك وظيفة الأحلام للصغار والكبار معا، من قدرتها على التخلص من الاضطرابات والضغوط النفسية، وإعادة التوازن النفسى للفرد، وهى تجعل المستمع يسبح فى خيال عريض يحقق فيه ذاته كأن يكون محدثا يوما ما أو قائدا أو ممثلا للمبادئ والأخلاقيات التى توحى بها القصص التى يستمع إليها..

وفى القصص التى يستمع إليها الطفل شخصيات تخاطب المستويات المرفوضة من أفكاره ومشاعره وأحاسيسه، وتطرح هذه القصص بعض المفاهيم الحياتية التى يقصر النمو العقلى للطفل عن إدراكها، وهذه المفاهيم يقترب بها القص الحيوانى فى القرآن من عقلية الطفل بنماذج مختلفة ومتعددة، ويحتاج الطفل إلى مثل هذه الصور والنماذج فى ممارسة حياته، وكم من كتابات وأقوال مأثورة لأدباء متميزين يذكرون فيها أهمية "الحكاية" فما بالنا والحكاية من القرآن الكريم؟!

وتكشف لنا الدراسات العلمية فى مجال التفكير الإبداعى، اعتماد تعليم مهارات هذا النوع من التفكير على إثراء الخيال، وإطلاق العنان له لتجاوز المحدود واللاممكن من الواقع إلى غير المألوف من الأفكار، فمهارة العصف الذهنى تعتمد على قدرة الفرد على التخيل، والاهتمام بالكم دون الكيف من الأفكار، وعدم إصدار الأحكام التى تحد من اقتراح غير المألوف وغير المعروف فيها.

ولقد كشفت نتائج الأبحاث عن مدى ارتباط ثراء الخيال- الذى ينتج من خلاله استماعه للقص - بالوصول إلى نجاح ملحوظ فى تفكير ذهن الطفل..

وهذا كتاب أقدمه للقارئ - صغير أو كبيرا - لكل المستويات للاطلاع على نماذج من قصص الحيوانات فى القرآن الكريم، علنا نقدمها لأطفالنا ونسمعها لهم، أو لعلهم يقرأونها فتكون لهم عونا فى الدنيا والآخرة لما تحويه من مفاهيم قد نكون نسيناها ونحن فى حاجة إليها، وقد تذكرنا

باليقين المبين الذى نسلكه ونعتمد عليه، إلى جانب ما ترشدنا إليه من سلوكيات قويمة لابد من التمسك بها.

الشائع أن الحيوانات "الناطقة" هى أكثر الصور إمتاعا للطفل، وتأثيرا فى مخيلته، وأن ما هو متخيل (منقطع عن العالم الأرضى وخارق) هو الأكثر أهمية. ويقال إن التربية الأولى يجب أن تبتعد عن الخرافة والأسطورة، وتقارب بين الطفل وواقع العالم الصلب والملموس، ولكن لماذا تظل الخرافات والأساطير الأكثر جاذبية؟

يقص "مالك حداد" روائى وشاعر جزائرى، قصة جميلة لطفلة. القصة موضوعها: السنجاب الأزرق الذى نجح فى المدرسة، وألح على والده أن يشترى له دراجة نارية كجائزة ، ويحاول الأب الحائر إقناع سنجابه الصغير بشراء أشياء أكثر أهمية وملائمة له كسنجاب حقيقي فيعرض عليه آلة موسيقية ويرفضها الصغير بحجة أنه لا يحتاجها لأن جارهم فى الطابق العلوى "بلبل" فيعرض عليه علبة ألوان، ويرفض أيضا، بحجة أن الطبيعة من حوله تمتلك أجمل الألوان، وهكذا تتواصل عروض الأب، ويتواصل الرفض. وعلى إيقاع هذا الحوار بين السنجاب الأزرق الراغب فى الدراجة النارية، والأب الذى يرى أنه لا ضرورة لها، وتنام الطفلة قبل أن تعرف ما الذى انتهت إليه الحكاية. فتسأل الأم الشاعر، وماذا بعد؟ ما نهاية القصة؟ فيرد قائلا ببساطة: أنا نفسى لا أعرف ما هى النهاية؟

من هذه القصة يبدو لنا أن السنجاب الصغير واقع تحت تأثير ما يسمى الاستهواء، أى أنه عبر عن رغبة خلقها لديه أساليب أخرى برغبات

وأحلام الأطفال، وهى أساليب ووسائل جعلت سنجابا مثله مؤهلا لتسلق الأشجار يحلم بامتلاك دراجة نارية.

وهكذا يمكن أن يكون الكبار قادرين على تشكيل رغبات خارجية حتى الأحلام، ولكن أحلام الطفل ورغباته، فى هذا البيت الذى تحول إلى فضاء تفلت من السيطرة والتحكم ، وليس هناك من كائن ينشأ على الأحلام، وأكثر التصاقا بها مثل الطفل..

يمكننا أن نجعل أطفالنا يحلمون بالمبادئ السامية، والأخلاق الرفيعة، والأساليب المهذبة والعادات الحسنة، نقص عليهم ما يرسخ من أذهانهم هذا السلوك، وما يحببهم فى تقليده، وما يمنعهم عن السوء والعنف، وما ينظر إليه على أنه مرفوض، وعلى الأسرة عامة، والأم خاصة أن تعى أهمية كل فترة من فترات مراحل طفلها، وكذلك متطلبات كل مرحلة من هذه المراحل. فالسنة الأولى تعتبر مرحلة تكوين حاسمة فى حياة الطفل، والسنة الثانية هى الفترة التى يحدث فيها النمو العقلى للطفل. إن ٥٠% من نمو العقل يحدث فيما بين الميلاد والعام الرابع، و٣٠% فيما بين العامين الرابع والثامن من عمر الطفل، أى ما يقرب من ٨٠% من النمو العقلى للطفل يكون قد اكتمل قبل بلوغه العام الثامن من عمره، و٢٠% يكتمل حتى العام الثامن عشر.

أما السنة الثالثة فهى الفترة التى يتم فيها شحذ حواس الطفل والتعلم. وفى السنة الرابعة تظهر سمات الشخصية ليتحدد إطارها، ويتضح معالمها عاما بعد آخر.

أما السنة الخامسة فهى الفترة الحيوية التى يتم فيها تكوين الضمير والوازع الدينى للإنسان، ومعرفة الحلال والحرام، والصواب والخطأ من خلال علاقته مع المحيطين به.

وفى السنة السادسة تبدأ معرفة الفرد نفسه حيث يدرك مزاياه وعيوبه. وفى السنة السابعة تبدأ الفترة الحرجة التى تتولد فيها اتجاهات الطفل عن الآخرين المحيطين به.

وفى السنة الثامنة تتكون العادات الحياتية التى تغرس فى أعماق الطفل. وفى السنة التاسعة تبدأ علامات الإبداع والابتكار من خلال إتاحة الفرصة أمام الطفل للحركة والنشاط.

أما السنة العاشرة فهى الفترة المثالية لاكتساب المهارات المختلفة، وفى السنة الحادية عشرة تبدأ فترة المراهقة، وفى الثانية عشرة يكون خيال الطفل خصبا للغاية، وفى الثالثة عشرة يمتلك الطفل ذاكرة ذهبية يجب استغلالها فى تنمية قدرته على التذكر. وفى الرابعة عشرة يحقق الطفل أقصى زيادة لثروته اللفظية واللغوية. أما سن الخامسة عشرة فهى سن العناد وعدم الطاعة – هكذا تقول د. سعدية بهادر، أستاذ علم نفس الطفل بمعهد دراسات الطفولة.

ولقد حرص الإسلام على الاهتمام بالطفولة، والعناية بها بوصفها الخلية الأساسية فى المجتمع، والتى إذا صلحت صلح المجتع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله.

إن أهداف تربية المسلم تختلف اختلافا أساسيا عن سائر النظم الأخرى، ومن هذا المنطلق يتضح أن الإسلام يعد أبناءه منذ الصغر،

ويربيهم ليكونوا قادرين على أداء الرسالة وعلى قيادة الإنسانية كلها، وإخراجها من الظلمات إلى النور.

إن تربية الطفل لا يمكن تصورها بمعزل عن التعاون المتبادل بين الأسرة والمؤسسات التربوية، وهناك تسابق يجرى فى العالم اليوم للعناية بالأطفال، وأسلوب إعدادهم بشرط أن تكون البداية من الطفولة المبكرة، وتبذل السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس حسنى مبارك قصارى جهدها فى سبيل الرعاية والعناية بالأطفال فى مجالات عدة صحية، وثقافية، وتعليمية. هذه العناية ليست مجرد رعاية طفل، بل إعداد للمجتمع، وتكوين لسلاح المستقبل، ولا يأتى هذا من فراغ، وإنما من دراسات وإعداد طويل محسوب ومكفول له الإمكانات، والضمانات التى تصل إلى الغاية المنشودة.

فلم يعد الاهتمام بالطفولة مجرد اهتمام بقطاع من المجتمع، بل هو اهتمام بالمجتمع، ولابد من مضاعفة الإنجازات بالأطفال حتى نملأ أبصارنا كل عام بصورة جديرة بالطفل العربى الذى يمثل جيل المستقبل.

ويجب أن ندرك تماما أن الأسرة هى الخلية الأولى التى تشكل ثقافة الطفل، وهى غالبا ما تكون ثقافته مستمدة من خلاصة البيئة التى ينشأ فيها الطفل، وهى ليست ثقافة معلومات فقط، بل هى أيضا ثقافة أخلاقية تشكل وجدان الطفل وضميره، وثقافة سلوكية يشكلها تقليد الطفل لمن يعتبرهم قدوة له، وثقافة اجتماعية يستمدها من علاقاته بالأقارب والمترددين على الأسرة وعلاقاتهم به.. فالعلاقة بين التربية والثقافة وثيقة الصلة.

يرى البعض أن كثيرا من المواد التى يقدمها (التلفزيون) كالأفلام والمسلسلات مسئولة عن انتشار العنف والرعب والجنس جذبا للمشاهد، فضلا عن أن معظم هذه المواد مستوردة لا تعبر عن بيئتنا وتقاليدنا مما يتطلب دقة شديدة فى اختيارها.

ورغم أن الانحراف ينجم عن مؤثرات متشابكة لها جذورها فى البيت، وجماعات الزملاء فى المدرسة والمجتمع، فمما لا شك فيه أن التعرض المستمر لبعض برامج التلفزيون فى بعض البلاد العربية يؤدى إلى العنف الذى هو الحل الأمثل لمشكلات الحياة.

وتعتبر ألعاب الفيديو من توابع اختراع التلفزيون. وهذه الألعاب سلاح ذو حدين، يمكن أن يكون نافعا فى اكتساب مهارات حركية وإدراكية إذا أُحسن اختيارها، وللأسف لم يوجد بعد المضمون العربى فى هذا المجال. إلا أن الخطورة تتمثل فى أن أكثر هذه الألعاب انتشارا تتطلب من الطفل أو اللاعب عامة القيام بأعمال تتسم بالعنف والخطورة، وهو عنف أكبر من الذى يعرضه التلفزيون.

ومن المعروف أن إحدى طرق التعلم هى التقليد بأن نلاحظ شخصا ما يتصرف فى موقف ما ثم نقلد هذا السلوك، وتكمن الخطورة حينما نتعلم العنف وأساليب ارتكاب الجرائم، ونقلد ما نراه على الشاشة.. فبرامج التلفزيون تقوم بدور رئيسى فى تكوين الصورة الذهنية للطفل، فقد نبه الكثيرون من الخبراء فى عالمنا العربى إلى أن الأسلوب المستخدم حاليا فى معظم الدول فى تعليم الطفل أسلوب التلقين والحفظ- أما أسلوب التعليم الذى يتيح الفرصة لأن يكتشف الطفل نفسه وعالمه، فهو الذى

يعتمد الحوار أسلوبا للتعليم، والملاحظة والاستنتاج والتخيل، ولا يكون هدفه حشو دماغ الطفل بالمعلومات، بل يعطيه الفرصة لتنمية شخصيته، ويدربه على كيفية التفكير وكيفية التعامل مع الآخرين، وتكوين العلاقات الإنسانية، واحترام الرأى الآخر.

يقول أنيس منصور: إذا بلغ الطفل الثامنة عشرة من عمره فيكون قد شاهد على شاشة التلفزيون ١٥ ألف جريمة، وربع مليون فعل عنيف – هذه إحصائية أمريكية عن الذى يصبه التلفزيون فى أعماق كل طفل. فكيف لا يكون لذلك أثر بليغ فى لسانه ويديه، وكيف لا تتلوث أخلاقه ومستقبل بلاده.

وفى بريطانيا تدل الأرقام على أن الطفل يشاهد يوميا التلفزيون والإنترنت خمس ساعات على الأقل. وقد دلت الدراسات النفسية والجنائية فى بريطانيا على أن العنف قد تضاعف، لأن المسلسلات (التلفزيونية) أصبحت مكثفة، وأن هناك تنافسا ملونا شرسا بين القنوات الأوربية والأمريكية. وأن هذا التنافس من أجل الانفراد بالمستهلك الذى (يتسمر، أمام الشاشة فيبتلع الإعلانات المثيرة المشهية عن كل احتياجات الطفل والشاب والأسرة، ثم تجىء نشرات الأخبار عن الموت والدمار فى كل الدنيا، وقبلها وبعدها تظهر أفلام تسجيلية عن الحروب التاريخية.

فلا يعرف المشاهد إن كانت الحروب تمثيلا أو كانت التمثيليات حروبا، فلا فرق بين القاتل هنا، والذى كأنه قاتل هناك.

وقد أجريت تجربة بسيطة على طفل صغير جعلوه يرى رجلا يحتضن تمثالا من الخشب لامرأة جميلة. ثم أدخلوا الطفل إلى نفس الغرفة، وتركوه وحده فأمسك التمثال وراح يعانقه ويقبله تماما كما فعل الرجل.

ثم جعلوا الطفل يرى هذا الرجل، وقد أمسك ساطورا وراح يحطم رأس التمثال.. ثم يقطع أصابعه. وبعد لحظات أدخلوا الطفل وتركوه وحده، فأمسك الساطور وراح هو الآخر يحطم التمثال وبعصبية..

لماذا جاءت القصص على لسان الحيوانات..؟

بدأت القصص الخرافية تعرف طريقها إلى الأدب – وخاصة تلك التى جاءت على ألسنة الحيوانات – منذ عصور ما قبل التاريخ . وقد انخرط هذا النوع من الأدب فى نسيج الفن الشعبى للأمم.

وجدت الحكايات الخرافية فى بداية الحضارة الإغريقية، وكانت تتميز بأنها قصيرة وعلى لسان حيوان فى الأغلب أو بعض ظواهر الطبيعة، وكانت تحمل فى طياتها دلالات أخلاقية، وتضم الأمثال والحكم، وحكايات المغامرات والأحداث العجيبة، وكان أشهر من أبدع هذا النوع من الأدب الحكيم والفيلسوف اليونانى "إيسوب" الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد، وقد عاش "إيسوب" فى حقبة كانت حرية التعبير فيها من المحرمات، فلجأ إلى الحيلة، فكان يدبر ويدبر حكاياته على ألسنة الحيوانات والطيور، والطبيعة ليوصل للناس بلاغة حكمته، وذلك ليتفادى المخاطبة المباشرة، والاصطدام المباشر بدوائر الحكم.

لكن كثيرا مما كان يقال على ألسنة الحيوان فى هذه القصص كان يفهم، ويتم استيعاب مراميه ومغازيه، فيتعرض الراوى أو الكاتب للبطش، ولسهام السلطة كما حدث مع هذا الفيلسوف اليونانى الذى لقى حتفه على يد سكان مدينة دلفى اليونانية إثر ما قاله فيهم، وفى حقهم.

وبعدها أصبح هناك حرية تعبير فى اليونان، واستخدم الناس هذا النوع من الأدب كنوع من أنواع التسلية والترفيه، وتعليم الأطفال. والطريف أن معظم الحكايات الخرافية التى جاءت عن الحضارة الإغريقية، وحتى قبل "إيسوب" ربما فى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد نسبت إلى إيسوب. وقد احتار الباحثون فى هذا الفيلسوف والحكيم، فبعضهم يعتقد أنه ليس له وجود، ويرى فريق آخر أنه شخصية أسطورية لها سند في الواقع أما الفريق الثالث ومنهم هيرودوت فيؤكد أنه شخصية حقيقية غير أسطورية، وأنه كان عبدا فى أثينا، وأعتقه سيده. وأيا ما كانت حقيقة إيسوب، فإن تلك الحكايات التى تنسب إليه حقيقة ملموسة حفظها التاريخ، وترجمت إلى لغات كثيرة.

ومن أشهر هذه الحكايات: "الإوزة التى تبيض ذهبا" وقصة "الأسد والفأر"، و"الفتى والذئب، وغيرها من القصص والحكايات التى تحولت الآن إلى أشهر قصص الأطفال فى الأدب العالمى.

ومن أشهر الشعوب التى أخرجت هذا النوع من الأدب كذلك الشعب الهندى، فقد لجأ الحكماء إلى استخدام الحيوانات لتوصيل القيم الإنسانية على ألسنتها إلى الناس، وكانوا يعتبرونها دروسا قيمة للكبار قبل الصغار، ومن أشهر من لجأ إلى هذا النوع من الحكايات المصلح الأخلاقى الكبير – ساكاياموتى أو بوذا.

وقد اختلفت القصص الخرافية فى الأدب الهندى عن مثيلتها الإغريقية بما كان يتخللها من بناء درامى رومانسى لتوصيل غاية القصة إلى قلوب الناس، وقد انتقلت تلك القصص الهندية إلى الأدب الفارسى، ومن العربية تمت ترجمة هذه القصص إلى اليونانية والعبرية واللاتينية.

ازدهرت الحكايات الخرافية فى أوربا فى العصور الوسطى، فظهرت مجموعة مهمة بقلم "مارى دى فرانس"، وبعدها ظهرت فى صورة أكثر تعقيدا سميت بملاحم الحيوانات مثل مجموعة الثعلب "دينار" وهو الذى كان يرمز إلى الدهاء الإنسانى، وقد استفاد الأدباء والشعراء من تلك الحكايات فى أعمالهم الأدبية والمسرحية، وهو ما يتجلى بارزا فى أعمال الشاعر الفرنسى "جان دى لافونتين" (١٦٢١-١٦٩٥).

تعتبر قصص لافونتين الخرافية علامات بارزة فى الأدب الفرنسي، وقد قال لافونتين : إنه استوحى قصصه من الأدب الإغريقى، خاصة حكايات إيسوب، بالإضافة إلى الأدب الهندى.

وقد كتب لافونتين ٢٣٠ قصة فى ١٢ كتابا، كل منها عبارة عن حكايات أو أمثولة قصيرة على لسان حيوان يتصرف كالإنسان، وفى حكاياته نظر لافونتين إلى الحياة والمجتمع بصورة تهكمية ساخرة، وكانت الحكاية عبارة عن حوارات جاءت على لسان الحيوانات أبطال القصة، وكل من هذه الحيوانات يعد رمزا إلى صفة من صفات الإنسان بأسلوب سهل لكنه عبقرى فى السرد والحكى، جاد لكنه خفيف الظل، ولعل هذه هى الأسباب وراء نجاح حكايات لافونتين وانتشارها، وصعودها إلى العالمية. فكان لافونتين أديبا فريدا بين معاصريه، وأعطاه استخدامه للحيوانات فى قصصه حرية فى التعبير، وتصوير القيم الإنسانية بطريقة بسيطة بعيدة عن التقعر اللفظى، وتحمل فى طياتها حكما بليغة، بعيدة كل البعد عن السطحية.

ومن أشهر من لجأ إلى استخدام الحيوان فى الأدب أيضا الكاتب الدانماركى "هانز كريستيان أندرسون" (١٨٠٥- ١٨٤٥م) فقد كان

أندرسون قارئا جيدا، استوعب الكثير مما أنتجته العقول النيرة فى مجال الحكايات الشعبية بما فيها التراث الشرقى كألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، وغيرهما. وكان متخصصا فى كتابة القصة للأطفال، وكانت قصصه مثل حكايات إيسوب ولافونتين، مطعمة أو قائمة بالأساس على الحكمة والموعظة والتعليم ولأن تشابها فى الظروف والمعطيات الحياتية يمكن أن يتكرر، أو يتوالد عبر الأزمان، فإن ما يصلح من حكايات فى هذا الزمان، أو ذاك فى إبلاغ درس وحكمة وعظة يمكن أن يفيد فى أزمان ومراحل تالية لشعوب عدة، فأعماق النفس البشرية الإنسانية لا تتغير، وتعريف الفضيلة والرذيلة ثابت منذ بداية التاريخ. لذا فإن تلك الحكايات التى تغوص فى أعماق النفس البشرية تتبادلها وتتناقلها الحضارات والثقافات عبر الحدود، وعبر الأزمان.

كليلة ودمنة

تعد حكايات "كليلة ودمنة" من أشهر الكتب الأدبية التى جرت على ألسنة الحيوانات، ويعود تاريخها إلى العصر التالى للإسكندر الأكبر، وأصلها من بلاد الهند، حيث كلف ملكها دبشليم، حكيم عصره، الفيلسوف الهندى بيدبا بوضع كتاب يخلد فترة حكمه، كعادة ملوك الهند آنذاك.. واشترط عليه أن يكون الكتاب لهوا وحكمة ليقرأه العلماء لحكمته والسفهاء للهوه. فكان هذا التكليف إرهاصة لتأليف الكتاب، وهو كتاب عظيم الأثر، أراد بيدبا منه أن يقول للملك: إن الملوك لا يستقيم لهم الأمر إلا بمواعظ العلماء، وآداب الحكماء.

ولم يكن أمام بيدبا من وسيلة لينقل هذه المعانى الجليلة إلى الملك دون أن يخشى بطشه وسطوته إلا أن يقولها على ألسنة الحيوانات، بأسلوب يجمع بين الفكاهة والمتعة والحكمة والفلسفة.. واختار بيدبا شخصيتين رئيسيتين هما ابنا آوى كليلة ودمنة وهما اسمان لثعلبين، ليكونا حجر الأساس لموضع كتابه. وربما كان لاختياره لهما على قلة شأنهما بين الحيوانات، وضعفهما البدنى مقارنة بالأسود والنمور والأفيال، غرض التنبيه على عدم التقليل من شأن الآخرين مهما كان ضعفهم، وعدم أخذ الأمور بظاهرها فقط، ولهذا أنطق كليلة ودمنة بالحكمة، ووضع اللهو والهزل على ألسنة الحيوانات الأخرى.

واختيار بيدبا للحيوانات أبطالا لقصصه ساعده على تحقيق مساحة كبيرة من الحرية فى التعبير عما يريد نقله إلى الملك دبشليم. ففى قصة الأسد والثور، التى افتتح بها الكتاب تحذير ممن يفرقون بين الأصحاب والأحباء، مثلما فعل دمنة حين دخل واشيا بالشر بين الأسد وصديقه الثور "شتربه" فكان تسرع الأسد فى قتل صديقه الذى أصابه بالندم حين علم الحقيقة، فانتقم من النمام دمنة بقتله.

وقصة القرد والغيلم (ذكر السلحفاة) خير مثال للرجل ينشد حاجة، فإذا ظفر بها أضاعها. وبالمثل نجد فى قصة الناسك وابن عرس نموذجا لعاقبة من يتسرع ويحكم فى عجالة دون أن يتثبت فى الأمر.

وعلى هذا المنوال يسير الكتاب عبر ١٥ بابا تضم شتاتا من القصص الحكيمة الهادفة. "كليلة ودمنة" التى عبرت حدود الهند لتصل سيرتها إلى فارس، حيث كسرى أنوشروان الملك المحب للعلم والحكمة، فكلف وزيره بزرجمهر بالبحث عن أديب يجيد اللغتين الفارسية والهندية

لينقل الكتاب إلى لغته، وكان أن كلف كبير أطباء فارس بروزويه بهذه المهمة، واضطلع بها الرجل على خير وجه.

وإلى ترجمة بروزوية يعود فضل تعريف قراء العربية بهذا الكتاب عبر كاتب فارسى تعلم اللسان العربى، وأجاده، وعد من رموز الأدب العربى فى العصرين الأموى والعباسى، هو عبد الله بن المقفع (٧٢٤-٧٥٩م) وقد كان والده أحد عمال الحجاج بن يوسف الثقفى، وحدث أن اختلس يوما بعض الأموال، فعاقبه الحجاج بالضرب على يديه حتى يقفعتا، ومن هنا جاءت تسمية ابنه بـــ "ابن المقفع" الذى جمع بين الثقافات الفارسية والهندية واليونانية والعربية..

وكان عبد الله بن المقفع، واسمه الحقيقي روزبه بن دازوية، يتبع المذهب المانوى المجوسي، وقد ولد بفارس، ونشأ بالبصرة، وفيها تلقى علومه، واتصل ببعض الولاة الأمويين، ثم أعمام الخليفة المنصور، وأشهر إسلامه- أو ادعى الإسلام - على يد أحدهم، ولم يخف يوما - حتى بعد إعلانه إسلامه - إعجابه بحضارة قومه الفرس، وتعصبه لهم، إلا أن تعصب ابن المقفع عاد بفائدة على الحضارة الإسلامية، إذ نقل إلى اللغة العربية كتبا فارسية كثيرة أهمها كليلة ودمنة.

وقد عد ابن المقفع من الدرر الثمينة فى البلاغة العربية فى العصر العباسى، حتى لقد نقل أبو الطيب اللغوى فى كتابه "مراتب النحويين" قول ابن سلام الجمحى، "سمعت مشايخنا يقولون، لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد، ولا أجمع، ولا كان فى العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع".

وقد وضح فى ترجمته لكلمة : "كليلة ودمنة" تأثره الشديد بألفاظ القرآن الكريم، ففى قصة ايلاذوبلاذوايرافت، نجد ما نصه: "إن الذى قوله واحد لا يختلف هو الله الذى لا تبديل لكلماته ولا اختلاف لقوله". وفى هذه العبارة استلهام للآية القرآنية الكريمة فى سورة يونس آية ٦٤ :﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وتوضح لنا هذه الاقتباسات وغيرها أن ابن المقفع لم يكن مترجما وحسب، بل مترجما أديبا، ولعل هذا ما جعل كثيرا من الباحثين يذهبون إلى القول بأنه زاد فى "كليلة ودمنة" بعض الفصول.

ومهما قيل أو يقال عن خيال ابن المقفع، أو موقفه السياسى بالتأثير على ترجماته، فإن أثر هذه الترجمات أكبر من أية هنات وقع فيها، خاصة وأنها فتحت بابا أمام الجيل التالى له لينقل إلى العربية الكنوز الثقافية للحضارات الأخرى، فكانت تجربته فى الترجمة خير مثال على تلاقح الثقافات.



الفصل الثانى

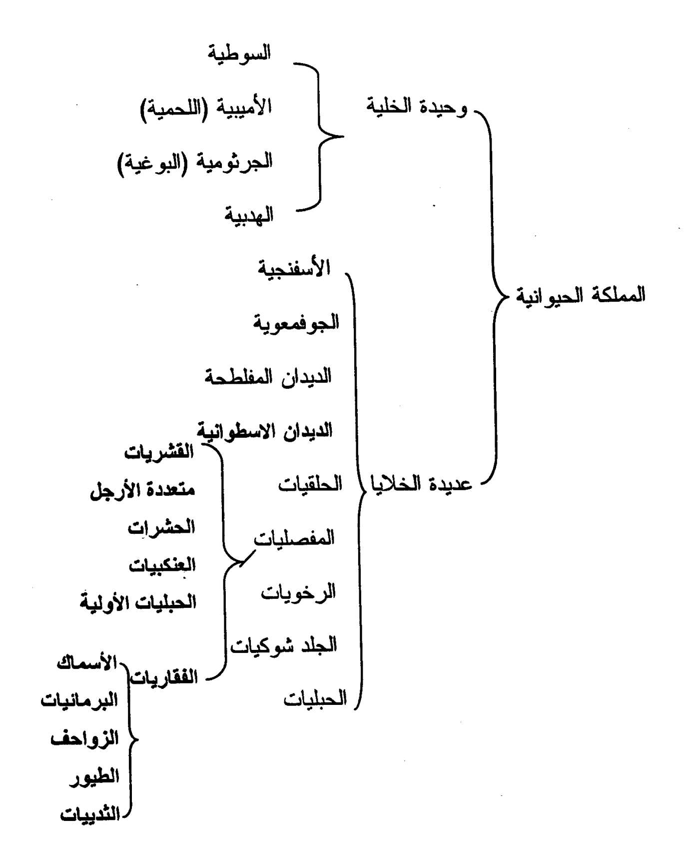
المملكة الحيوانية:

الحيوان

أقسام الحيوان

الإنسان والحيوان فى الإسلام

المملكة الحيوانية



الحيوان

اعتمد الإنسان البدائى على الحيوان فى الحصول على غذائه وملبسه، وفى المراحل التالية تعلم الإنسان تربية الحيوان والنبات، وبذلك ضمن موردا أكثر ثباتا لإشباع حاجته، ومن ثم أصبحت الحياة أكثر احتمالا، وأسهل عيشا. وقد بدأ الإنسان بزراعة وتحسين أنواع كثيرة من النبات، واستئناس وتربية أنواع مختلفة من الحيوانات للاستفادة منها فى مجالات شتى، فبالإضافة إلى أنها مصدر غذاء مباشر له، فإنه يعتمد على منتجات الكثير منها، وَيستعمل بعضها كوسائل للتنقل، أو لمساعدته فى الزراعة. ولا تقْتصر أهمية الحيوانات للإنسان فقط على الحيوانات الأليفة المعروفة، بل إن هناك أنواعا من الحيوانات البرية التى يستفيد منها الإنسان، ومن منتجاتها، سواء بصورة مباشرة، أو غير مباشرة.

على أنه بسبب زيادة السكان باستمرار، فإن الطلب يزداد باستمرار كذلك على الحيوانات ومنتجاتها، حتى وصلت الحالة حاليا إلى درجة الخطورة، الأمر الذى يستوجب التفكير جديا فى استخدام هذا المورد بصورة علمية ومدروسة تضمن المحافظة عليه واستمراره، فمثلا ترتب على زيادة السكان ضيق المكان، ونقص المأوى والغذاء الطبيعى المتوفر للحيوانات البرية، فضلا عن زيادة الطلب على الطعام، والمواد الأخرى ذات المصدر الحيوانى، الأمر الذى يهدد حياة الحيوان.

إن الخلق كله وحدة متكاملة الأجزاء، وأجزاؤها مترابطة ترابطا عضويا لا ينفك بعضها عن بعض ولا يحتفظ بعضها بسلامته إلا بفضل سلامة بعضها الآخر. إن التصرف الوحيد للحفاظ على وحدة الخلق المتكامل الأجزاء هو الذى يهدف إلى حماية التوازن والمقصود بالتوازن

هنا هو التعامل مع كل المخلوقات الجامدة والنباتية والحيوانية والإنسانية على الصورة التى أوجدها الله دون إفساد، ومع هذا التوازن البيئى تزداد فرصه الإنسان فى الحفاظ على سلامة المخلوقات.

والحيوان جزء مهم من أجزاء الخلق، حيث لكل جزء دوره فى الحياة، فالمبيدات الحشرية مثلا حينما تستخدم بغير علم، فإنها تبيد الحشرات النافعة كذلك، ومن ثم يتحقق الإخلال بالتوازن، وعليه إذا تم استخدام نتائج الأبحاث العلمية بطريقة عشوائية، كان الفساد، وتحقق عدم التوازن فى البيئة، ومن هنا فإن تدخل الإنسان للحفاظ على هذا التوازن، ومراقبته باستمرار هو الذى يحول دون استشراء هذا الفساد، ويجنب الحياة والأحياء مخاطره، فإذا استخدمت القنبلة الذرية بصورة غير واعية، هدد التوازن البيئى، ولا سبيل إلى تفادى ذلك إلا بالوعى الحضارى لدى الشعوب.

أقسام الحيوان : يقول الجاحظ:

الحيوان على أربعة أقسام: منه ما يمشى، وما يطير، وما يسبح، وما ينساح. إلا أن كل طائر يمشى وليس الذى يمشى ولا يطير يسمى طائرا. والنوع الذى يمشى على أربعة أقسام : أناس وبهائم وسباع وحشرات، على أن الحشرات راجعة فى المعنى إلى مشاكلة طباع الهبائم والسباع. إلا أننا فى هذا كله نتبع الأسماء الفارقة المعروفة.

والطير كل سبع وبهيمة وهمج. والسباع من الطير على ضربين: فمنها العتاق والأحرار والجوارح، ومنها البغاث وهو كل ما عظم من الطير سبعا كان أو بهيمة، إذا لم يكن من ذوات السلاح، والمخالب المعقفة كالنسور والرخم والغربان وما أشبهها، فأما الهمج فليس من الطير ولكنه مما يطير والهمج فيما يطير، كالحشرات فيما يمشى. والحيات من الحشرات وأى سبع أدخل فى معنى السبعية، من الأفاعى والثعابين. ولكن ليس ذلك من أسمائها وإن كانت من ذوات الأنياب، وأكلة اللحوم وأعداء الإنس وجميع البهائم، ولذلك تأكلها الأوغال والخنازير والقنافذ والغربان وغير ذلك من البهائم والسباع. فمن جعل الحيات سباعا، وسماها بذلك عند بعض القول والسبب، فقد أصاب ومن جعل ذلك لها كالاسم الذى هو العلامة كالكلب والذئب والأسد، فقد أخطأ.

ومن سباع الطير شكل يكون سلاحه المخالب كالعقاب وما أشبهها، وشىء يكون سلاحه المناقير كالنسور والرخم والغربان، وإنما جعلناها سباعا لأنها أكالة لحوم. ومن بهائم الطير ما يكون سلاحه المناقير، ومنه ما يكون سلاحه الأسنان كالبوم والوطواط وما أشبهها، ومنه ما يكون سلاحه الضياحى كالديكة، ومنه ما يكون سلاحه السلح كالجارى والثعلب.

والسبع من الطير ما أكل اللحم خالصا، والبهيمة ما أكلت الحب خالصا. وفى الفن الذى يجمعه من الخلق المركب والطبع المشترك كلام، والمشترك عندهم كالعصفور، فإنه ليس بذى مخلب معقف ولا منسر، وهو يلقط الحب، وهو مع هذا يصيد النحل إذا طار، ويصيد الجراد ويأكل اللحم ولا يزق فراخه كما تزق الحمام، بل يلقمها كما تلقم السباع من الطير فراخها، وأشباه العصافير من المشترك كثير، وليس كل ما طار بجناحين فهو من الطير، فالملائكة تطير ولها أجنحة وليست من الطير، وجعفر بن أبى طالب ذو جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء، وليس جعفر من الطير، والنعامة ذات ريش ومنقار وبيض وجناحين، وليست من الطير أيضا كل عائم سمكة وإن كان مناسبا للسمك. والفصيح هو الإنسان، والأعجم كل ذى صوت لا يفهم إرادته إلا ما كان من جنسه...

الإنسان والحيوان فى الإسلام:

لا يقتصر دور النبات على توفير الطعام للإنسان، وإنما يتعداه إلى بعض الحيوان الذى أحل الله أكله للإنسان. وفضلا عن ذلك، فإن ثمة حيوانا أبيح صيده كالطير فى السماء، والحيوانات البرية التى يؤكل لحمها، ويستفاد من شعرها وجلدها وعظامها وفى هذا يقول جل شأنه: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ (المائدة ٢) ، ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ (المائدة ٩٤).

كما يقول عز وجل : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ

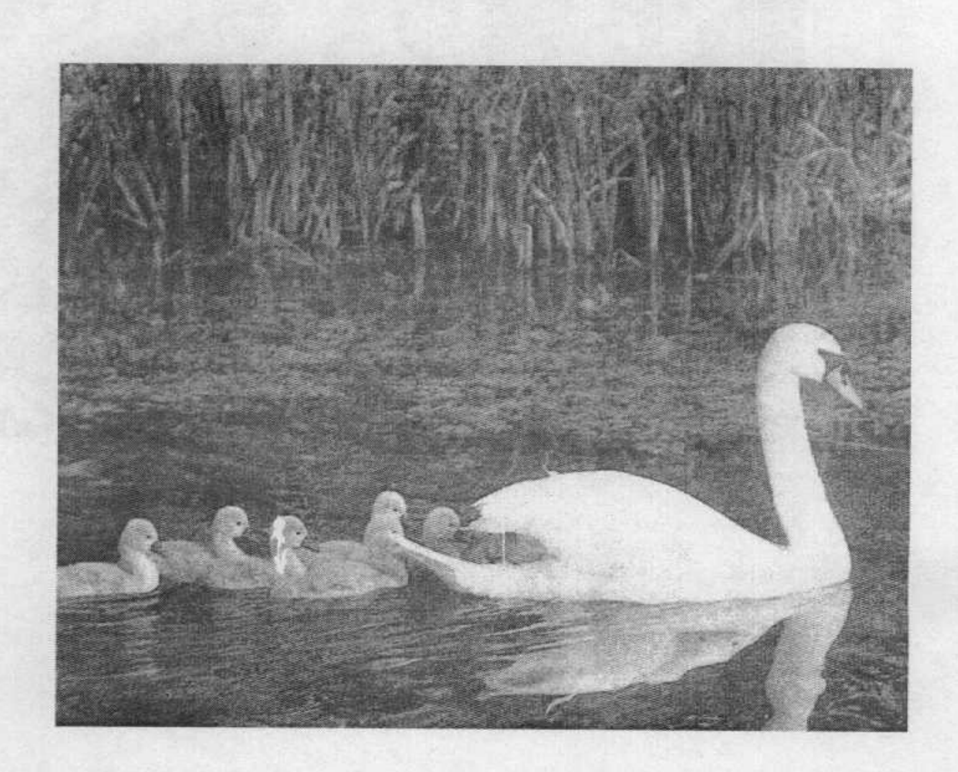
فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (المائدة.٤).

وهكذا أباح الله للإنسان صيد الحيوان، ومع ذلك فإن هذه الإباحة لا تعنى القضاء على جنس الحيوان الذى أبيح صيده، وإلا حرمت البشرية من المنافع التى تتمثل فى هذا النوع من الحيوان. ويعنى ذلك أن الصيد المباح يجب أن يكون مشروطا بخطة الحفاظ على البيئة الحيوانية، بحيث تبقى للأجيال التالية مصدرا مستمرا لتحقيق المنافع، سواء فى صورة اللحم المأكول أو الجلد أو الشعر أو العظام التى تستخدم استخدامات متعددة لصالح الإنسان.

إن المبدأ الذى يحكم هذا التحفظ هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار" ، وعليه إذا كان غرض الصيد هو المتعة بقتل الحيوان، فهو مكروه كراهية شديدة فى رأى الفقهاء، وفى مقدمتهم مالك وبن حنبل وأبو حنيفة.

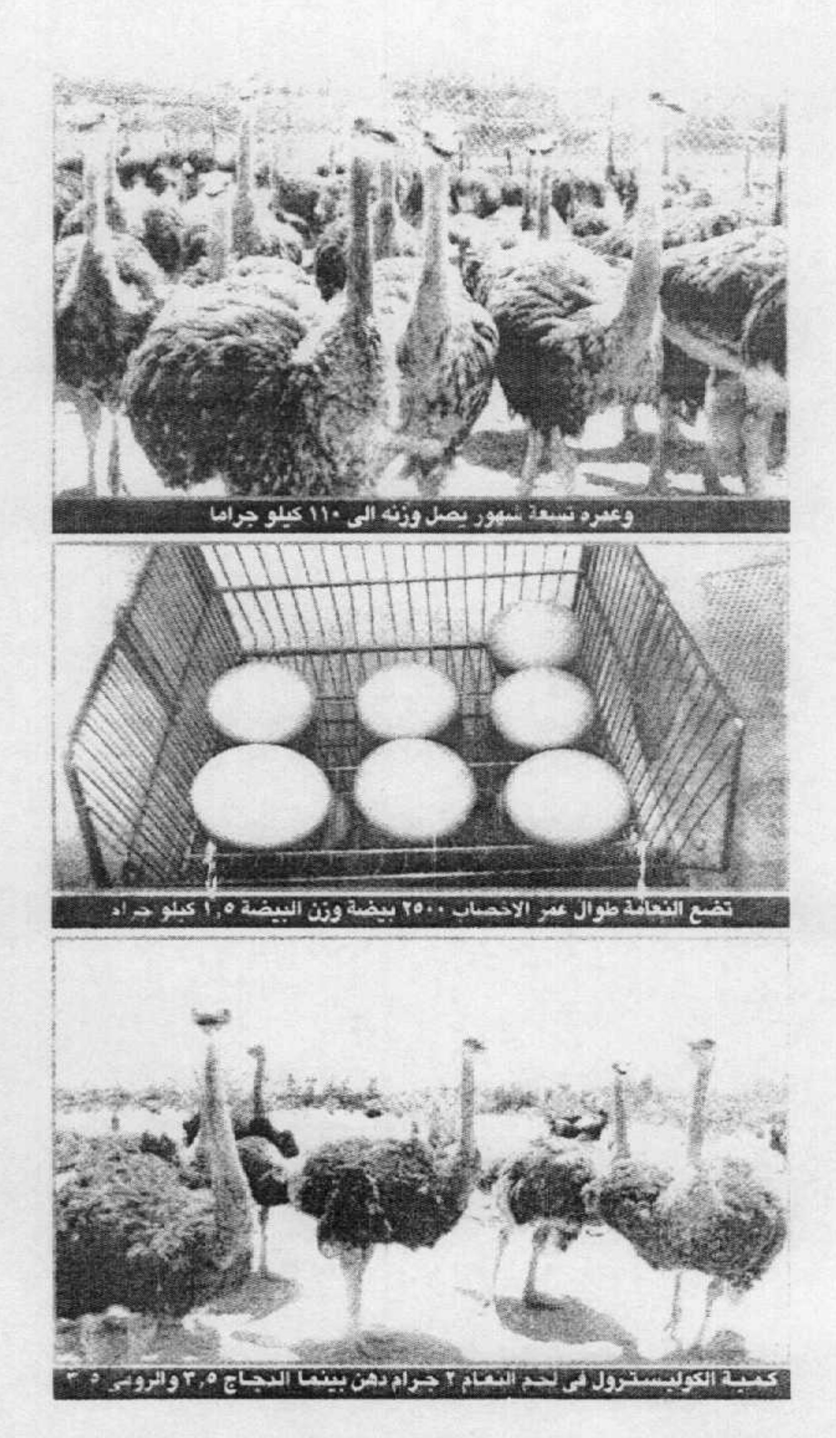
ونظرا لأن التحريم أو الكراهية يقاسان بمقدار الضرر الحاصل من الفعل المحرم أو المكروه فإنه من الطبيعى أن يحرم قتل الصيد عندما لا تكون هناك حاجة ماسة للانتفاع بلحمه أو جلده أو شعره أو عظامه، خاصة إذا هدد الصيد بالقضاء على الحيوان، وكان سببا فى حرمان الناس من الانتفاع به، وهنا يكون شكر النعم بالحفاظ على توازن البيئة التى خلقها الله رحمة بالناس وتوفيرا لأسباب عيشهم. وينطبق ذلك على طيور السماء، ومنها ما يقدم خدمة كبيرة للإنسان حين يلتهم الحشرات الضارة بالنبات، ولهذا فإن القضاء على هذه الطيور إخلال بالتوازن فى البيئة، وتفويت لتحقيق منفعة للإنسان من هذا التوازن.

وقد حوى كتاب الله من المعلومات الكثير عن مملكة الحيوان بطوائفها المتعددة، وكان وجودها سرا من أسرار الخلق، فسرد لنا أوصافها وأشكالها وأحجامها، وأثرها ووظائفها فى خدمة الإنسان.. وقص علينا قصصا تبين لنا دلائل خلقه، وعظمة قدرته التى نقف أمامها خاشعين، فنصدق ونؤمن بنعم لا تعد ولا تحصى، فنشكر ونحمد، ونعود لكتابه نتدارسه ونتلوه، ونعيش فى رحمته بنا...





تنشئة وتربية



وعمره تسعة شهور يصل وزنه الى ١١٠ كيلو جراما

تضع النعامة طوال عمر الاخصاب ٢٥٠٠ بيضة وزن البيضة ١,٥ كيلو جراد

كمية الكوليسترول فى لحم النعام ٢ جرام دهن بينما الدجاج ٣,٥ والرومى ٥ ٣

الفصل الثالث

القصص القرآنى:

حكاية النملة

حكاية الهدهد

حكاية النحل

السلوك البيولوجى



الطبيعة كتاب مفتوح، خلقه الله تعالى مصدرا للإلهام والحكمة بما فيه من حيوان وطير بل حتى أصغر المخلوقات كالنملة والذبابة والبعوضة، ليتعلم منه سيد مخلوقاته الإنسان، ويجد فيه صورة له، أو صورا تتعدد بتعدد الأنماط الإنسانية من واحد كالذئب وواحد كالأسد، وواحدة كابن آوى، وواحد كطير اليمام، ومرآة له فى دأب السلحفاة واستخفاف الأرنب، وغرور الطاووس. كل هذه الصور والرموز انعكست فى الأدب الإنساني بل حتى فى القرآن العظيم لتكون أمثولة وعبرة..

لقد قدم لنا القرآن الكريم فى قصص الأنبياء والأولياء مجموعة من المخلوقات التى وردت فيها من آيات الذكر الحكيم، كالغراب الذى بعثه الله لبنى آدم ليريه كيف يوارى سوءة أخيه.. والطير الذى ذبحه إبراهيم وفرقه على قمم الجبال، فبعثه الله بعد الموت.. وبقرة بنى إسرائيل التى أمر موسى بذبحها.. والذئب الذى اتهم ظلما بالتهام يوسف، وهو برىء منه.. وهدهد سليمان الذى أطلعه الله على نبأ بلقيس.

ودابة الأرض التى أكلت عصا سليمان وهو ميت على كرسيه.. وحمار عزير الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه أمام عينى صاحبه.. والحوت الذى ابتلع يونس فى جوفه زمنا ثم قذفه إلى البر لأنه كان من المسبحين.. وكلب أهل الكهف الذى نام مع أصحاب الكهف ثلاثمائة وتسع سنوات.. ونملة سليمان التى نادت على النمل أن يدخل مساكنه حتى لا يحطمنهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون.. وفيل أبرهة الذى كان مكلفا بهدم الكعبة، ثم سمره الخوف من الله مكانه، فلم يتقدم .. والطير الأبابيل التى رمت أصحاب الفيل بحجارة من سجيل..

وإلى جانب هذه المجموعة من المخلوقات، ورد فى القرآن ذكر مجموعة أخرى كانت فى صورها الظاهرة طيرا أو حيوانا أو نباتا، ولكنها فى حقيقتها كانت آية من أيات الله التى تحولت إلى ثعبان مبين وهى عصا موسى، وطين عيسى الذى صنع منه كهيئة الطير ثم نفخ فيه فصار طيرا بإذن الله... وهناك مخلوقات أخرى ورد ذكرها فى السيرة النبوية وهى العنكبوت التى نسجت بيتها على باب الغار الذى اختبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء أيضا ذكرها فى القرآن، والحمامة التى عششت فى فوهة الغار الذى اختبأ فيه الرسول وصاحبه. يقول الله تعالى فى ذكر العنكبوت: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ وذكر النحل فى الآية التى توضح كيف أوحى الله للنحل أن يتخذ له بيوتا، ويأكل من الثمرات كى يعطى شهده الشافى..

لقد مات سليمان وداود عليهما السلام، ومات بموتهما معرفة منطق الطير ولغة الحيوان، ومن يستطيع التفاهم معهما.. وتبقى البلاغة القرآنية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

استخدم المفكرون الحيوانات المختلفة فى قصصهم ورواياتهم كرمز للفضائل مثل الزهد والصبر وحب الاستطلاع، وهذا واضح فى كتاب كليلة ودمنة، ونجد ذلك عند الجاحظ والدميرى.

لقد ترك لنا الفلاسفة والأدباء وغيرهم من المفكرين تراثا عظيما خلدته كتبهم ومؤلفاتهم، فالفيلسوف اليونانى "ديوجينسى" عاش فى بلاد الإغريق أكثر من ألف سنة مضت، له افكاره الخاصة، وفلسفته فى الحياة، أراد هذا الفيلسوف أن يحيا زاهدا متقشفا لذلك تخلى عن معظم ممتلكاته ليعيش حياة غاية فى البساطة. كان يسير فى شوارع أثينا يحمل فى يده

مصباحا مضيئا فى وضح النهار، ولما سأله الناس عما يفعل بالمصباح أثناء النهار أجاب قائلا: أيها الدهماء، أبحث عن الحقيقة، أبحث عن رجل شريف، لقد أوصى "ديوجينسى" أن يدفن كالكلاب، ولكنه دفن كما يدفن البشر، وشيع جثمانه فى جنازة حافلة مهيبة ووضع على قبره تمثال "كلب" كوصيته" وتذكير الناس بحياة الزهد والتقشف التى أصر على العيش فيهما، فقد عاش إنسانا بسيطا متواضعا هادئ البال نقى الضمير. كان لا يهتم بملابسه حتى يتصور من لا يعرفه أنه أمام أحد المتسولين، لقد لقبه الناس بالكلب، ولقبوا أتباعه بالكلبيين، والعجيب أنه وأتباعه قد تقبلوا هذه الإهانة برحابة صدر، وردوا عليها بقولهم: حقا إننا كلاب، ولكننا كلاب حراسة، تتولى حراسة المبادئ الأخلاقية.

أما الدكتور طه حسين، عميد الأدب العربى، فقد اختار أن يكون "فأرا" ففى عام ١٩٥١م أجرت مجلة الاثنين الأسبوعية، والتى كانت تصدر فى هذا الوقت، استفتاء موضوعه "لو لم تكن آدميا..." وكانت إجابة الدكتور طه حسين: لو لم أكن آدميا، ما تمنيت شيئا أكونه بطبيعة وضعى فى الحياة والخليقة إلا أن أكون "فأرا" ... ولعلك تعجب من هذا ، ولكن يزول عجبك عندما تعلم أننى أربط هذا الاختيار باختيار آخر وهو المكان الذى أعيش فيه، ولن أعيش إلا فى مكتبة ضخمة عامرة بشتى أنواع الكتب والمؤلفات والمجلدات، وأظل "ألتهمها" وأتغذى عليها عقلا وجسما وقلبا، وأستمد حياتى من بقائى معها وبقائها حولى، فأنا لا أشك فى أننى أستطيع أن أعيش دون قراءة، واطلاع كائنا ما كنت، فإن ضمنت لى تحقيق هاتين الأمنيتين فلن أتراجع، ولن أتقهقر.

ويقول روبرت لويس ستيفنسون، قصصى اسكتلندى مشهور، له مؤلفات كثيرة منها "جزيرة الكنوز" و"الاختطاف" إنه اكتشف أن حماره الصغير الذى استخدمه فى معظم رحلاته، كان أفضل بكثير من عدد كبير من الأصدقاء الذين عرفهم خلال حياته القصيرة، وقد كان هذا الحمار نفسه هو الذى أوحى إليه باسم قصته الأولى التى كتبها فى ريف فرنسا، وعندما مات ستيفنسون عام ١٩٩٤م عن ٤٤ عاما، أوصى بجزء من ثروته الكبيرة لحماره العزيز، سألوه يوما كيف عثر على حماره هذا؟ فقال: لقد كان حمارا يتيما تائها، ولقد عثر هو علىّ.

حكاية النملة:

أعطى الله سيدنا سليمان ملكا عريضا، وحشر له جنوده من الجن والإنس والطير، وهو موكب عظيم، وحشد كبير. سار الموكب فى ترتيب ونظام، يجمع آخره على أوله، وتضم صفوفه، وتتلاءم خطاه. حتى إذا أتوا على واد كثير النمل، قالت نملة لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح فى الوادى – ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم، تتنوع فيها الوظائف، وتؤدى كلها بنظام عجيب، يعجز البشر غالبا عن اتباع مثله، على ما أوتوا من عقل راق وإدراك عال – قالت هذه النملة للنحل، بالوسيلة التى تتفاهم بها أمة النمل، وباللغة المتعارفة بينها. قالت للنمل: ادخلوا مساكنكم – كى لا يحطمنكم سليمان وجنوده. وهم لا يشعرون بكم.

فأدرك سليمان ما قالت النملة وهش له وانشرح صدره بإدراك ما قالت، وبمضمون ما قالت. هش لما قالت كما يهش الكبير للصغير الذى يحاول النجاة من أذاه وهو لا يضمر أذاه. وانشرح صدره لإدراكه. فهى

نعمة الله عليه تصله بهذه العوالم المحجوبة المعزولة عن الناس لاستغلال التفاهم بينها وقيام الحواجز. وانشرح صدره له لأنه عجيبة من العجائب أن يكون للنملة هذا الإدراك، وأن يفهم عنها النمل فيطيع.

أدرك سليمان هذا ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾.. وسرعان ما هزته هذه المشاهدة، وردت قلبه إلى ربه الذى أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة، وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة المعزولة من خلقه، واتجه إلى ربه فى إنابة يتوسل إليه "رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى". اجمعنى كلى. اجمع جوارحى ومشاعرى ولسانى وجنانى وخواطرى وخلجاتى وكلماتى وعباراتى وأعمالى وتوجهاتى. اجمعنى كلى. اجمع طاقاتى كلها لتكون فى شكر نعمتك علىّ وعلى والدى: "وأن أعمل صالحا ترضاه". تقول الآيات: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(النمل ١٧-١٩).

هنا نحن أمام خارقتين . خارقة إدراك سليمان لتحذير النملة لقومها. وخارقة إدراك النملة أن هذا سليمان وجنوده.

كان لسيدنا سليمان عليه السلام، معرفة بمنطق الطير، فلقد كان يعرف من أصوات الطيور ما تقصده من معان، وما يدور فى رأسها من أغراض، فحينما كان جالسا ذات يوم مر به طائر يطوق حوله، فقال

لجلسائه،: أتدرون ماذا يقول هذا الطائر؟ ... إنه يقول السلام عليك أيها الملك والنبى، أعطاك الله الكرامة، وأظهرك على عدوك.. إنى منطلق إلى أفراضى، وسأرجع إليك.. وبالفعل رجع الطائر، واستأذن سليمان فى الانصراف.

أيضا كان سليمان يعرف لغة الحشرات، كما نقل الهدهد إليه خبر ملكة سبأ وقومها، وأرسل سليمان كتابا مع الهدهد إلى هذه الملكة يطلب منها دخول الإسلام.

لقد سخر الله تعالى لسليمان عليه السلام – جنودا من الجن والإنس والطير ليكون طوع أمره، ومنها الهدهد، وقد غاب عن صف الجنود فى تفقد سليمان لهم، واتضح أنه غائب بدون إذن، وتوعده القائد بالعذاب الشديد أو القتل (الذبح)، لكن الهدهد كان فى مهمة رسمية، وجاء إلى قائده بنبأ هام، فذكر أنه وجد قوما، تحكمهم امرأة (بلقيس)، ولها عرش عظيم، ويعبدون الشمس من دون الله الخالق القدير، وإزاء هذا النبأ يرسل سيدنا سليمان الكتاب إلى الملكة، تستشير أكابر قومها.. ولما وصلت بلقيس إلى سليمان عرض عليها عرشها بعد تغيير معالمه، ثم تساءل أيشبه هذا العرش عرشك؟ أهكذا عرشك؟ يا لها من مفاجأة لا تخطر على بال، أين هى من عرشها؟ وأين هو الآن؟ وكيف جئ به؟ قالت : "كأنه هو" وأعد لها سليمان مفاجأة أخرى.. وكانت قصرا من البللور النقى، لا يحجب ما وراءه، وأقيمت أرضيته فوق الماء".. فظهر كأنه لجة، وقبل أن تدخل كشفت عن ساقيها لئلا تبتل بالماء أذيال ثيابها، وكشف سليمان عن سرها، ووقفت مشدوهة، معلنة إسلامها.

النمل .. من الكائنات التى حظيت بتقدير كبير.. ويكفى تلك المملكة العظيمة شرفا.. أن جاءت سورة من سور القرآن الكريم تحمل اسمها.. وعن حياتها وتفاصيل معيشتها المنظمة، فهى تبنى مساكنها على طراز العمارات الشاهقة والمتعددة الأدوار تحت الأرض – كما يقول الدكتور محمد الفار – الأستاذ بكلية علوم المنصورة – ويحفر تحت الرمال صنادق وأنفاقا ليحتمى بها، وأشار العلماء إلى أنهم وجدوا أن هناك طوابق دافئة تخصص لتربية الصغار، وأخرى بعيدة وحصينة لا تصل إليها المياه من الأمطار بسهولة، لتخزين الغلال والحبوب والغذاء.

والعجيب أن النمل له حكمة فى تخزينه للحبوب، فهو يقوم بفلقها وشطرها قبل تخزينها، ثم يعرضها لفترة كافية للشمس، وذلك ليتبخر كل ما بها من ماء ورطوبة، فلا تفسد عند تخزينها لفترة لاستخدامها وقت بياته الشتوى. ويقول الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى – رحمه الله – إن البذرة إذا بذرتها فى الأرض تنبت وتثمر، من أجل ذلك يقوم النمل بشطرها حتى لا تنمو ويستطيع أن يستخدمها وقت حاجته.

ويتمتع النمل بخصائص بيولوجية عالية، حسب وظيفة كل فئة من فئات مجتمعه.. فالشغالات والعاملات أجسادها غالبا ذات حجم أكبر عن غيرها من أفراد النمل ومملكته، لأنهم عليهم جمع الغذاء والبحث عنه باستمرار، وكذا نقله للتخزين، ولهم كذلك قدرة على إفراز مواد كيميائية خاصة أثناء السير لاكتشافها لمواقع الغذاء، وتلك تعمل كالرايات الأرضية، فهى علامات تهتدى بها جموع وقوافل النمل عند تحركها، فهى قادرة على فهم هذه اللغة الكيميائية البيولوجية، ولا نعجب عندما نشاهد طابور النمل يسير ويدب على الأرض بنظام وانتظام، وكأنه أمام إشارات للمرور على الأرض..



وحول قدرة الله وإعجازه التى تتجلى فى عالم النمل، يقول المفكر الإسلامى، عضو كلية الأطباء الملكية بلندن الدكتور أحمد شوقى إبراهيم:

قال الله عز وجل يحكى عن النبى سليمان وجنوده ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النمل ١٨-١٩)

والنمل ثلاثة أنواع : شغالات وذكور وملكة، والشغالات إناث عقيم، لا تعتبر إناثا لأنها تضع بيضا، وهى عديمة الأجنحة وتقوم بكل أعمال البيت. أما الذكور: فلا عمل لها إلا تلقيح الملكة مرة واحدة كل بضع سنين. أما الملكة فهى نملة كبيرة الحجم جدا بالنسبة لحجم باقى النمل، ولها جناحان يمكنها أن تطير بهما قبل حملها البيض، والملكة هى الحاكمة الأمره لكل مجتمع النمل، وكل أفراد النمل لا يعصى لها أمرا.. ولا يرد لها إشارة.. فالطاعة للملكة من الجميع طاعة عمياء، واكتشف العلماء حديثا أن للنمل لغات يتفاهم بها مع مجتمعه ولم يكن أحد من العلماء قبل عصر العلم الحالى يعلم عن النمل ما نعلم نحن الآن عنه، ولم يكن أحد يعلم شيئا عن ملكة النمل ولا عن صفاتها ووظيفتها.. ولم يكن أحد يعلم أن للنبمل لغة إلا أن الآية الكريمة فى سورة النمل ذكرت أن للنمل لغة ونطقا وكلاما، وأشارت إلى وجود ملكة للنمل أيضا: قال تعالى ﴿ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ وقال أيضا ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا ﴾. الحديث عن "أنثى" ولا توجد أنثى فى بيت النمل إلا أنثى واحدة هى الملكة.. وهى

الحاكمة الآمرة الناهية للنمل كله، ولم يتوصل العلماء والمفسرون قديما – رحمهم الله – إلى معنى قوله تعالى ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ قالوا إن التاء فى كلمة نملة للواحدة ولا دليل على أن النملة كانت أنثى، ولماذا قال تعالى عن سليمان ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ كان يكفى أن يقول فتبسم من قولها؟ نقول : كان لابد أن يقول ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ﴾ لأن التبسم قد يكون للاستهزاء أو عن غيظ أو عن مجاملة، ولكنه إذا وصف التبسم بالضحك، فإنه يكون متبسما عن رضا وسرور، ولكن لا يسر نبى لأمر من أمور الدنيا، وإنما يسر النبى لأمر من أمور الدين.

إنه فى قول ملكة النمل لشعبها من النمل ﴿ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فقد نفت الظلم عن سليمان وجنوده، ونسبت إليهم العدل، وأعطت للنبى سليمان وجنوده العذر إذ يحطمون النمل بأقدامهم، وما يفعلون ذلك عن عمد منهم، وإنما يفعلونه وهم لا يشعرون. لذلك تبسم ضاحكا من قولها الذى ينم عن إيمان عميق، إيمان الفطرة التى فطرها الله تعالى عليها..

وفضلا عن الإعجاز العلمى فى الآية الكريمة، ودلائل قدرة الله تعالى فى خلقه، ففيها معجزة أجراها الله تعالى للنبى سليمان إذ علمه منطق النمل، كما علمه منطق الطير من قبل.

إذن فللنمل لغة وإحساس ونطق وردود أفعال، وتفاهم بين أفراده.. وإن الذى يحكم مملكة النمل ملكة واحدة، لا يعصى فرد من النمل لها أمرا. إنها حقائق علمية ذكرها القرآن العظيم، وذكرها الحديث النبوى الشريف من قبل أن يعلم الناس شيئا عن كل ذلك بأكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، مما يعد إعجازا علميا بكل المقاييس.

وعن جوانب الإعجاز الإلهى فى سلوك النمل، يقول الدكتور رمضان مصرى هلال، الأستاذ بكلية الزراعة بكفر الشيخ: يحكى لنا الحق سبحانه قصة النملة التى شاهدت سيدنا سليمان وجنوده وهم يجتازون الوادى الذى تعيش فيه، فما كان منها أن طلبت من رفاقها أن يدخلوا مساكنهم تحت سطح الأرض حتى لا تدوسهم الأقدام، فالمولى عز وجل يبين لنا أن هذه المخلوقات التى خلقها الله، وسخرها لنا ما هى إلا أمم أمثالنا، لها نظامها وحياتها وتخطيطها ومعيشتها ولغتها، وصدق الحق سبحانه إذ يقول : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ (الأنعام ٣٨).

وقد بين لنا علماء سلوك الحيوان، طرق الاتصال والتفاهم بين كثير من أنواع الحيوان التى قد تكون بغرض التحذير أو التنبيه إلى مصادر الغذاء، أو للتجمع فى قطيع أو سرب واحد، أو للجماع بين الذكر والأنثى للتكاثر واستمرار الحياة.

عن ابى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر ببيتها فأحرق النار، فأوحى الله إليه: إن قرصتك نملة أحرقت من الأمم من تسبح. وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى الصديق الناجى، قال: خرج سليمان ابن داود عليهما السلام يستسقى، فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها، رافعة قوائمها إلى السماء وهى تقول : "اللهم إنا خلق من خلقك، ولا أغنى بنا على سقياك، وإلا تسقنا تهلكنا.. فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم.

وللنمل حواس حادة للمس والشم والتذوق، ومراكز هذه الحواس منتشرة على جميع أجزاء الجسم، ولكنها تكون مركزة على قرون الاستشعار، وتستخدم النملة قرنا الاستشعار لفحص الأشياء، وأيضا لنقل المعلومات بين أفراد المستعمرة، ويعتقد أن لضربات قرون الاستشعار التى تكون قوية أو لطيفة، أو تكون سريعة أو بطيئة مدلولا فى نقل الأفكار بين الأفراد، فالتقاء الأصدقاء يعطى النمل رضا واضحا، أما التقاء الأعداء فيصحبه تناصر وعراك، وتتأثر بعض فصائل النمل بالغذاء الذى تكتشفه، فتفرز مادة نفاذة الرائحة فى صورة خطوط تعتبر كمرشد تمتد من مكان الطعام إلى العش، ويعتمد النمل فى طرق الاتصال والتواصل على مواد كيميائية تفرزها غدد مختلفة تترك على السطح الذى تتحرك عليه، فعندما يعثر النمل المكتشف على مصدر غذاء، فإنه يترك رائحة فيرمون ليقتفى أثره الآخر، وقد يكون هذا الإفراز محفزا للنمل على الدفاع عن عشه عندما يهاجمه أى عدو...

حكاية الهدهد :

ها هو ذا الملك النبى – سليمان – فى موكبه الفخم الضخم. ها هو ذا يتفقد الطير فلا يجد الهدهد، وهو هدهد خاص بالطبع، معين فى نوبته فى هذا العرض، وليس هدهدا من تلك الألوف أو الملايين التى تحويها الأرض من أمة الهدهد. وسليمان يسأل عنه فى صيغة مترفعة مرنة جامعة : ﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ ويتضح أنه غائب، ويعلم الجميع من سؤال الملك عنه أنه غائب بغير إذن، وحينئذ يتعين أن يؤخذ بالحزم كي لا تكون فوضي . فالأمر بعد سؤال

الملك هذا السؤال لم يعد سرا. وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند، ومن ثم نجد سليمان الملك الحازم يتهدد الجندى الغائب المخالف : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ ولكن سليمان ليس ملكا جبارا فى الأرض، إنما هو نبى. وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغى أن يقضى فى شأنه قضاء نهائيا قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره.. ومن ثم تبرز سمة النبى العادل : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾. أى حجة قوية توضح عذره، وتنفى المؤاخذة عنه.

ويحضر الهدهد ومعه نبأ عظيم، بل مفاجأة ضخمة لسليمان. إنه يعرف حزم الملك وشدته. فهو يبدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته. وتضمن إصغاء الملك له: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ .. لقد وجد مملكة سبأ – وهى فى جنوب الجزيرة باليمن – تحكمهم امرأة ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾، ملك عظيم وثراء كبير، وتوافر أسباب الحضارة والقوة والمتاع. ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ سرير ملك فخم ضخم، يدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة، وجد الملكة وقومها ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إلى عبادة الله العليم الخبير ﴿ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾.

والهدهد إلى هذه اللحظة يقف موقف المذنب، الذى لم يقص الملك فى أمره بعد، فهو يلمح فى ختام النبأ الذى يقصه، إلى الله الملك القهار،

رب الجميع، صاحب العرش العظيم، الذى لا تقاس إليه عروش البشر : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

نجد إذن أمام هدهد عجيب. صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعة فى عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه.. فهو يدرك أن هذه ملكة وأن هؤلاء رعية، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أن السجود لا يكون إلا لله – فهو هدهد خاص أوتى هذا الإدراك الخاص، على سبيل الخارقة التى تخالف المألوف. تفكر فى حواره مع سليمان وهو يقول له: لقد توعدتنى بالذبح، وأنا أعرف ما الذبح، ولكن ما العذاب الشديد الذى كنت تهددنى به، قال له سليمان : كنت سأجعلك فى مكان غير مكانك، وأضعك مع أمة تجهل مقامك وليست من أمتك.

ولا يتسرع سليمان فى تصديقه أو تكذيبه، ولا يستخفه النبأ العظيم الذى جاءه به، إنما يأخذ فى تجربته، للتأكد من صحته: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

ويصل الكتاب إلى الملكة، ولم تعرف فحواه، وهى تستشير الملأ من قومها فى هذا الأمر الخطير: ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

فهى تخبرهم أنه ألقى إليها كتاب وتكشف عن فحوى الكتاب الذى لم يكن معروفا من قبل، فهو فى غاية البساطة والقوة، فهو مبدوء بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم، ومطلوب فيه أمر واحد: ألا يستكبروا على

مرسله ويستعصوا، وأن يأتوا إليه مستسلمين لله الذى يخاطبهم باسمه. وهى كانت لا تعبد الله. ولكن صيت سليمان كان ذائعا فى هذه الرقعة.

ألقت الملكة إلى قومها بفحوى الكتاب، ثم استأنفت الحديث تطلب مشورتهم، وتعلن إليهم أنها لن تقطع فى الأمر إلا بعد هذه المشورة، برضاهم وموافقتهم : ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ وفى هذا تبدو سمة الملكة الأريبة، فواضح منذ اللحظة الأولى أنها أخذت بهذا الكتاب الذى ألقى إليها من حيث لا تعلم، والذى يبدو فيه الحزم والاستعلاء، وقد نقلت هذا الأثر إلى نفوس الملأ من قومها وهى تصف الكتاب بأنه "كريم".

وعلى عادة رجال الحاشية أبدوا استعدادهم للعمل. ولكنهم فوضوا للملكة الرأى: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ .

وهنا تظهر شخصية "المرأة" من وراء شخصية الملكة، المرأة التى تكره الحروب والتدمير: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

والهدية تلين القلب، وتعلن الود، وقد تفلح فى دفع القتال. وهى تجربة. فإن قبلها سليمان فهو إذن أمر الدنيا، ووسائل الدنيا إذن تجدى. وإن لم يقبلها فهو إذن أمر العقيدة الذى لا يصرفه عنه مال، ولا عرض من أعراض هذه الأرض.

ها هم رسل الملكة وهديتهم أمام سليمان. وإذا سليمان ينكر عليهم اتجاههم إلى شرائه بالمال، أو تحويله عن دعوتهم إلى الإسلام، ويعلن فى قوة وإصرار تهديده ووعيده: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾.

وينصرف الرسل، ثم إذا سليمان – عليه السلام – يدرك أن هذا الرد سينهى الأمر مع ملكة لا تريد العداء، ويرجح أنها ستجيب دعوته – وقد كان – ورجعت الملكة إلى الله، وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره. معلنة إسلامها "مع سليمان" "لا لسليمان". ولكن " لله رب العالمين".

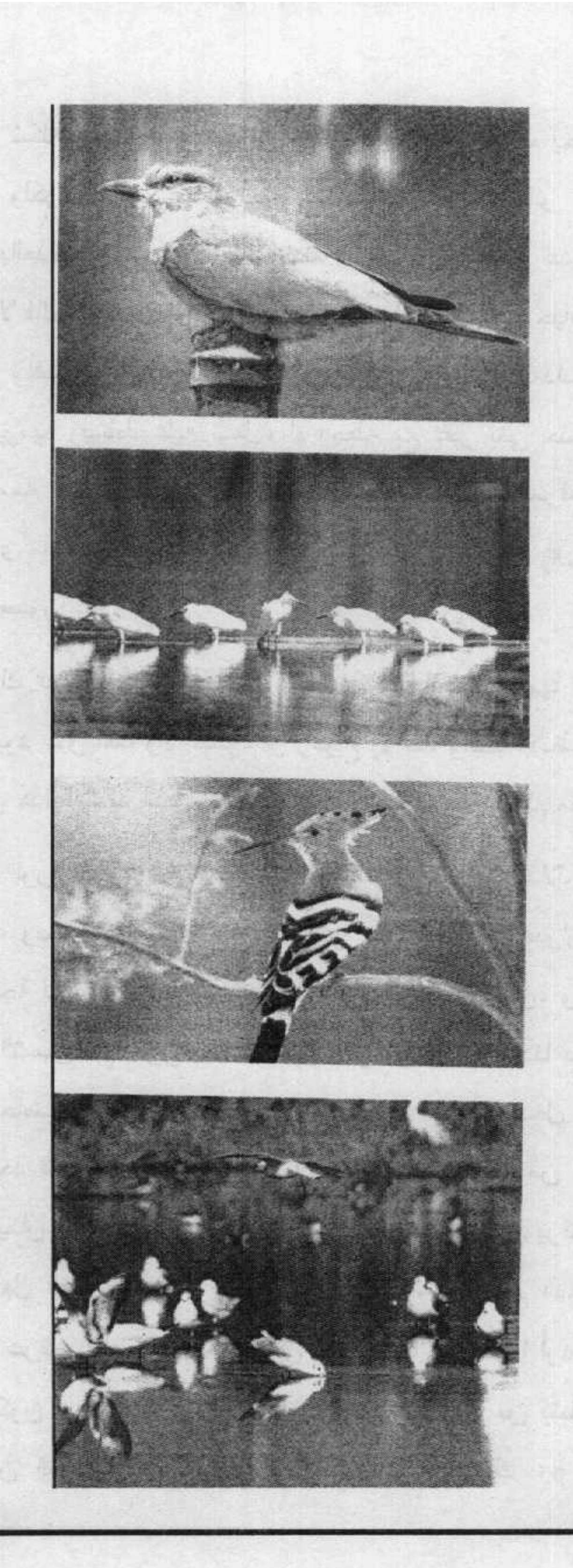
لقد اهتدى قلبها واستنار. فعرفت أن الإسلام لله ليس استسلاما لأمر من خلقه، إنما الإسلام إسلام لله رب العالمين: "وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين".

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ

فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (النمل ٢٠-٣٧).

سليمان جعل له الله ملكا عظيما لا ينبغى لأحد من بعده، ملك يأتيه بلا حرب أو قتال، وعلمه منطق الطير، وحشر له جنوده من الجن والإنس والطير: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ

ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (النمل ١٨) فكان لكلام النملة وقع وأثر على سليمان فتبسم ضاحكا من قولها، وشكر ربه على نعمته التى أنعم بها عليه، وأن يعمل صالحا يرضى الله، حتى يدخله برحمته فى عباده الصالحين، ثم تفقد الطير فقال : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾ (النمل ٢٠-٢٢)



الهدهد شكله جميل، وهو صديق الفلاح، وقد أُحيط بما لم يحط به سليمان خبرا، ولكن سليمان عندما أحس بغياب الهدهد من سائر أجناس الطير، توعده بالعذاب الشديد، وهنا وقفة عند الترتيب، فكان من البدهى أن يكون الذبح وإلا فالعذاب، والذبح إبطال حياة، والعذاب استمرار حياة، غير أن العذاب أشد وأقسى من الذبح، فماذا يا ترى يكون نوع هذا العذاب؟ هل ينتف ريشه ويرميه ويسلط عليه النمل، أم يجعله مع غير بنى جنسه فلا أحد سيتعامل معه – وفى هذا عذاب شديد – ويحسم الهدهد الموقف بنبأ يقين، وبأنه رأى ملكا لم يبلغه ملك سليمان، وأدرك ما لم يدركه غيره فيما رأى من قوم يعبدون غير الله.

لقد ترك لنا الهدهد رسالة لا يعيها إلا الراشدون، إنها رسالة التوحيد، لا معبود غير الله، ولا سجود أو ركوع إلا لله، ولفت الأنظار إلى أن يستفيدوا من هذا المشهد الذى دار بينه وبين سليمان، وأن نتعلم منه.

إن الله أورد كثيرا من الحكايات فى القرآن الكريم للدلالة على قدرته وحكمته، وساق فى هذه الحكاياتَ كثيرا من الطير والحيوان لهذا الغرض.. ونتيجة لهذا فإن ملكة سبأ دخلت دين الله مع سليمان، وتركت الوثنية "عبادة الشمس" ثم تقرر القصة شيئا آخر، وهو أن سيدنا سليمان طلب من أحد حاضرى مجلسه إحضار عرش بلقيس قبل أن تدخل بلقيس القصر، فقال أحد الجالسين بمجلسه.. أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يقصد سيدنا سليمان، فرد عليه سليمان قائلا.. أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، يقول أهل العلم إن سيدنا سليمان استخدم الاسم الأعظم لله.. ففى لمحة عين جاء عرش بلقيس بالكاف والنون "إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" وهذا يعنّى أن الله يفيض برحمته على من يشاء من عباده المخلصين المؤمنين، يقول الله تبارك وتعالى فى ذلك :﴿ قَالَ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النمل ٣٨-٤٠)، ويذهب بعض المفسرين إلى أن الذى عنده علم من الكتاب، هو سيدنا سليمان نفسه، ودليل ذلك بعد أن رأى عرش ملكة سبأ مستقرا عنده، قال هذا من فضل ربى، لأنه استجاب له.

والقرآن الكريم مليء بقصص الحيوان والطير، أوردها الله تعالى للتدليل على قدرته وعظمته.. ولكى يأخذ منها العباد التذكرة والعظة.

وقد قيل إن سبأ كانت ملكتها بلقيس، وقيل إنها كانت ملكة على اليمن، وقيل على الحبشة، وكانت أقوى امرأة عندما كان الملك سليمان أقوى الملوك، وأقدرهم على الكلام مع الطير والجن كما ذكر القرآن. وعندما ذهبت بلقيس إليه، وراحت تمتحنه فسألته فى كل شىء، وكان يعرف كل شىء، فأيقنت أنه أحكم أهل زمانه، ونصحه الجن ألا يتزوجها، وتمضى الأسطورة أنها حملت منه، وأنجبت ولدا هو (أسد يهوذا) الذى ظل مرسوما على علم إثيوبيا حتى سقوط الامبراطور هيلاسلاسى سنة ١٩٧٤، وقيل إنها ولدت منه الذى هدم المعبد فى أورشليم.

وتعتبر حكاية الهدهد من أغرب حكايات القرآن، فإن الله تبارك وتعالى أعطى داود وسليمان ملكا عظيما، يقول الله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النمل ٢٠-٢٤)

إن سيدنا سليمان لما ملك كل شيء، بعد أن طلب من ربه هذا كما يقول القرآن: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ شعر سليمان بعدها بذاته، وأصبح لكرسي الملك قداسة وعظمة، فأراد الله أن يعرفه أنه إنسان فقير إلى رحمة ربه، رغم أنه يملك الإنس والجن والطير وكل شيء، خاصة أنه توعد الهدهد بالعذاب لغيابه.. ولكن الهدهد قال للملك سليمان أنا أعرف أكثر منك.. أنا أحطت بما لم تحط به .. أنا أكثر منك علما وذكاء وقدم له الدليل على ذلك.. أنه تجول في المنطقة ورأى زعيمة سبأ وهي الملكة بلقيس. تسيطر على أمة متحضرة قوية، ولكنهم يعبدون السيدة الملكة والشمس، وقد غاب الهدهد عن مجلس سليمان لهذا السبب.. لهذا الأمر.. وأن سيدنا سيلمان لو صبر لكان خيرا له.. وأن بعض المخلوقات الصغيرة قد تكون أعلم وأرفع مكانا لدى رب العالمين..

ويقول الله تعالى في سورة (ص) : ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾ أخي له تسع وتسعون زوجة أو صاحبة، وأنا لي زوجة واحدة، ولكن أخي طمع في زوجتي وقال لي دعها تدخل في باقي الحريم الخاص بي..

والقصة رمزية، ولكن وردت بها عدة أحكام، فعندما عرض صاحب النعجة الواحدة قصته أو قضيته على سيدنا داود، وكان يجلس للفصل بين الناس، قال للرجل صاحب النعجة الواحدة: إن أخاك قد ظلمك بهذا الطلب، وكان المفروض أن يستمع إلى الطرف الآخر سيدنا داود قبل أن يصدر حكمه، فعاتبه ربه وعلمه، وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه، وخر راكعا وأناب، وقيل إنه ظل يبكى عشر سنوات فى مصلاه.

حكاية النحل

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل ٦٨-٦٩)

حقائق ومعجزات قرآنية، بعد أربعة عشر قرنا، يأتى العلماء بعلمهم وأبحاثهم ومعاملهم ليكشفوا لنا المعجزات العلمية التى جاء بها القرآن الكريم، ليضعها أمامنا من خلال حشرة صغيرة وضعيفة هى حشرة النحل، ومع علم الإنسان ومعرفته بمكونات كل منتج من منتجات النحل، فهو لا يستطيع صنعها مهما أوتى من أجهزة ضخمة وتكنولوجيا معقدة، ولكن حشرة النحل الصغيرة الضعيفة تستطيع ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى يسر لها هذا وذلله لها.

وكما يقول العالم المتخصص فى النحل الدكتور محمد بهجت شاور، أستاذ ورئيس قسم الحشرات بكلية الزراعة بكفر الشيخ، عندما نقرأ

هذه الآية الشريفة فسنجد أننا أمام عدة معجزات إلهية، وليس معجزة واحدة. فبداية الوحى فى هذه الآية يعنى الإلهام فى نظام المعيشة الدقيق لهذه الحشرة، وكيفية التوافق مع المتغيرات الفسيولوجية داخل جسم النحلة لتقوم بمهمتها بداية من العمل داخل الخلية، وانتهاء بأعمالها خارج الخلية من جمع الغذاء والماء، وتقسيم العمل فى نظام دقيق.

فقد ألهم الله النحلة أن تتخذ من الجبال والشجر وفيما يعرش الإنسان من خلايا بيوتا لها تربى فيها صغارها، وتجمع بها الغذاء وتخزنه.. وهنا معجزة تتضح فيها دقة التعبير والإعجاز القرآني، وهى أن العلم الحديث أثبت أن نحل العسل أربعة أنواع: نوعان لم يمكن استئناسهما حتى الآن، ويسكنان فى طوائف على أقراص شمعية يلصقانها تحت الصخور البارزة من الجبال وتحت أفرع الأشجار الضخمة، ونوعان آخران يقطنان داخل الجبال والأشجار والخلايا التى يعرشها الإنسان، وهذان النوعان يمكن استئناسهما.

هذه النحلة تجوب البقاع وتنتقل من زهرة إلى زهرة، ومن نبتة إلى نبتة، ومن شجرة إلى أخرى، غير مكترثة بمالك يوقفها، ولا عابئة بمانع يمنع نشاطها أو يحد من انتقالها، فقد سهل المولى عز وجل كل السبل، وفتح لها أبواب الرزق، وقد لوحظ من خلال البحث العلمى والإحصاءات أن الرطل الواحد من العسل يحتاج إلى ٣٧ ألف رحلة طيران، وتستغرق الرحلة ما بين ٣٥ دقيقة إلى ٦٠ دقيقة تبعا للمسافة، وظروف الجو.

تقوم الشغالة بجمع الرحيق، ويتم بواسطة عمليات طبيعية وكيماوية ليتحول إلى عسل بفعل الأنزيمات، ونجد اختلافا فى الألوان،

فمن عسل شفاف رائق إلى أصفر رائق، إلى الأصفر المخضر، إلى الذهبى إلى الكهرمانى إلى البنى الغامق، أو البنى المحمر، إلى اللون الأسود، وقد وضع العلم للعسل سبعة ألوان قياسية فى مجموعتين : الأولى خاصة باللون الأبيض بدرجاته "أبيض مائى ناصع، وأبيض"، والمجموعة الثانية خاصة باللون الأصفر، وتشمل : "أصفر فاتح، أصفر، أصفر داكن"، ومصدر الألوان فى العسل يرجع إلى الصبغات الطبيعية التى تنتقل إليه من الرحيق، مثل الكاروتين والكلوروفيل ومشتقاته، بالإضافة إلى الألوان الناتجة من التفاعلات الكيماوية بين المركبات الداخلة فى تركيب العسل، ويتأثر لون العسل بنوع المصدر النباتى وعمره ونظام ريه وطول فترة تزهيره. وتؤكد الحقيقة العلمية الآن أن كل ما ينتج من النحلة فيه شفاء للناس، وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم.

السلوك البيولوجى

إن تلاحم جماعات النحل والنمل الأبيض معا فى ظل ما قد يطلق عليه "الفرد للجماعة، والجماعة للفرد" ما هو إلا نمط حياة من الواضح أنها تكرس من أجل بقاء مستعمرات هذه الجماعات النملية، فحياة الأفراد من النمل ليس لها أهمية بالنسبة للهدف العام، وهو حماية وإطعام الملكة التى تضع البيض. أما الدور الوحيد للذكر فهو تلقيح الملكة، وتقضى الشغالة من النحل حياتها فى بناء أحياء جميلة للمعيشة بحجرات مركبة وفتحات تهوية صممت بهدف حماية نزلاء هذه المستعمرات من الطبيعة القاسية ومن الطيور الجارحة.

وسوف تتم على الفور إبادة النمل الذى له الشكل نفسه ولكنه من مستعمرة نمل أخرى، إذا ما تعدى على موقع عش نمل آخر، إذ يعتبر تعديه هذا محاولة قتل شريرة فعالة، ورغم كل هذه الاحتياطات المستفيضة كما يعرفها كل من له علاقة بتربية النحل، فقد تصاب هذه الحشرات الاستعمارية بعدوى أمراض طفيلية، والطفيليات الكبيرة منها تحتوى على طفيليات أصغر. وهناك أيضا أخطار أخرى دقيقة، فقد تعلمت الحشرات الطائرة المفترسة كيف تهاجم النحل أثناء تأدية نوبة الحراسة، وذلك باكتساب الرائحة الخاصة بتلك المستعمرة، وبالزحف نحو الخلية "بجواز سفر مزيف"، وسرقة الطعام الذى قام أفراد النحل من الشغيلة بتخزينه بعناية، وقتل كل ما يصطدم بها من نحل داخل الخلية.

ويبين سلوك الحيوان ميل الأجناس إلى البقاء على قيد الحياة، كما أن سيادة الذكر فى معظم الأجناس ليست سيادة كلية، وحتى فى الحيوانات الثديية يمكن أن نجد (نموذج) الدور العكسى للذكر. وإذا استبعدنا الإنسان، نجد أن هناك توازنا بين فئات آلاف من أجناس الحيوانات والنباتات، إن تقلبات المناخ، وتوافر الغذاء، ووجود الجوارح، والأمراض تتيح للأجناس الناجحة البقاء. أما الكائنات العضوية التى لا تستطيع المنافسة أو المساهمة فى هذا التوازن، فتصبح أجناسا مهدرة، وبعد أن ينخفض عددها إلى أصغر الحدود وأكثرها حرجا بحيث تصبح غير قادرة على الحفاظ على الجنس بالتكاثر، عندئذ يتحول هذا الجنس إلى جنس منقرض. أما الكائنات العضوية المنفصلة عن الإنسان فلا خطر منها على إفساد الجو، ومساحات الأراضى، والبحار والبحيرات والأنهار والغابات، والإنسان أيضا كائن عضوى له عملية حيوية تماثل عمليات كل الكائنات الحية، غير أن هناك اختلافات مهمة فى الإنسان عن غيره من الكائنات العضوية.

ولاشك فى أن النظر إلى الكائنات العضوية نظرة رومانسية ضبابية هو أمر لا يجوز، ذلك لأن البيئة قد تكون بيئة عدوانية، ويحتمل أن تكون التغيرات التى حدثت للعصور الجليدية قد قضت على كثير من الأجناس بصورة متصلة، بينما غالبا ما يزعج سلوك الحيوانات فيما بينها حساسيات الإنسان الذى نطلق عليه اليوم اسم "الإنسان المتحضر".. كما أن الكوارث التى تصيب الكرة الأرضية من خارجها، فضلا عما يحدث من تبريد للغلاف الجوى يمكن أن يقضى على الحياة أو بعض هذه الحياة على كوكب الأرض. وهناك اعتقاد بأن كتلا صخرية ضخمة سقطت من الفضاء وارتطمت بالأرض، وبأن نجوما مذنبة أحدثت فى الأزمنة الماضية تدميرا هائلا فى سطح الأرض يمكن مقارنته بالقوة التدميرية لعدد كبير من القنابل النووية، التى أبادت أجناسا عديدة من الحيوانات والنباتات.

ومن المتصور أن هناك إمكانية فى المستقبل لتوقع مثل هذه الكارثة، بل هناك احتمال إمكانية تحويل مسار اصطدامها، بحيث يمكن تحويل مسار النجم المذنب المتجه نحو الأرض لتدميره بصاروخ ذرى. هذا وتفترض هذه التكهنات أن الجنس البشرى وغيره من الأجناس سوف تظل باقية حية بأسلوب متحضر فى المستقبل..

والبقاء على قيد الحياة حتى مرحلة الشيخوخة، أمر غير عادى، فى كثير من أجناس الحيوانات بما فيها الثدييات قريبة الاتصال بالإنسان، وذلك بسبب المرض، والضعف وفقدان القدرة على الصيد، والبحث عن الطعام وتناوله، وهكذا يضعف بسقوط الأسنان، وضعف البصر، وحاستى الشم والسمع اللتين تتدهوران مع تقدم العمر، وتضعف القدرة على البقاء

على قيد الحياة فى مجموعة كائنات حية لا تملك برنامجا لمساعدة العاجزين.

لكن الموقف مختلف بالنسبة للإنسان، إذ يستطيع البشر البقاء على قيد الحياة مع الضعف الشديد، إذا وجدوا رعاية متصلة، بإطعامهم، وتوفير النظافة والاهتمام بهم بمشاعر تتسم بالرحمة. وهكذا أصبح تأجيل بداية الضعف فى السن المتقدمة وعدم القدرة على العيش كوجود مستقل، أمرا ممكنا بوساطة .العلاج الطبى الحديث، وخاصة بالمحافظة على النظر، والعلاج الجراحى، وعلاج الأسنان، وقد اتسعت آفاق الطب العلاجى إلى درجة هائلة فى السنوات الأخيرة مما أدى إلى تزايد أعداد المسنين فى الدول المتقدمة، وأيضا فى الدول الفقيرة بفضل تقدم الرعاية الطبية التى جعلت نسبة المتقدمين فى السن من عدد السكان تزداد..

الفصل الرابع

حكاية الغراب

حكاية العنكبوت

حكاية الذباب

حكاية الأرضة

حكاية الثعبان

حكاية الفيل

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ (المائدة ٢٧-٣١).

﴿قابيل وهابيل﴾ ابنا آدم فى هذه القصة، تنازعا على اختين لهما – كما تقول بعض الآثار والروايات –

إن ابني آدم هذين فى موقف لا يثور فيه خاطر الاعتداء فى نفس طيبة.. فهما فى موقف طاعة بين يدى الله. موقف تقديم قربان، يتقربان به إلى الله : ﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾ فحنق الأخ على أخيه، وجاش خاطر القتل فى نفسه – وخاطر القتل لا يجيش إلا على نفس غير مستقيمة – بعيدة عن مجال العبادة والتقرب – ومجال القدرة الغيبية الخفية التى لا دخل لإرادة أخيه فى مجالها، إنه شعور الحسد الأعمى، الذى لا يعمر نفسا طيبة : ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾، ويستجيب الآخر فى وداعة وطيبة : ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فى براءة وإيمان، وفى توجيه رقيق للمعتدى أن يتقى الله. ويمضى الأخ المؤمن

النقى الوديع المسالم يكسر حدة الشر الهائج فى نفس أخيه الشرير :
﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

لقد كان فى هذا القول اللين ما يهدئ الحسد، ويسكن الشر، ويرد الآخر إلى حنان الأخوة، وبشاشة الإيمان، ولكن الأخ الصالح يضيف :
﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

إذا أنت مددت يدك لتقتلنى، فليس من شأنى ولا من طبعى أن أفعل هذه الفعلة بالنسبة لك، فلا يدور خاطر القتل فى نفسى أصلا، ولا يتجه إليه فكرى إطلاقا.. خوفا من الله رب العالمين.. لا عجزا عن إتيانه .. وأنا تاركك تحمل إثم قتلى وتضيفه إلى إثمك الذى جعل الله لا يتقبل منك قربانك، فيكون إثمك مضاعفا، وعذابك مضاعفا.. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

لقد عرض له وزر جريمة القتل لينفره منه، ويزين له الخلاص من الإثم المضاعف بالخوف من الله رب العالمين، ولكن النموذج الشرير لا تكمل صورته، حتى نعلم كيف كانت استجابته: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾. لقد اندفعت النفس الشريرة، فوقعت الجريمة. وقعت وقد ذللت له نفسه كل عقبة، وطوعت له كل مانع، طوعت له نفسه القتل .. وقتل من ؟ قتل أخاه .. وحق عليه النذير : ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾. خسر نفسه فأوردها موارد الهلاك. وخسر أخاه ففقد الناصر والرفيق، وخسر دنياه فماتهنأ للقاتل حياة، وخسر آخرته فباء بإثمه الأول، وإثمه الأخير.

ومثلت له سوأة الجريمة فى صورتها الحسية. صورة الجثة التى فارقتها الحياة، وباتت لحما يسرى فيه العفن، فهو سوأة لا تطيقها النفوس .

وشاءت حكمة الله أن توقفه أمام عجزه – وهو الباطش القاتل الفاتك – عن أن يوارى سوأة أخيه. عجزه عن أن يكون كالغراب فى أمة الطير: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾.

وتقول بعض الروايات : إن الغراب قتل غرابا آخر، أو وجد جثة غراب أو جاء ومعه جثة غراب، فجعل يحفر فى الأرض، ثم واراه وأهال عليه التراب.. فقال القاتل قولته. وفعل مثلما رأى الغراب يفعل.

والظاهر أن القاتل لم يكن قد رأى من قبل ميتا يدفن، – وإلا لفعل – وقد يكون ذلك لأن هذا كان أول ميت فى الأرض من أبناء آدم. أو لأن هذا القاتل كان حدثا ولم ير من يدفن ميتا. وظاهر كذلك أن ندمه لم يكن ندم التوبة – وإلا لقبل الله توبته – وإنما كان الندم الناشىء من عدم جدوى فعلته، وما أعقبته له من تعب وعناء وقلق.

كما أن دفن الغراب لأخيه الغراب، قد يكون من عادات الغربان كما يقول بعض الناس، وقد يكون حدثا خارقا أجراه الله.

إن هذا الحادث وقع فى فترة طفولة الإنسان، وأنه كان أول حادث قتل عدوانى متعمد، وأن الفاعل لم يكن يعرف طريقة دفن الجثث.

هذه القصة تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان، ونموذجا كذلك من العدوان الصارخ الذى لا مبرر له. كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير

والسماحة، ونموذجا كذلك من الطيبة والوداعة. فالشرير يلقى جزاءه العادل المكافئ للفعلة المنكرة، وتحفظ النموذج الطيب الخير وتصونه..

حكاية العنكبوت

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾.

إنها العنكبوت : وما تملك من القوى ليست سوى خيوط العنكبوت، قد اتخذها جماعة من المشركين المغلقي القلوب والعقول مادة للسخرية والتهكم، وقالوا : إن رب محمد يتحدث عن الذباب والعنكبوت، ولم يهز مشاعرهم هذا التصوير العجيب لا يعقلون ولا يعلمون: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ لا يعقلون بأنه تصوير عجيب صادق لحقيقة القوى فى هذا الوجود، ولا يعلمون أن الله تبارك وتعالى، جعل من خيوط العنكبوت ستارا يستتر وراءه سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحبه وصديقه الصدوق أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – وهما فى الغار، بعدما خرجا مهاجرين من مكة إلى المدنية، خوفا من بطش الكفار، وأذى المكابرين المعاندين المكذبين، خرجا من مكة والحنين والشوق يدفعهما إليها، ولكن هجرتهما فى سبيل الله ودعوته ورسالته، فتوكلا على الله، وصناديد قريش تتعقبهم، ويختبئان فى الغار، ويقول أبو بكر لصاحبه: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا، وتأتى كلمات النبى صلوات الله عليه وسلم لأخيه: يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا، ومن كان الله معه فلا تستطيع قوة على

الأرض أن تنال منه.. وتأتى العنكبوت تنسج خيوطها على فوهة الغار، ويرى المشركون ذلك فيدركون أن الغار لم يدخله أحد، وينجو رسول الله وصاحبه ويتابع مسيرته حيث أراد الله له أن تنتشر رسالته وتعم الآفاق..

وهناك أقوام تخدعهم القوة القادرة التى تعمل فى هذه الأرض، فيتوجهون إليها بمخاوفهم ورغائبهم، ويخشونها ويفزعون منها، ويترضونها ليكفوا عن أنفسهم أذاها، أو يضمنوا لأنفسهم حماها، وتخدعهم قوة المال، وتخدعهم قوة العلم، وتخدعهم هذه القوى الظاهرة، وينسون القوة الوحيدة التى تخلق سائر القوى الصغيرة، وتملكها، وتمنحها، وتوجهها وتسخرها كما تريد، حيثما تريد. وينسون أن الالتجاء إلى تلك القوى، كالتجاء العنكبوت إلى بيت العنكبوت.. حشرة ضعيفة رخوة واهنة لا حماية لها من تكوينها الرخو، ولا وقاية لها من بيتها الواهن. وليس هناك إلا حماية الله، وإلا حماه، وإلا ركنه القوى الركين..

قوة الله وحدها هى القوة. وولاية الله وحدها هى الولاية. وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل، مهما علا واستطال، ومهما تجبر وطغى، ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل.

إن من يتوكل على غير الله طالبا المناصرة والمؤازرة فإنه بذلك يختار ويتخذ منهجا واهيا، وهو يشبه العنكبوت عندما تتخذ موقعا لبيتها، وتعتمد بذلك على نسجه، وذلك بنفسها ولنفسها، وتصنعه من خيوط حريرية قوية تفرزها غددها، وتتصور أنها أقامت بيتا قويا، وفى الحقيقة أنه واهن ضعيف فى الهواء، فكذلك هو الحال مع من يولى أمره لغير الله، ويتصور أن هؤلاء الأولياء بمجموعهم قد ينفعونه.

وتشير أحدث الدراسات حول العنكبوت ونسجه وخيوطه إلى أنها تبدو ضعيفة، إلا أنه قد ثبت أنها متينة جدا، إذا قورنت بمتانة الحديد الصلب، وقيل الفولاذ، فلقد تبين أن هناك غددا لدى العنكبوت تفرز منها خيوطا من بروتين طبيعي، لتعطى نسيجا عنكبوتيا على هيئة شبكة، وهذه الخيوط ليست فقط متينة بحد ذاتها، ولكنها قابلة لأن تتمدد لضعف طولها، قبل انقطاعها إذا جذبت بقوة، واستخدمتها شركات كثيرة الآن لتكوين نسيج يمكن استخدامه فى الوقاية من طلقات الرصاص، وعند ارتدائه كقميص واق.

إن بيت العنكبوت تسهل إزالته وتمزيقه بسهولة جدا، إذا أطاح به طفل صغير بيده مثلا، ولكن خيوطه إذا غزلت فى ظروف أخرى، وبمنهج آخر، فإنها تكون صلبة فى قوتها، وشديدة فى متانتها. هكذا يقول الدكتور محمد الفار، أستاذ الكيمياء الحيوية بعلوم جامعة المنصورة، ويقول: لقد ثبت علميا قوة الشبكة العنكبوتية فى صيد وإيقاع فرائسها بها، وليست فقط التى هى أصغر منها، بل وأيضا الأكبر منها حجما، فتستطيع اصطياد نحلة أكبر من حجم العنكبوت عدة مرات، حتى لو كانت تطير بسرعات كبيرة، تصل فى بعض الأحيان لعشرات الكيلومترات فى الساعة، فيصيدها هذا النسيج ليوقع بها، وبدون أن يتمزق، ولكننا هنا أيضا يجب ألا نغفل أن هذا العنكبوت هو من أوهن البيوت إذا تعرض لغزو من كائنات أقوى، وفى ظروف مختلفة..

ويقول أنيس منصور عنها، اسمها (الأرملة السوداء) وهى سوداء، ليست حدادا على أزواجها الواحد بعد الآخر، ولكن هى سوداء لأن أزواجها يحبون هذا اللون. والأرملة السوداء هذه عنكبوت شرس. فلا يكاد الذكر يمضى فى عملية التلقيح حتى تهجم عليه وتقطعه مائة قطعة، وتدفنه

وتبيض فوقه، حتى إذا فقس صغارها وجدوا طعاما سائغا: أبوهم. هل هى مجرمة لأنها قتلت زوجها.. وهل هى مجرمة لأنها بدلا من أن تلقى به فى أى مكان أدخرته لصغارها. فهى مجرمة لزوجها رحيمة بصغارها، وهل هى تدرى ماذا فعلت. إنها الغريزة أن تستسلم للذكر، وأن تطعم صغارها بأسرع طريقة.

وتفعل نفس الشىء مع كل الذكور من أجل الصغار. وواضح هنا أن دور الذكر فى استمرار الحياة تافه جدا، فالأنثى قتلت ذكرا وأضافت عشرين فى كل مرة.

وقد استطاع بعض العناكب فى ملايين السنين أن يكون لهم دروس مستفادة، فلا يكاد الذكر يعلو الأنثى حتى يلفها وبسرعة هائلة بخيوط متينة فتكون عاجزة تماما عن الحركة، وتنشب أنيابها فى الهواء، ومما يضاعف أعباء هذه الأنثى القوية أن تمزق الخيوط، ثم تسعى لادخار الطعام لصغارها، وتضعه فى مكان أمين.. وفوقه تبيض.. وتنطلق بحثا عن ذكر آخر.. إن كثيرا من البشر يحسدون هذه العناكب.. النساء عندها أسباب للحسد، والرجال أيضا..

وفى القرآن ذكر للذباب أيضا يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾. (الحج ٧٣)

ويقول : ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ﴾. (الحج ٧٣)

الذباب مخلوق ضعيف منتشر فى كل موقع، لا قدرة لأحد أن يخلق واحدا منها، والذباب يسبب كثيرا من المضايقات للإنسان، والإنسان لا يستطيع أن يسترد المسلوب منه، وصغرها يساعد على الاختفاء، وهى متشابهة فلا يستطيع أن يتعرف على من سلب منه طعامه أو شرابه، ويحدد مقدار السلب، وهل تقبل نفسه أن يتناوله؟ إنه أعجز من ذلك. هذه بعض مخلوقات الله، وهذه بعض آياته فى أضعف مخلوقاته، وقد ضرب الله لنا الأمثال بهذه المخلوقات الضعيفة، ليبين سر العظمة فى هذه المخلوقات من مثل قوله تعالى : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾(البقرة ٢٦). سر العظمة فى البعوضة، فيها كل مقومات إدراكك، وما فوقها (فى الاستدلال) فما فوقها فى الصغر: (الناموسة – الميكروب). إن قدرة الصانع تتجلى فى دقة ضخامة ما يصنع، وفى دقة ما هو أقل من ذلك.. لقد خلق الكون، ووضع نواميسه، وخلق ما دون ذلك، وتتجلى عظمة الصنعة من ضخامتها أو من دقتها، من أجل ذلك جاءت الأمثال من صغائر المخلوقات حتى تظهر عجز الإنسان إزاءها، وذاك مثل آخر يضربه الله بالعنكبوت: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗا ﴾ (العنكبوت٤١)، ويقول: ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ (العنكبوت ٤١) وضرب الأمثال يقرب الأشياء

التى يمكن أن يقف العقل عندها، فالذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت، الذى يصنع ويتخذ الخيوط التى من لعابه بيتا له، ولو اتخذها وسيلة قوت لكان أجدى .. كذلك الذين اتخذوا الأصنام – إذا كان يلفتهم لعظمة الخالق فلا لوم – ولكنهم يتخذونها معبودا، وإن أوهى البيوت لبيت العنكبوت.

يقول الدكتور على جمعة عن الذباب:

فى معاجم اللغة تحليل لطيف لتلك الحشرة التى تعلمنا الصبر إذا أردنا أن نتعلمه وهى حشرة الذباب، حيث إنها سميت بذلك لأن هذا النوع كلما ذبه الإنسان عنه وأبعده فإنه يعود إليه. ولا يدرك الذباب أنه غير مرغوب فيه، وأنه قد أبعد منذ لحظات فى محاولة لطرده، بل قد تكون المحاولة لقتله أيضا، وهذه الصفة تجعل منه حشرة رذيلة، وهذه الرذالة تعنى أنها لا تدرك شأنها وعلاقة الآخرين بها، ولما كانت لا تدرك ضعفها، ولا رغبة الآخرين فى إبعادها، بل وإبادتها، فإنها تتصرف تصرفا غبيا، وعدم الإدراك مع الغباء يدل على أنها منعدمة الشعور والإحساس، مع شىء من البلادة.

وتحدث ربنا عن الذباب فى كتابه الكريم ضاربا به المثل حيث جمع بين الضعف وهذه الصفات التى تجعل المقابل له ضعيفا أيضا من شدة إصراره على العودة، وعدم اهتمامه بشعور الآخرين، كما أنه عندما يسلب منا شيئا من طعامنا أو شرابنا، بل من دمنا – إن كان من نوع مصاص الدماء – فإننا لا نستطيع أن نصل إلى استرداد حقوقنا منه سواء أخذها وطار، أو جعلناه تحت أيدينا وقتلناه، فإننا فى جميع الحالات لا نقدر على رد حقوقنا، فالمصيبة قد حلت بتسلطه علينا وسلبه منا ما استطاع أن

يسلب. ويحكى أن بعض الخلفاء سأل الشافعى رضى الله عنه : لأى سبب خلق الذباب؟ فقال : مذلة للمملوك، وكانت ألحت عليه ذبابة فقال الشافعى: سألنى ولم يكن عندى جواب فاستنبطته من الهيئة الحاصلة.

وتحدث ربنا عن الجانب القدرى فى تسليط هذه الحشرة على الإنسان، وأنه على الرغم من ضعفها وقلة حيلتها وصغر جسمها، إلا أن من دون الله لا يقدر أن يخلقها، بل هى مخلوق لله بهذه الصفات التى جعلتها كثيرة منتشرة بالرغم من كل الأنواع التى يقاوم بها الإنسان، وما بذلته الصين للقضاء على الذباب، والعصافير المسلطة على المحاصيل الزراعية. ومن أشهر الحملات التى شنت للقضاء على الذباب تلك التى نظمها الأمريكيون قبل الحرب العالمية الأولى حيث كانوا يخصصون خمس دقائق فى اليوم لقتل الذباب واصطياده. وهكذا كانت تدق الأجراس وصفارات الإنذار كل يوم فى الساعة الواحدة إلا خمس دقائق زوالا، فيخرج الجميع لأداء هذا الواجب طيلة خمس دقائق، يعودون بعدها إلى أعمالهم. وكانت تعرف هذه العملية فى جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية باليوم الوطنى للذباب.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ (الحج ٧٣).





ولما كان هذا النوع من المخلوقات التى تبين قدرة الله، ويضرب الله بها الأمثال للناس لعلهم يتفكرون لما كان هذا النوع شائعا أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما يدل على عالمية الإسلام، وأنه لكل زمان ومكان ولكل الأشخاص فى جميع الأحوال، وأنه دين الرحمة والعفو، وأنه دين اليسر والتيسير والرفق، وأنه دين حياة، حيث قال فيما أخرجه البخارى فى صحيحه (إذا وقف الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإنه فى أحد جناحيه شفاء وفى الآخرة داء) والأصل عند وقوع ميتة فى طعام أو شراب أن هذا الطعام ينجس فلا بد من إلقائه، وعدم أكله لأن أكل النجس حرام. هذا هو الحكم الأصلى، واستثنى منه هنا الذباب لشيوعه وعموم البلوى به، ورأفة بالفقراء فى دول الجفاف أو بالبدو أو حين الكوارث والحروب أو المجاعات لأنه لو وقع الذباب فى الإناء، ولم يكن الحكم جواز أكل ذلك لوجب عليه أن يهدر الأكل الذى هو فى أشد الحاجة إليه. فكان وراء هذا الحديث الذى يأنف منه كثير من الناس حكما رحيما بالآخرين، وهذا أساس لهم لفهم النصوص الشرعية.

فالحديث ليس فيه إلا توجيه يخفف عمن ابتلى بشىء من ذلك. أما أنا فآنف أغمس الذباب فى أكلى، ولا أفعله لأن هذا ليس أمرا شرعيا جاء به الشرع، وألزمنى به بل هو رخصة ورحمة..

وكثير من الناس لا يفرق بين المستويين: مستوى الرخصة التى تناسب عالمية الإسلام، ومستوى الواجب اللازم، أو المندوب المطلوب لإقامة حياة أكثر سعادة. ولقد ضل فى فهم هذا ثلاثة أقسام من الناس: قسم حول هذا إلى ذاك ودعا إليه شريعة. وقسم أنكر فمنهم من رفض أن يكون هذا حديثا، وقسم اعترض على الإسلام فى ذاته.

وقواعد.فهم الشريعة مهمة للغاية فى هذا المقام، فهى لا تجعل هناك إرهابا فكريا عند سماع ما تأباه النفوس، أو تعافه الثقافات، بل الشأن حينئذ التفكر والتدبر والسؤال، وليعلم من ينكر هذا أنه لم يرتكب إثما بسؤاله، فقد علمنا سيد البشر – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يعاف بعض الطعام ولا يحبه، ويترك غيره يأكله.

فأبى أن يأكل الضب، فعن ابن عباس قال: دخلت أنا وخالد بن الوليد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، بيت ميمونة، فأتى بضب محنوذ فأهوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيده. فقال بعض النسوة اللاتى فى بيت ميمونة أخبروا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما يريد أن يأكل. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يده. فقلت أحرام هو يا رسول الله؟ قال : لا، ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدني أعافه. قال خالد: فاجتررته فأكلته، ورسول الله صلى الله عليه وسلم– ينظر (متفق عليه).

وأبى أن يأكل الأرنب لمجرد إشاعة حولها، وهى أنها تحيض، فعن عبد الله بن عمرو: أن رجلا جاء بأرنب قد صادها، فقال: يا عبد الله ابن عمرو ما تقول، قال : قد جيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا جالس فلم يأكلها، ولم ينه عن أكلها، وزعم أنها تحيض. (رواه أبو داود).

وذكرنى الذباب أيضا بفريق من الناس يعيش بيننا لم يجد له أسوة إلا فى الذباب بهذه الصفات المذكورة، فإذا شعر أحد من الناس فى نفسه أنه كذلك فالنصيحة له أن يتدارك نفسه، وأن يخرج من هذه القدوة السيئة، والتأسى المنحرف، وليرجع إلى البشر وإلى أسوتهم الحسنى، ولينتمى إليهم

بشعوره ووجدانه، ويزيد من مساحة الحب فى قلبه بدلا من الحقد والكبر والاضطراب، وإن كان شعور الذبابيين بذلك لن يأتى إلا بأمر الله وهدايته لأن المفترض أنه بليد الحس والشعور، اللهم لا تجعلنا منهم، وقنا شرهم.

ومن صفات الذباب أيضا أنه يقف على كل شيء: على الأقذار، وعلى الطعام، وعلى الأجسام على السائل والجامد لا يبالى أين يقف، ولا من أين يأخذ ما يأخذ، ومن مثال ذلك أننا نراه يلتفت حول الجيد وحول الرديء، ويمكن مع كثرته لا نعرف على ماذا يقف على حلوى أو قمامة، ولذلك فى عالم الإنسان لم تكن الكثرة أبدا مقياسا للحق، فكم رأينا باطلا قد التف الناس حوله التفاف الذباب على القمامة، وكم رأينا حقا قد خلا من أى تبع، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ (المائدة ١٠٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبيَّ ليس معه أحد. (رواه مسلم). فالحق حق ولو لم يتبعه أحد، والباطل باطل ولو اتبعه الناس أجمعون. إن هذه القاعدة البسيطة أصبحت عند كثيرين محل نظر ومناقشة، على الرغم من أنها قاعدة غاية فى الخطورة، وهدمها يخفى وراءه الشيء الكثير.

ويذكرني الذباب بالفرق بين الحضارة الإسلامية، والحضارات الأخرى حيث نجد فى حضارتنا وموروثنا هذه الأداة التى ندفع بها الذباب مصنوعة من شعر الخيل، والدفع بها إما أن يبعدها وهو الغالب، وإما أن يقتلها، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت الحشرة قريبة وفى وضع معين. فى حين أن الأداة عند الآخرين صنعت من بلاستيك- وقد شاعت فينا لما

تركنا فلسفة حضارتنا وأنها كانت حضارة رحيمة بالإنسان والأكوان – وهذه الأداة الأخرى تقتل مباشرة، وأداتنا عن القتل لا تحطم الجسد، وهذه تحطم الجسد تحطيما شديدا.

ويذكرنى الذباب بعيونه المركبة التى ترى من كل اتجاه بأنه ليس مثالا للمؤمن الذى أمر بغض البصر، وعدم التدخل فى شىءون الآخرين، وعدم التلصص عليهم، قال تعالى :﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾. (النور ٣٠) وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ (سورة ق ٤٥)

حكاية الأرضة:

سيدنا سليمان – عليه السلام – الذى سخر الله له الجن تعمل بأمره، تحين وفاته والجن ماضية فيما كلفها عمله، وهى لا تعلم نبأ موته، حتى يدلهم على ذلك أكل الأرضة لعصاه، التى كان مرتكزا عليها، وسقوطه: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (سورة سبأ ١٤).

لقد كان سيدنا سليمان متكئا على عصاه حين وافاه أجله، والجن تروح وتجيء مسخرة فيما كلفها إياه من عمل شاق شديد، فلم تدرك أنه مات، حتى جاءت دابة الأرض. قيل إنها الأرضة التى تتغذى بالأخشاب، وهى تلتهم أسقف المنازل وأبوابها وقوائمها بشراهة فظيعة، فى الأماكن

التى تعيش فيها. وفى صعيد مصر قرى تقيم منازلها دون أن تضع فيها قطعة خشب واحدة خوفا من هذه الحشرة التى لا تبقى على المادة الخشبية ولا تذر.

فلما نخرت عصا سليمان، لم تحمله فخر على الأرض، وحينئذ فقط علمت الجن موته.

وعندئذ : ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ (سورة سبأ ١٤).

هكذا سخر الله لسليمان طائفة من الجن يعملون بأمره بإذن ربه. والجن كل مستور لا يراه البشر. وهناك خلق سماهم الله الجن ولا نعرف نحن من أمرهم شيئا إلا ما ذكره الله عنهم. وقد سخر الله طائفة منهم لنبيه سليمان – عليه السلام – فمن عصى منهم ناله عذاب الله، وهذا دليل خضوع الجن لله، فهم مسخرون بأمر الله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾(سورة سبأ ١٣)، والمحاريب من أماكن العبادة، والتماثيل والصور من نحاس وخشب وغيره، والجوابى جمع جابية، وهى الحوض الذى يجبى فيه الماء. وقد كانت الجن تصنع لسليمان جفانا كبيرة للطعام تشبه الجوابى، وتصنع له قدورا ضخمة للطبخ راسية لضخامتها، وهذه كلها نماذج مما سخر الله الجن لسليمان لتقوم له به حيث شاء بإذن الله.. وكلها أمور خارقة لا سبيل إلى تصورها أو تعليلها إلا بأنها من صنع الله.

توعد فرعون موسى – عليه السلام – بأن يسجنه إن لم يرجع عن دعوته ورسالته ويعود إلى حظيرة فرعون: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء ٢٩) ، فلم يفقد التهديد موسى رباطة جأشه .. وكيف وهو رسول الله؟ والله معه ومع أخيه هارون، فإذا هو يقول : "أَوَلَوْ جِئْتُكَ بآية" .. ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (الشعراء ٣٠) وحتى لو جئتك ببرهان واضح على صدق رسالتى فإنك تجعلنى من المسجونين؟ فطلب فرعون منه الدليل : ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (الشعراء ٣١). إن كنت من الصادقين فى دعواك، أو إن كنت من الصادقين فى أن لديك شيئا مبينا.

هنا كشف موسى عن معجزتيه الماديتين: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ (الشعراء ٣٢ ،٣٣) وقد أحس فرعون ضخامة المعجزة وقوتها، فأسرع يقاومها ويدفعها، وهو يحس ضعف موقفه، ويكاد يتملق القوم من حوله، ويهيج مخاوفهم من موسى وقومه، ليغطى على وقع المعجزة: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ (الشعراء٣٣). وأشار عليه الملأ، وقد خدعتهم مكيدته، وهم شركاء فرعون فى باطله، فأشاروا عليه أن يلقى سحره بسحر مثله، بعد التهيئة والاستعداد: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ أى أمهله وأخاه

إلى أجل، وابعث رسلك إلى مدائن مصر الكبرى، يجمعون السحرة المهرة، لإقامة مباراة للسحر بينهم وبينه.

ويحشد السحرة، والناس يجمعون للمباراة، وتبث فيهم الحماسة للسحرة ومن خلفهم من أصحاب السلطان، وتهيأ أرض المباراة بين الحق والباطل، أو بين الإيمان والطغيان.

﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾. لنترقب فوز السحرة وغلبتهم على موسى، وهكذا تجمع الجمع ليشهدوا المباراة بين السحرة وموسى عليه السلام.

واطمأن السحرة على الأجر والمكافأة إن كانوا هم الغالبين، ويتلقون من فرعون الوعد بالأجر الجزيل والقربى من عرشه الكريم: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ .

ولم يكترث موسى لهذا الحشد، ولجموع السحرة المحشودين من المدائن، لعرض أقصى ما يملكون من براعة، ووراءهم فرعون وملؤه، ذلك لا طمئنانه إلى الحق الذى معه، يتجلى هذا الاطمئنان فى تركه إياهم يبدأون: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴾ بلا مبالاة ولا تحديد ولا اهتمام.

وحشد السحرة أقصى مهارتهم، وأعظم كيدهم وبدأوا الجولة باسم فرعون وعزته: ﴿ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾.

ووقعت المفاجأة المذهلة التى لم يكن يتوقعها كبار السحرة، فلقد بذلوا غاية الجهد فى فنهم الذى عاشوا به وأتقنوه، وجاءوا بأقصى ما يملك السحرة أن يصنعوه. وهم جمع كثير محشود فى كل مكان. وموسى وحده، وليس معه إلا عصاه. ثم إذا هى تلقف ما يأفكون: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾.

وعهدهم بالسحر أن يكون تخييلا، ولكن هذه العصا تلقف حبالهم وعصيهم حقا، فلا تبقى لها أثرا. ولو كان ما جاء به موسى سحرا، لبقيت حبالهم وعصيهم بعد أن خيل لهم وللناس أن حية موسى ابتلعتها. ولكنهم ينظرون فلا يجدونها فعلا: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾.

لقد وقع الحق، وبطل ما كان يفعل المكذبون، فغلبوا هنالك، وانقلبوا صاغرين: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾.

عصا موسى التى كان يتوكأ عليها، ويهش بها على غنمه، وله فيها مآرب أخرى، ذلك أقصى ما يعرفه موسى عن تلك العصا أن يتوكأ عليها وأن يضرب بها أوراق الشجر لتتساقط فتأكلها الغنم – وقد كا يرعى الغنم لشعيب – فقال له الله : ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ .

وقعت المعجزة فدهش لها موسى وخاف : ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ ونردها عصا.. واطمأن موسى والتقط الحية، فإذا هى تعود سيرتها الأولى.. عصا..

وقد كانت لموسى تسع آيات ذكرها القرآن الكريم فى قول الله تعالى : ﴿ ولقد ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ﴾(الإسراء ١٠١)، وهذه الآيات التسع هى: يده – عصاه – لسانه – البحر – الطوفان – الجراد – القمل – الضفادع – الدم .. ويمكن أن يقال : ألا تشركوا بالله شيئا – ولا تسرقوا – ولا تزنوا – ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق – ولا تسحروا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف ولا تعدوا فى السبت..

وعن آياته سبحانه وتعالى يقول أيضا : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف ١٣٣). قيل هو صغير الجراد الذى لا أجنحة له، وكثر الله عندهم الجراد والقمل والضفادع، حتىٰ كانت تدخل بيوتهم، وآنيتهم وفراشهم، وتأكل أقواتهم، وتدخل بين ثوب أحدهم وجلده.. وفى ذلك آيات لقوم يعقلون. وفى مشهد آخر من مشاهد القرآن الكريم يصور فيه الناس يوم القيامة خشعا أبصارهم، مسرعين بنظرهم قبل داعيهم كالجراد فى انتشارهم، فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (القمر ٧).

"أبرهة" الحاكم الحبشى لليمن أراد أن يصرف الناس عن الكعبة، فقرر هدمها وقاد جيشا جرارا تصاحبه الفيلة، وفى مقدمتها فيل عظيم ذو شهرة خاصة عندهم. فتسامع العرب به وبقصده، وعز عليهم أن يتوجه لهدم كعبتهم. فوقف فى طريقه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن البيت الحرام، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، ولكنه هزم وأخذه أبرهة أسيرا.. ثم وقف له فى الطريق ففر آخر من العرب، فهزمهم كذلك، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه رجال من ثقيف فقالوا له: إن البيت الذى يقصده ليس عندهم إنما هو فى مكة. وذلك ليدفعوه عن بيتهم الذى بنوه للات، وبعثوا معه من يدله على الكعبة.

فلما كان أبرهة بين الطائف ومكة، بعث قائدا من قواته حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، فأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يؤمئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة رسولا إلى مكة يسأل عن سيد هذا البلد، ويبلغه أن الملك لم يأت لحربهم وإنما جاء لهدم هذا البيت، فإن لم يتعرضوا له فلا حاجة له فى دمائهم، فإذا كان سيد البلد لا يريد الحرب جاء به إلى الملك.. فلما كلم عبد المطلب فيما جاء به قال له: والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة. هذا بيت الله الحرام. وبيت خليله إبراهيم عليه السلام.. فإن

يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندما دفع عنه.. فانطلق معه إلى أبرهة..

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه، وقال له ما حاجتك؟ فقال : حاجتى أن يرد علىّ الملك مائتى بعير أصابها لى. فقال أبرهة: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى. أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه؟ قال له عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل. وإن للبيت ربا يحميه، فرد عليه إبله.

وانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، ثم قام فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه.

ووجه أبرهة جيشه، وفيله لما جاء له. برك الفيل دون مكة لا يدخلها، وجهدوا فى حمله على اقتحامها فلم يفلحوا. وهذه الحادثة ثابتة بقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الحديبية حين بركت ناقته القصواء دون مكة، فقالوا : حرنت القصواء، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "ما حرنت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل..".

وفى الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال يوم فتح مكة : "إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت جرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب".

وكان ما أراده الله من إهلاك الجيش وقائده، فأرسل عليهم جماعات من الطير تحصبهم بحجارة من طين وحجر، فتركتهم كأوراق

الشجر الجافة الممزقة.. وأصيب أبرهة فى جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء، فما مات حتى انشق صدره عن قلبه.

ألا ترى معى أن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، فهذا الطاغية الذى أراد أن يهدم البيت، أرسل الله عليه من الطير ما يوصل إليه مادة الجدرى أو الحصبة، فأهلكته وأهلكت قومه، قبل أن يدخل مكة.. ونحن نسمع اليوم بما يسمى بأنفلونزا الطيور، وأن هذا الحيوان الصغير- الذى يسمونه بالمكروب أو الفيروس - لا يخرج عنها. وأن هذا الفيروس بات خطرا يهدد الناس فى البلدان التى ظهر فيها هذا الوباء، وباتت السلطات والحكومات تبيد الطيور بكميات لا حصر لها، واتخذت الإجراءات الوقائية فى كل البقاع كى لا يتسرب هذا الوباء.. فانظر كيف لحيوان صغير يهدد العالم بأساطيلهم وقوتهم وعتادهم وقضنهم وقضيضهم، وقد رأينا مما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل - وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما -.ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر، ولا يدرك بالبصر، حيث ساقه القدر. لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر.

والذى دفع أبرهة إلى هذه الحرب هو أنه كان قد بنى كنيسة فى اليمن باسم ملك الحبشة، وجمع لها كل أسباب الفخامة، على نية أن يصرف بها العرب عن البيت الحرام فى مكة، وقد رأى مبلغ انجذاب أهل اليمن الذين يحكمهم إلى هذا البيت، شأنهم شأن بقية العرب فى وسط الجزيرة وشماليها كذلك، وكتب إلى ملك الحبشة بهذه النية. وهيهات أن ينصرف العرب عن بيت المقدس فهم أبناء إبراهيم وإسماعيل أصحاب هذا البيت.. فكان ما كان من أمر أبرهة، وصدق الله العظيم:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة الفيل).

الفصل الخامس

حكاية الطير

حكاية الذئب

حكاية كلب أهل الكهف

من عناصر البناء القصصى

الصنعة الإلهية

إننا لا نعرف شيئا عن حقيقة الموت وحقيقة الحياة، والسر الغامض وراءهما، ولكننا ندرك مظاهرهما فى الأحياء والأموات، ونحن البشر نوكل مصدرهما إلى قوة الله تعالى..

وسيدنا ابراهيم عليه السلام – وهو رسول موهوب – أراد أن يطمئن لسر الموت والحياة، فسأل ربه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة ٢٦٠).

لم يسأل إبراهيم ربه هذا السؤال لأنه ينكر أن الحياة والموت بيد الله، وإنما هو سؤال للمؤانسة، يكشف عما يختلج أحيانا من الشوق والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الإلهية فى قلوب أقرب المقربين. إنه لم يطلب برهانا أو ما يقوى ايمانه، إنما هو أمر آخر، له مذاق آخر. إنه أمر الشوق الروحى، إلى ملابسة السر الإلهي، فى أثناء وقوعه العملى. ومذاق هذه التجربة فى الكيان البشرى مذاق آخر غير مذاق الإيمان بالغيب ولو كان هو إيمان إبراهيم الخليل، الذى يقول لربه، ويقول له ربه، وليس وراء هذا إيمان، ولا برهان للإيمان. ولكنه أراد أن يرى يد القدرة وهى تعمل، ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيستروح بها، ويتنفس فى جوها، ويعيش معها.. وهى أمر آخر غير الإيمان الذى ليس بعده إيمان.

لقد كان ينشد اطمئنان الأنس إلى رؤية يد الله تعمل، واطمئنان التذوق للسر المحجب وهو يجلى ويتكشف. ولقد كان الله يعلم إيمان عبده وخليله، ولكنه سؤال الكشف والبيان، والتعريف بهذا الشوق وإعلانه، والتلطف من السيد الكريم الودود الرحيم، مع عبده الأواه الحليم المنيب.

ولقد استجاب الله لهذا الشوق والتطلع فى قلب إبراهيم، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة.. لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن منه ويميلهن إليه، حتى يتأكد من صفاتهن وميزاتهن التى لا يخطئ معها معرفتهن. وأن يذبحهن ويمزق أجسادهن. ويفرق أجزاءهن على الجبال المحيطة. ثم يدعوهن. فتتجمع أجزاؤهن مرة أخرى، وترتد إليهن الحياة، ويعدن إليه ساعيات..

ورأى إبراهيم السر الإلهى يقع بين يديه، سر هبة الحياة، الحياة التى جاءت أول مرة بعد أن لم تكن، والتى تنشأ مرات لا حصر لها فى كل حى جديد.

رأى إبراهيم هذا السر يقع بين يديه.. طيور فارقتها الحياة، وتفرقت، مزقها فى أماكن متباعدة. تدب فيها الحياة مرة أخرى، وتعود إليه سعيا.. إنه من أمر الله.

وإذا كان الله قادرا على أن يجرى المعجزات على يد واحد من خلقه، كما واجه سيدنا عيسى عليه السلام بنى إسرائيل بمعجزة النفخ فى الموات فيدخله سر الحياة، وإحياء الموتى من الناس: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ

وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران ٤٩).. فهو قادر على خلق ذلك الواحد من غير مثال.. سبحان الله ..﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى ﴾ (المائدة ١١٠) معجزة لا يقدر عليها بشر إلا بإذن الله، عيسى عليه السلام يصور من الطير كهيئة الطير بإذن الله، فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله.

ومشهد الطير مسخرات فى جو السماء، مشهد نراه كل يوم، ولكن لا ندرك سر طيرانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل ٧٩) بنواميسه التى أودعها فطرة الطير وفطرة الكون من حولها، وجعل الطير قادرة على الطيران، وجعل الجو من حولها مناسبا لهذا الطيران، وأمسك بها الطير لا تسقط وهى فى جو السماء.. معجزة يحار فيها العقل البشرى.. : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ . (الملك ١٩).

انظر إلى من حولك من خلق الله فى السماوات والأرض – الكل يسبح بحمد الله – حتى الطير صافات أرجلها وهى طائرة فى الفضاء تسبح بحمد الله : ﴿وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ﴾ ، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ لم يترك الله شيئا من خلقه بدون تدبير يشمله، وعلم يحصيه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ ﴾ (الأنعام ٣٨).

ما من دابة تدب على الأرض – من حشرات وهوام وزواحف وفقاريات – وما من طائر يطير بجناحيه فى الهواء إلا وهو ينتظم فى

أمة، ذات خصائص واحدة، وذات طريقة فى الحياة واحدة كذلك.. شأنها فى ذلك شأن أمة الناس..

وتسبح الطيور لله عز وجل، يقول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (النور ٤١) ولاشك أن الطيور من أعجب المخلوقات فى هذا الوجود، لأنها معلقة فى الهواء، ولم يكن الناس يعلمون السر العلمى فى ذلك، إلى أن اكتشف العلماء سر تعلق الطيور فى جو السماء، إنه يكمن فى الهندسة الإنشائية فى خلق الجناح، وتوزيع الريش فيه.. فتيار الهواء يحمل الجناح إلى أعلى، والجناح مثبت فى جسد الطائر، وبذلك يطير الطائر بواسطة جناحين. وقلد المهندسون جناح الطائر فصنعوا الطائرات، ونجد ذلك فى قول الله – عز وجل– : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ ﴾ . (الأنعام ٣٨).

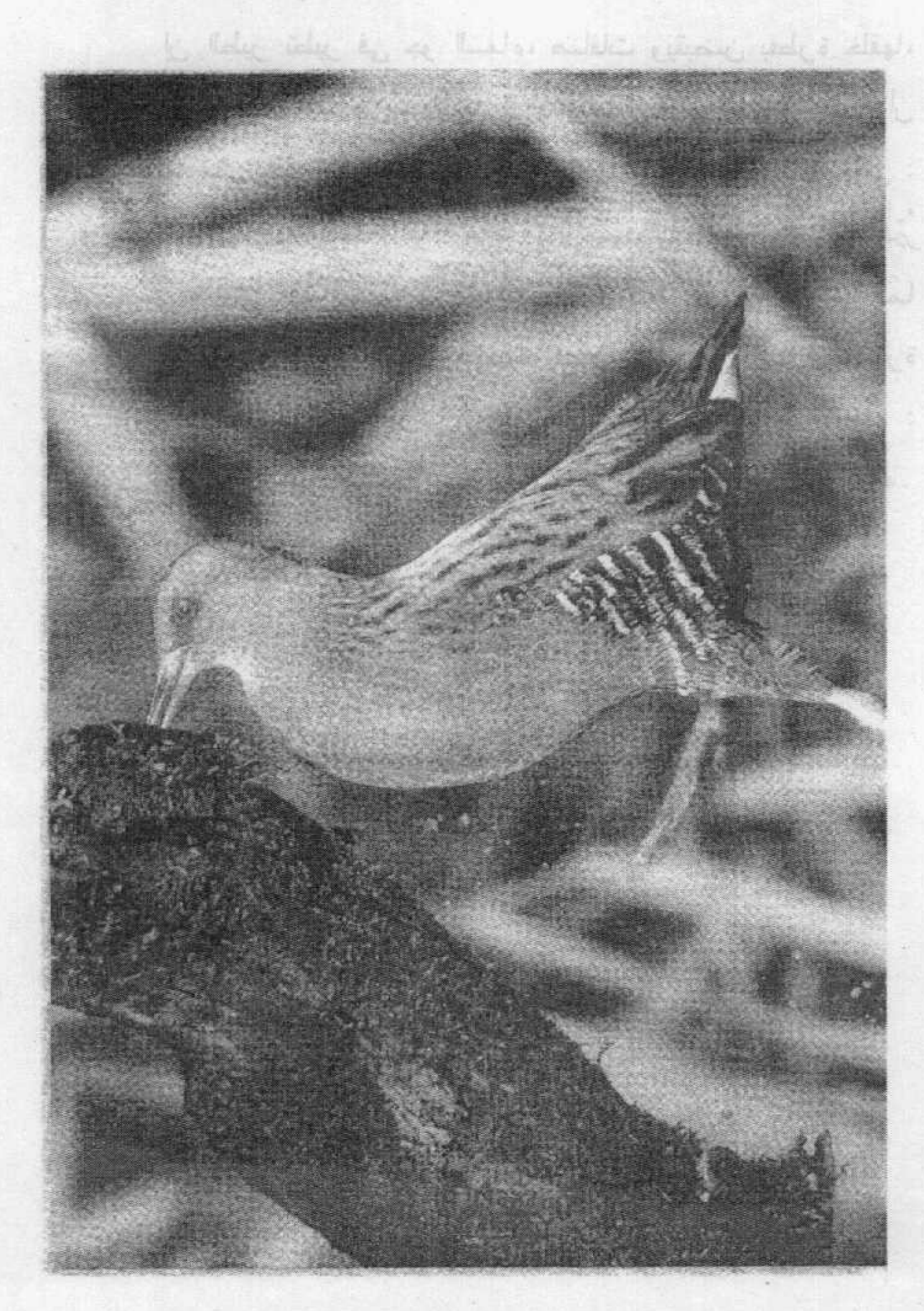
أثناء النهار ترتفع حرارة الهواء القريب من سطح الأرض، فيرتفع إلى أعلى فى السماء، هناك تبسط الطيور أجنحتها فتحملها تيارات الهواء الصاعدة، أما أثناء الليل فتتوقف تلك التيارات الصاعدة، لذلك لا تصف الطيور ليلا بل ترف..

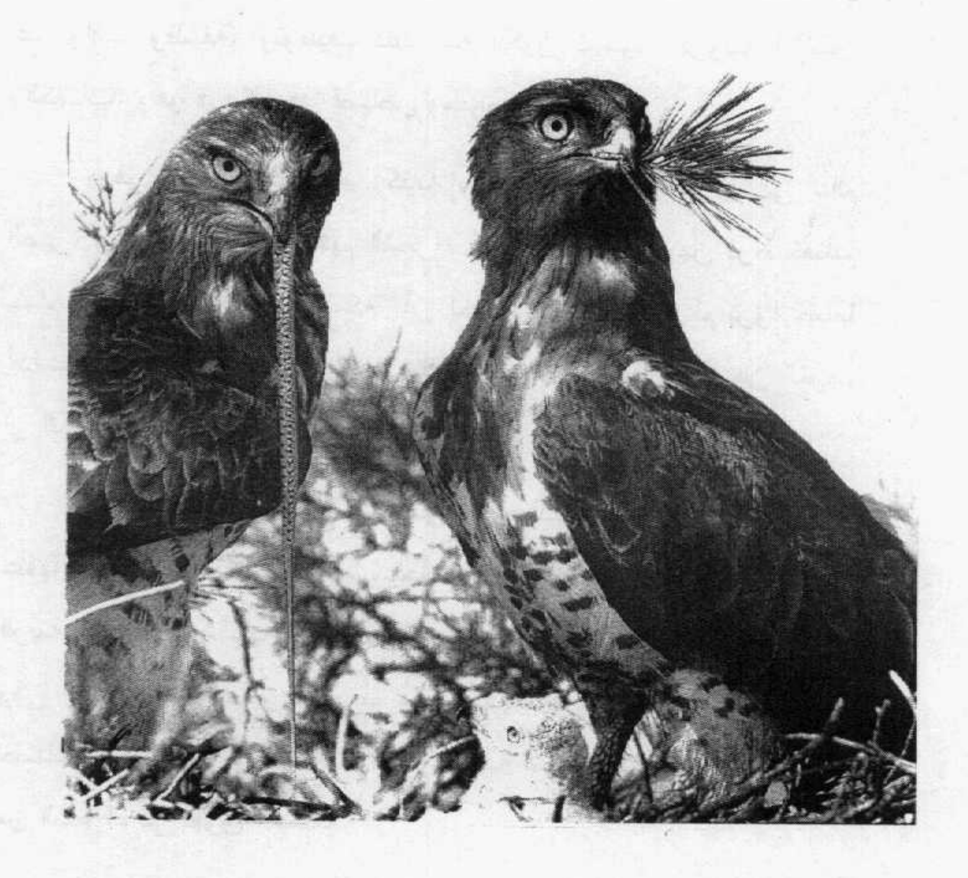
والطير مسخرات فى جو السماء، ومعلقات فى السماء بفطرة خلقها، والتى هى فى قدر الله تعالى وأمره، وانصياع الطير لفطرة خلقها هو عين الصلاة والتسبيح لله تعالى..

إن كل القوانين الفيزيائية التى من شأنها سباحة الطيور فى السماء هى من تقدير الله تعالى وآياته فى خلقه، كما قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟

إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل ٧٩).

إن الطير تطير فى جو السماء، صافات ويقبضن بفطرة خلقها، وهذا هو تسبيحها وهذه هى صلاتها – ثم نزلت آية سورة النور تبين أن الطير مثله مثل باقى أمم المخلوقات تسبح خالقها –عز وجل– قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾. وأثبت الله تعالى التسبيح للطير مع النبى داود فى سورة الأنبياء ٧٩، وسبأ ١٠، وص ١٩، كما قال تعالى فى سورة الأنبياء : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾.





يعتبر كتاب "الحيوان" للجاحظ أحد أهم عيون التراث العربى وهو يعكس قدرة باهرة ومقدرة ملحوظة للجاحظ، ويعكس أيضا مدى ما يتمتع به من حس أدبى، ومقدرة على الملاحظة والسرد وتضفير المعارف المختلفة من علم وأدب وفلسفة، وتوظيف ذلك كله ليكون تجسيدا الرؤيته للإنسان والكائنات، وهو فى كل هذا قصاص ومصور ماهر.

وفى الجزء الثالث من كتابه يدلف "الجاحظ" بالقارئ إلى عالم الطير، ومنه الحمام الذى ألهم الشعراء كثيرا.. وقيل إنه من فرط تعظيم حمام البيت الحرام أن أهل "مكة" عن آخرهم يشهدون أنهم لم يروا حماما أبدا سقط على ظهر الكعبة إلا من علة عرضت له. وقد شاع عن العرب أن الحمامة هى التى كانت دليل "نوح" ورائده.

وكما يقول الجاحظ هى التى استجعلت عليه الطوق الذى فى عنقها، وعند ذلك أعطاها الله سبحانه وتعالى تلك الحلية، ومنحها تلك الزينة بدعاء "نوح" عليه السلام حين رجعت إليه ومعها من الكرم ما معها، وفى رجليها من الطين والحمأة ما برجليها، فعوضت من ذلك الطين خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق. ولقد أبدع كثير من الشعراء فى طوق الحمامة.

والحمام كما يرى "الجاحظ" منه الوحشى والأهلى والبيوتى والطورانى، وكل طائر يعرف بالزواج وبحسن الصوت والهديل والدعاء فهو حمام وإن خالف بعضه بعضا فى بعض الصوت واللون، وفى بعض القد ولحن الهديل.

ويشير "مثنى بن زهير" وهو من عاشقى عالم الحمام أن من بين صفات الحمام الوفاء، فقد يقص صاحبه ريشه بعد أن عاش عنده وقتا

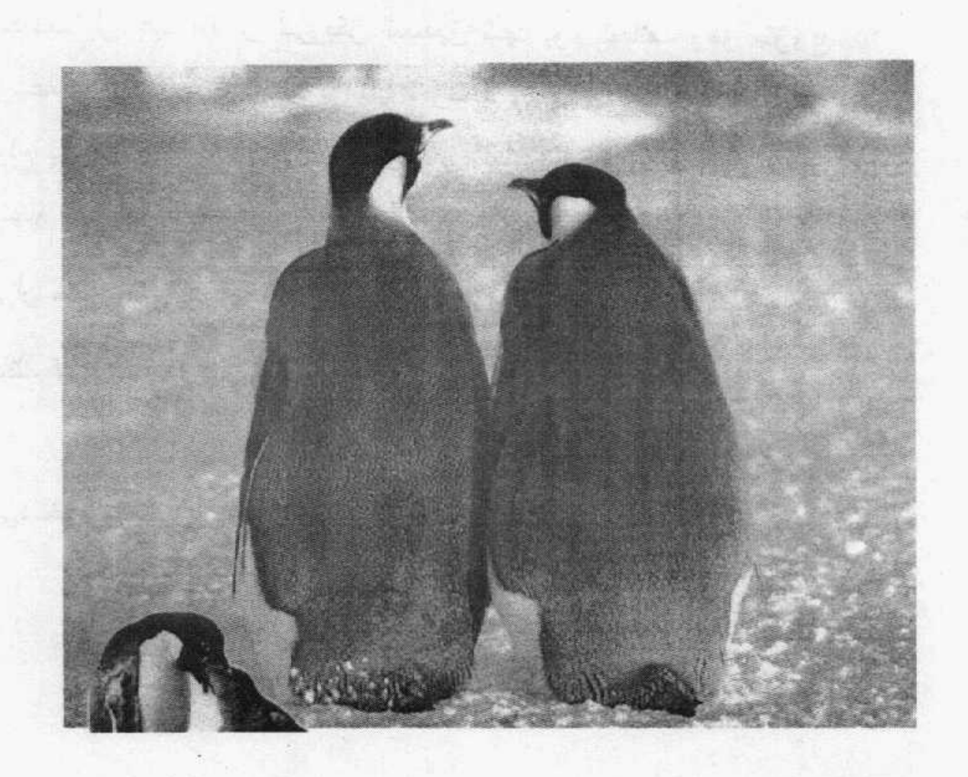
طويلا من الزمن، ومع هذا فإن الحمام عندما ينبت ريشه، ويصبح قادرا على الطير يعودِ إلى صاحبه.

وللحمام دلالة رمزية فيما بين الأزواج والمحبين، فقد ذكر "الجاحظ" أن عبد الله بن أبى بكر الصديق شهد يوم الطائف وهو متزوج من عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل، وقد تزوجها وكانت حسناء جميلة، فأولع بها وشغلته عن غزواته، فأمره أبوه بطلاقها، ففعل ثم تبعتها نفسه واشتاق لها وقال:

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلــها ... ولا مثلها فى غير جرم تطلق

أعاتك لا أنساك ما هبت الصبا ... وما ناح قمرى الحمام المطوق

وقد روى أن رجلا جاء على بن أبى طالب يشكو الوحدة، فقال له على: خذ زوجا من حمام تؤنسك، وتوقظك للصلاة..



سبحان الله



هذا الطائر عجيب

طائر نرجسى، يمشى فى خيلاء، موطنه الأصلى الجزيرة العربية، وإيران، وأجود سلالاته النعام أسود الرقبة الذى يتميز عن النوعين أزرق الرقبة وأحمرها، بلون الريش، وسمك الجلد، وهدوء الطباع، وغزارة البيض "١٢٠ بيضة فى السنة" مع قصر الساقين اللتين تحملان فوقهما ١٢٠ كيلو من اللحم، وهو طائر يأكل العشب، ولا يطير.. ولا يقفز، صحراوى الإقامة، ويباع لحمه بأثمان مرتفعة، ويتميز بالألياف اللينة السهلة السريعة الطهور، ويتمتع لحمة بأقل نسبة كوليسترول، أما جلد النعام فيصنع منه أجود أنواع الأحذية والشنط، وتباع بسعر مرتفع، ناهيك عن ريشه الذى يستخدمُ فى أعمال التنجيد الفاخر والاكسسوارات الحريمى، وحديثا تجرى الدراسات للاستفادة من قرنية النعام لعلاج مرضى "عتامة القرنية".

وحديثا تجرى الدراسات للاستفادة من قرنية النعام لعلاج مرضى "عتامة القرنية".

ويصف العلماء هذا الطائر بأنه سريع الجرى "٦٠ كيلو / ساعة" محدود الذكاء، صغير الحجم، وزن مخه ٤٠ جراما، حاسة إبصاره قوية، ويدافع عن نفسه بالرفس للأمام، ويقترب عمر النعامة من عمر الإنسان "٧٠ عاما"، وعمرها الإنتاجى "٤٠ سنة" ، وتضع الأنثى بيضها كل يومين مرة، وخلال عمرها الإنتاجى تضع ٢٥٠٠ بيضة، وزن البيضة ١,٥ كيلو جرام.

وهو طائر اقتصادى التربية غير مكلف، وعندما يصل عمر النعامة إلى تسعة أشهر تحمل من اللحم ما زنته ١١٠ كيلو جرامات، وعند ذبحه لا يتبقى منه شيئا، فحتى عظامه تطحن لتكون غذاء له، وأعينه محاطة برموش طويلة كحيلة لحمايتها، وله جفن ثالث يحمى العين من العواصف.

إخوة سيدنا يوسف يتحدثون عن إيثار أبيهم يعقوب – عليه السلام – ليوسف وأخيه الشقيق عليهم –﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة"، وهم أبناء نبى، وتضخم فى أعينهم حكاية إيثار أبيهم ليوسف بالحب..

ها هم أولاء عند أبيهم، يراودونه فى اصطحاب يوسف معهم، لأنه كان يستبقى يوسف معه ولا يرسله مع إخوته إلى المراعى والجهات الخلوية التى يرتادونها لأنه يحبه ويخشى عليه ألا يحتمل الجو والجهد الذى يحتملونه وهم كبار. وها هم يخادعون أباهم، ويمكرون به وبيوسف: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ قلوبنا له صافية لا يخالطها سوء وهم يخفون الكيد له: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ زيادة فى التوكيد، وتصويرا لما ينتظر يوسف من النشاط والمسرة والرياضة، مما ينشط والده لإرساله معهم كما يريدون : ﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ إننى لا أطيق فراقه، فهاجت هذه أحقادهم وضاعفتها. أن يبلغ حبه له درجة الحزن لفراقه ولو لبعض يوم: لئن غلبنا الذئب عليه ونحن جماعة قوية هكذا فلا خير فينا لأنفسنا وإننا لخاسرون كل شىء، فلا نصلح لشىء أبدا.

واستسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد ولذلك الإحراج، والآن لقد ذهبوا به، وها هم أولاء ينفذون المؤامرة النكراء. والله – سبحانه وتعالى– يلقى فى روع الغلام أنها محنة وتنتهى، وأنه سيعيش وسيذكر إخوته

بموقفهم هذا منه وهم لا يشعرون. واستقر أمرهم جميعا أن يجعلوه فى غيابة الجب، حيث يغيب فيه عنهم. وفى لحظة الضيق والشدة التى كان يواجه فيها هذا الفزع، والموت منه قريب، ولا منقذ له ولا مغيث، وهو وحده صغير وهم عشرة أشداء. فى هذه اللحظة اليائسة يلقى الله فى روعه أنه ناج، وأنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ .

لقد كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلا على التسرع، وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس، وهم ينفونها، ويكادون يتهكمون بها. فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا فى الصباح الباكر ليتركوا يوسف للذئب الذى حذرهم أبوهم منه أمس. وبمثل هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لطخوه فى غير إتقان، فكان ظاهر الكذب حتى ليوصف بأنه كذب.

وأدرك يعقوب – عليه السلام – من دلائل الحال، ومن نداء قلبه، أن يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم دبروا له مكيدة ما. وأنهم يلفقون له قصة لم تقع، ويصفون له حالا لم تكن. فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمرا منكرا وذللته ويسرت لهم ارتكابه، وأنه سيصبر متحملا متجملا لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو، مستعينا بالله على ما يلفقونه من حيل وأكاذيب ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ .

هذا هو يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم – عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين– عانى صنوفا من المحن والابتلاءات: محنة كيد الإخوة، ومحنة الجب والخوف والترويع فيه، ومحنة الرق وهو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد وغيرها وصبر يوسف – عليه السلام –.

وقد وردت قصة يوسف فى القرآن الكريم كاملة بتمامها وبطولها فى سورة واحدة، وهو طابع متفرد فى السور القرآنية جميعا، فالقصص القرآنى يرد حلقات: كل حلقة منها أو مجموعة حلقات موضوع السورة واتجاهها وجوها يتناسب مع هذه الحلقات أو هذه الحلقة، وحتى القصص الذى ورد كاملا فى سورة واحدة كقصص هود وصالح ولوط وشعيب ورد مختصرا مجملا ...

حكاية كلب أهل الكهف

أصحاب الكهف فتية آووا إلى الكهف وهم مؤمنون، وناموا سنين، ثم بعثوا من رقدتهم الطويلة. هؤلاء الفتية اعتزلوا قومهم، وهجروا ديارهم، وفارقوا أهلهم، وتجردوا من زينة الأرض ومتاع الحياة، فقد تبين لهم الهدى فى وسط ظالم كافر، فقد اتخذ قومهم لأنفسهم من دون الله آلهة، ولا حياة لهم فى هذا الوسط إن هم أعلنوا إيمانهم، ففروا بدينهم إلى الله، وأن يختاروا الكهف على زينة الحياة، هؤلاء يستروحون رحمة الله.

والشمس تطلع على الكهف فتميل عنه كأنها متعمدة. والشمس تغرب فتجاوزهم إلى الشمال وهم فى فجوة منه.. وضعهم هكذا فى الكهف والشمس لا تنالهم بأشعتها وتقرب منهم بضوئها. وهم فى مكانهم لا يموتون ولا يتحركون. وهم يقلبون من جنب إلى جنب فى نومتهم الطويلة. فيحسبهم الرائى أيقاظا وهم رقود. وكلبهم باسط ذراعيه بالفناء قريبا من باب الكهف كأنه يحرسهم. وهم فى هيئتهم هذه يثيرون الرعب فى قلب من يطلع عليهم. إذ يراهم نياما كالأيقاظ، يتقلبون ولا يستيقظون، كى لا يعبث بهم عابث، حتى يحين الوقت المعلوم.

ويستيقظ الفتية وهم لا يعرفون كم لبثوا منذ أن أدركهم النعاس.. إنهم يفركون أعينهم، ويلتفت أحدهم إلى الآخرين فيسأل: كم لبثتم ؟ كما يسأل من يستيقظ من نوم طويل.. ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ إنهم جائعون ولديهم نقود فضية خرجوا بها من المدينة : قالوا : ﴿ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾أى فليختر، طيب طعام فى المدينة فليأتكم بشىء منه. وهم يحذرون أن ينكشف أمرهم،

فيأخذهم أصحاب السلطان فى المدينة فيقتلوهم رجما، بوصفهم خارجين على الدين لأنهم يعبدون إلها واحدا فى المدينة المشركة.

من أجل ذلك يتناجى الفتية فيما بينهم، حذرين خائفين، لا يدرون أن الأعوام قد كرت، وأن عجلة الزمن قد دارت، وأن أجيالا قد تعاقبت، وأن مدينتهم التى يعرفونها قد تغيرت معالمها، وأن المتسلطين الذين يخشونهم على عقيدتهم قد دالت دولتهم، وأن قصة الفتية الذين فروا بدينهم فى عهد الملك الظالم قد تناقلها الخلف عن السلف، وأن الأقاويل حولهم متعارضة، حول عقيدتهم، وحول الفترة التى مضت منذ اختفائهم.

إن أهل المدينة اليوم مؤمنون، فهم شديدو الحفاوة بالفتية المؤمنين بعد أن انكشف أمرهم بذهاب أحدهم لشراء الطعام، وعرف الناس أنه أحد الفتية الذين فروا بدينهم منذ عهد بعيد.

لقد كان هناك جدل حول عدد الفتية: ثلاثة أو خمسة أو سبعة أو أكثر، علمهم عند الله: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ .

ويقرر عالم غيب السماوات والأرض كم لبث الفتية فى الكهف إذ يقول : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ .

إن العبرة فى خاتمة هؤلاء الفتية هى دلالتها على البعث بمثل واقعى محسوس قريب. يقرب إلى الناس قضية البعث. فيعلمون أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة لا ريب فيها.. وعلى هذا النحو بعث الله الفتية من نومتهم وأعثر قومهم عليهم..

تقول الآيات الكريمة من سورة الكهف :﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ

بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (٩-١٨).

الكلب

هو الحيوان اليقظ النشط الوفى، يُنتفع به فى كثير من المجالات، وفى التراث الادبى والتاريخى ذكر عن الكلاب، وفى التراث الدينى أيضاً. ولعل هذا ما جعل الشعراء القدامى والمحدثين يؤكدون هذه السمات فى الكلب، بل إن بعضهم رَثَاهُ فى بعض قصائدهم حزنا عليه، وباعتباره المعادل الموضوعى فى مقابل الإنسان، أو بمعنى آخر الذى يرفعه تميز سمة أخلاقية فيه بما يقل وجوده فى الإنسان نفسه كالوفاء مثلا، حتى يبدو متعادلا معه، هو ضرب من خلق الحافز للرقى فى نفس بليدة، استنامت للنقائص والعيوب دون أن تعمل من جانبها على مفارقة وهدتها، والسمو فوقها بما يتفق وما خُلق من أجله الإنسان سيد الكائنات كما هو معلوم. وهو ما يكون بمثابة المربى غير المباشر له بوسائل غير تقليدية.

ولعل فى رواية الدميرى ما يؤكد هذا المعنى، فقد روى فى كتابه "حياة الحيوان" أن محمد بن حرب قال: دخلت على العتابى يوما فوجدته جالسا على حصير، وبين يديه شراب فى إناء، وكلب رابض بالفناء، بحياله يشرب كأسا ويولغه أخرى، فقلت له: ما الذى أردت بما اخترت؟ فقال : اسمع، إنه يكف عنى أذاه، ويكفينى أذى من سواه، ويشكر قليلى، ويحفظ مبيتى ومقيلى، وهو من الحيوان خليلى.

قال محمد بن حرب: فتمنيت والله أن أكون كلبا له لأحوز هذا النعت منه.

وللكلب دور فى غاية الأهمية فى قصة أهل الكهف، حيث يبين لنا القرآن الكريم هذا الدور فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف ١٨)، ويقول : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟يْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ (الكهف ٢٢).

فالكلب حيوان معروف؛ لكنه ينفرد من بين الحيوانات جميعا بخصيصة تكاد تكون قاصرة عليه، إذ نرى لسانه دائما فى حركة مستمرة، وهى حركة داخلية خارجية، فالكلب يخرج لسانه من فمه مرة، ثم يدخله فى فمه مرة أخرى. وهذه الحركة تسمى لغويا بـــ (اللهث)، وهو ما نجده فى القرآن الكريم. ويعرف اللهث علميا بأنه عبارة عن سرعة ضربات القلب، وسرعة الشهيق، وسرعة الزفير بسبب العطش أو الحر أو التعب والإرهاق والإعياء.

ومن العجيب، أن الإنسان لو أصغى بأذنيه إلى الكلب وهو يلهث فسيسمع بوضوح الحرفين (هـــ ث) هكذا : هث .. هث .. أى بصورة تكون فيها الهاء مفتوحة، والثاء ساكنة، بل إنه سيسمع قبل هذين الحرفين

تلك اللام الكائنة فى الفعل المضارع (يلهث). سيسمعها مضبوطة بالسكون كذلك عند اضطراب اللسان داخل الفم بين طرف اللسان واللثة العليا.

وهناك حيوانات تلهث، فتخرج ألسنتها من أفواهها مثل الحمير والخيل والبغال والبقر، والجاموس. إلا أن هذه الحيوانات ونظائرها لا تلهث إلا تحت تأثير مؤثر من المؤثرات. أما الكلب فإنه يلهث دائما سواء وجد المؤثر أم لم يوجد؛ فهو يلهث فى حال التعب، وفى حالة الراحة، وفى حالة الرى، وفى حال العطش، وفى الحر، وفى البرد. وسبب ذلك علميا : أن الكلب هو الحيوان الوحيد الذى ليس بجسمه مسام يخرج منها العرق الذى يتطاير فى الجو حاملا معه بعض حرارة الجسم، وينتج عن ذلك تلطيف درجة حرارة الجسم بما تناقص منها. أما الكلب فليس له هذه المسام، فهو يخرج لسانه خارج فمه، فيتطاير لعابه فى الجو حاملا معه حرارة الجسم، فتتناقص حرارة جسمه، لذلك يشاهد لسانه فى تلك الحركة الدائبة وهو يلهث..

يخرج لسانه فيجف ما عليه من لعاب، فإذا جف اللسان، وتطاير اللعاب حاملا بعض حرارة الجسم أدخله الكلب مرة أخرى إلى فمه فيتبلل ويرطب باللعاب.. وهكذا.

لذلك فإن القرآن الكريم كان فى غاية الدقة والإعجاز حين اختار الكلب من بين كل الحيوانات، ليضربه مثلا حيا للرجل الذى آمن، ثم كفر وانسلخ عن الإيمان، واتبع هواه، فعاش مثال الذلة والهوان.. قال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ

بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف ١٧٥-١٧٦).

لقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرة ذلك الرجل وكيانه، ثم إذا هو ينسلخ من هذا كله انسلاخا.. ينسلخ كأنما الآيات أديم له، متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحى من أديمه اللاصق به، ويتجرد من الغطاء الواقى، والدرع الحامى، وينحرف عن الهوى، ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم، فيصبح غرضا للشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام، فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه، فيهبط عن مكان الإنسان إلى مكان الحيوان، وأى حيوان؟

إنه الكلب الذى يلهث إن طورد، ويلهث - أيضا - إن لم يطارد، لقد صار هذا المنسلخ من آيات الله حائرا قلقا.. لاهثا لهاث الكلب أبدا. وهكذا جاء ذكر الكلب بهذه الصفة فى هذا المقام القرآنى كاشفا عن خسة ذلك الكافر وحقارته، ومما زاد فى الصلة بين الاثنين: أن ذلك المنسلخ يظل مزعزع العقيدة.. مضطرب الفؤاد.. غير مطمئن القلب سواء أدعوته إلى الإيمان أم أهملت أمره. كالكلب يظل لاهثا، طردته وزجرته، أم تركته وأهملته.

وقد شددت العقيدة والشريعة الإسلامية الغراء فى أمر الطهارة من نجاسة الكلب، لأن لسانه من أكثر الأشياء حملا للجراثيم والميكروبات، فكل نجس يتطهر المسلم منه مرة واحدة أيا كان مصدر النجاسة إلا نجاسة الكلب، والخنزير فالطهارة منها سبع مرات - كما بينت - ست منها

بالماء.. وواحدة بالتراب، كما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم بسنده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب".. وفى رواية : "أولاهن بالتراب"، وقد سبق عرض هذا الحديث فى الكلام عن الماء، إلا أن هذا الحديث لفت أنظار باحثه أوربية، فأجرت اختبارا عمليا لإناء وضعته أمام كلب ولغ فيه، فثبت لها أن الإناء لم يخل مما علق به من جراثيم إلا بعد أن غسل ست مرات بالماء ومرة بالتراب.

والشريعة الإسلامية حين جعلت الطهارة بأحد العنصرين المعروفين الماء، والتيمم بالتراب عند فقد الماء، إنما أرادت أن تكون الطهارة من جنس ما خلق الله منه الكائنات الحية، إذا كانت مادة الخلق ترابا أضيف إليه ماء فكان طينا، وليس مطلوبا سوى التطهر بعنصر من هذين، لا الجمع بينهما، إلا فى تلك الحالة التى يصاب فيها الإناء بلعاب الكلب فلا بد من الجمع بين عنصرى الطهارة وماديتها فى الإسلام.

يقول أنيس منصور: كلما عرفنا الإنسان ازددنا حبا للكلاب.. ففى القرن العشرين قتل الإنسان ١٧٥ مليون نسمة فى ثلاثين حربا تكلفت ثلاثة ملايين مليون مليون دولار. والحيوانات المفترسة تقاتل إذا جاعت.. وتقاتل إذا اعتدى حيوان آخر على أرضها وصغارها.. أما الإنسان فكل حروبه يسميها مقدسة، وليس الدافع لها هو الجوع أو العدوان على أرضه وعلى صغاره وأخلاقياته ودينه.. والإنسان لأنه حيوان عاقل فكل جرائمه منظمة مدروسة، سواء كان القتل فرديا أو جماعيا أو إبادة بشرية كما حدث فى ألمانيا وأرمينيا والبوسنة، وفى العراق وفلسطين وفي لبنان وفى أواسط أفريقيا. وليس صحيحا أن الحيوان هو المتوحش مصاص الدماء..

وإنما الإنسان مجرم فيلسوف : مجرم له نظرية .. فهو الذى يحمل البندقية والقنبلة فى يد والكتاب فى يد أخرى.. وهو لا يقتل ليأكل .. وإنما هو يقتل ولو لم يكن هناك سبب قوى لذلك.. ويروى عن الجنرال برشنج أنه قال : إن الحرب متعة .. فالإنسان يتدرب ويستعد ويذهب سعيدا بما سوف يفعل. مع أن الحروب تفصل بين الناس، فالجندى يرتدى زيا مختلفا وكذلك الضابط والقائد.. والملابس تختلف من سلاح إلى سلاح، ومن بلد إلى بلد، فالحرب تمزق مجتمعها قبل أن تهدم المجتمعات الأخرى.

فلا الكلاب ولا الذئاب ولا الضباع ولا السباع تفعل بنفسها وبغيرها ما يرتكبه الإنسان فى نفسه باسم العقل والعلم والحرية والديمقراطية والدين.. فكيف لا نضع الكلاب فوق رءوسنا ونهتف بسقوط الإنسان؟ (مواقف : جريدة الأهرام ٨/ ٧/ ٢٠٠٣).

من عناصر البناء القصصى

وقد شرع لنا الرسول صلى الله عليه وسلم، أمرا يتصل بذلك الحيوان حين أخبرنا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب، والحديث الدال على ذلك تكمن من ورائه أسرار دفعت إلى هذا التشريع، وتكشف عن جوانب نفسية أخرى تتصل بهذا الجنس من عالم الحيوان.

غير أنه من الإنصاف فى البحث يقتضى أن نشير إلى جملة من الخصال يدركها فى الكلب من يتأمل أحواله، فمن خصال هذا الحيوان الملموسة: أنه أمين مطيع طاعة تامة لأوامر صاحبه. ثم إنه يرضى بالنوم فى أى مكان، ويرضى بأى لقمة تقدم إليه، لا يعنيه نوعها، ولاكمها، ولا مدى جودتها، إلى جانب أنه يحب صاحبه حبا شديدا، ويتعلق به، فإذا ما رآه

من بعيد أتى إليه مسرعا فرحا، ومن العجيب أن صاحبه إذا طرده سار ولم يحمل معه شيئا. ويعيش على الولاء التام، والوفاء المستوفى لصاحبه. ومهما أنزل صاحبه به من عقاب وطرد، ثم أشار إليه فإنه يقبل عليه مسرعا مسرورا لا يحمل له حقدا أو ضغينة، وإذا قدم له صاحبه الطعام والشراب، فإنه يرفع رأسه، ويحرك ذيله، كأنه يعبر بذلك عن شكره لصاحبه. وكثيرا ما نشاهد الكلب يلتفت يمينا ويسارا، كأنما يراقب شيئا.

ويبدو أن الخصال التى تميز بها الكلب هى التى رشحته من دون غيره من عالم الحيوان ليكون عنصرا من عناصر البناء القصصى المحكم فى أحداث قصة أصحاب الكهف والرقيم، أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم، وفروا بدينهم إلى الكهف الذى ناموا فيه سنين عددا، وكان الكلب طوال هذه المدة الطويلة باسطا ذراعيه بالوصيد، ممثلا آية من آيات الله الكبرى إضافة إلى آية الله العظمى فى هؤلاء الفتية. ويذكر الكلب فى هذه القصة أربع مرات، وهو فى كل هذه المرات الأربع لا يذكر إلا مضافا إلى ذلك الضمير (هم) العائد إلى الفتية، هكذا: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾(الكهف١٨). وليس من شك فى أن هذه الإضافة فى كل هذه المواضع يومئ إلى أن هذا الحيوان عنصر أساسى فى أحداث هذه القصة وغاياتها وأسرارها وآياتها إلى جوار أصحاب الكهف، يلازمهم ولا يفارقهم فى التعبير اللفظى (كلبهم) كما لازمهم ولم يفارقهم منذ تركوا بلدهم وآووا إلى الكهف. وظل قرونا متتابعة باسطا ذراعيه بالوصيد على هيئة الحارس المخلص فى مدخل الكهف.

قال ابن كثير فى التفسير : " ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب، يحرس عليهم الباب، وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب.. وشملت كلبهم بركتهم، فأصاب ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن".

وقال ابن تيمية : "إن هذه القصة أحسن قصص أولياء الله الصالحين الذين كانوا فى زمن الفترة، هذه القصة قصة فتية آمنوا بربهم، وزادهم الله هدى، وربط على قلوبهم، فكانوا من أوليائه المهتدين، ولهذا وقعت لهم الكرامة المتمثلة فى الضرب على آذانهم فى الكهف سنين عددا، يتقلبون كالأحياء، ولا يقومون كالموتى، فكانت كرامتهم من الكرامات المدهشة فى التاريخ البشرى. كله، ودليلا على قدرة الله سبحانه فى الإحياء من رقاد طويل، لم تبل أثناءه الجثث، ولا تمزق خلاله التركيب. قال ابن عباس: لو أنهم لا يقلبون لأكلتهم الأرض.

وكان كلبهم ذا شأن عظيم، متميزا بين الكلاب كلها بأنه (كلب أهل الكهف). كلب دون سائر الكلاب، جاء فى مقام الصحبة لسبعة من أولياء الله الصالحين، فتم التناسب والتناسق بين قصة هؤلاء الأولياء، واختيار الله عز وجل أن يتبعهم هذا الحيوان بالذات؛ ليقوم بالدور الذى تفصح عنه القصة، مالكا من الخصال التى ترشحه لهذا الدور الذى قام به. وهى تبعية أو صحبة إذا رفع الستار أو كشف النقاب عما وراءها من إيحاءات فسندرك ساعتئذ أننا فى هذه القصة أمام سبعة من الشباب الأولياء الصالحين، المؤمنين، المتواضعين، الزاهدين المحبين، العاشقين، الخائفين، الراجين، المتجردين، المخلصين، المحسنين، الشاكرين.

بل سندرك أن أمانة الكلب وطاعته لأوامر صاحبه تذكرنا بمقام المؤمنين، ورضاه بالنوم فى أى مكان يذكرنا بمقام المتواضعين، ورضاه بالقليل يذكرنا بمقام الزاهدين، وحبه لصاحبه يذكر بمقام المحبين العاشقين، وتلفته كثيرا يمينا ويسارا كأنما يخشى شيئا يذكرنا بمقام الخائفين الراجين، وعدم حمله شيئا حين يطرد يذكرنا بمقام المتجردين، وولاؤه التام، ووفاؤه لصاحبه يعيد للاذهان مقام المخلصين، وإقباله على صاحبه بفرح فيه إشارة إلى معنى فى مقام المحسنين، ورفع رأسه مع حركة ذيله حين يقدم له صاحبه الطعام والشراب كأنه يعبر بذلك عن شكره لصاحبه يذكرنا بمقام الشاكرين. وإلى جانب وجود الكلب إلى جوار هؤلاء الفتية يعتبر آية من آيات الله، فهو حامل من الظلال والمعانى، والأسرار لمن يفتح الله به على من يتدبرون آياته فى قرآنه، وأسراره فيما خلق، حتى لو كان هذا المخلوق "كلبا" من عالم الحيوان.

وللإمام الشافعى بيتان شهيران يقول فيهما:

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة	**وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا**
إن الكلاب لتهدا فى مرابضها	والناس ليس بهادهم شرهم أبدا

الفصل السادس

حكاية الحمار

حكاية الحصان العربى

حكاية الحوت

نوم الحيتان والدلافين

النوم

يمر رجل على قرية وهى خاوية على عروشها، فيعجب ويتساءل فى حيرة كيف يحيى الله هذه القرية بعد موتها؟ كيف تدب الحياة فى هذا الموات، ولكن مشهد الخراب ووقعه العنيف فى حسه جعله يحار، فماذا حدث؟ لقد أماته الله مائة عام ثم بعثه – كانت الإجابة بما أراه الله فى عالم الواقع، وهنا يكون العلاج بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة، التى يمتلىء بها الحس، ويطمئن بها القلب، أجدى من أن تعالج بالبرهان العقلى، ولا حتى بالمنطق الوجدانى، ولا بالواقع العام الذى يراه العيان –

وقيل للرجل كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم.. مات الرجل مائة عام، فلما بعث ظن أنه لم يلبث إلا يوما أو بعض يوم. وهنا ندرك قيمة الحدث فهو فرع الزمن، فإذا وجد حدث كان الزمن وأحسسنا به، وإذا انقطع الزمن فلا ينقطع إلا بانقطاع الحدث، فإذا مات ابن آدم قامت قيامته.. فالإحساس بالزمن لا يكون إلا مع الحياة والوعى.. فكانت الإجابة : بل لبثت مائة عام ، وقدم له الدليل على ذلك، وهو هذه الآثار المحسوسة المتمثلة فى شخص الرجل أو فى حماره الذى كان معه.. قيل له: انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك– ولنجعلك آية للناس – وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما..

لقد تعرت عظام الحمار، وكانت الآية ضم هذه العظام بعضها إلى بعض وكسوتها باللحم وردها إلى الحياة، على مرأى من صاحبه، ولم يصب طعامه ولا شرابه التعفن، ليكون فى ذلك أيضا آية أخرى على القدرة التى لا يعجزها شىء، والتى تتصرف مطلقة من كل قيد، وليدرك الرجل كيف يحيى هذه الله بعد موتها.

إنها طلاقة القدرة التى تفسر لنا كيف ينال البلى شيئا ويترك شيئا فى مكان واحد وفى ظروف واحدة.. لنتعلق بالله مباشرة، فالله فعال لما يريد، وهكذا قال الرجل الذى مرت به التجربة: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهكذا يصور لنا القرآن الكريم هذه الحكاية – حكاية الرجل وحماره ومعه طعامه وشرابه– وهو يمر على قرية فيراها كأن لم تغن بالأمس، فيتعجب هل يمكن أن يعيد الله الحياة لهذه القرية مرة أخرى، وتكون الإجابة بالإقناع الذاتى حيث أماته الله ثم بعثه، تقول الآيات:

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ٢٥٩).

لقد حظى الحمار بكثير من رثاء الشعراء، داعين إلى تأكيد الرفق بهذا الحيوان المغلوب على أمره، وتقديره قدره، وعدم الإجحاف بجهده وصبره، وقد قيل: إن الحمار من أذكى الحيوانات على غير ما يعتقد العامة، وأن احتقار الناس له، واستهزاءهم به دليل على عدم فهم الناس عنه شيئا، حتى ما قيل فى تفسيرهم لصوته بإنه أنكر الأصوات لم يكن بالمعنى الذى يحقر منه، ويجعلنا نشبه أصحاب الأصوات العالية أو المنفرة بصوت الحمير، فإذا قرأنا قول الله تعالى : ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ (لقمان ١٩).

فالتفسير : اخفض صوتك، واجعله قصدا إذا تكلمت. فالقبح فى أن ترفع من صوتك فى غير ما قصد، أما الحمار فلا يعيبه ذلك بل هى صفة فيه، وعلامة من علاماته، يستخدمها كميزة تميزه، بحيث إذا سمعت هذا الصوت من بعيد أدركت أنه صوت حمار وميزته من بين كثير من الأصوات.. صحيح ربما لا يدرك قيمة الأشياء، لقول الله : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الجمعة ٥)، إلا أنه الحيوان الذى يعرف الطريق إذا سلكه مرة واحدة، فيأخذه جيئة وذهابا. وقد جعله الله آية للناس عندما أمات الله الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها، والتى سبق ذكر حكايتها..!!

والحمر عندما تستنفر تشكل مشهدا مثيرا، يتضح ذلك من هذا الوصف : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴾ (المدثر ٥٠،٥١) فالحمير تولى مذعورة نافرة إذا صادفت رجال القنص أو صادفت أسدا..

ومن الأدب ألا يعلو صوتنا إذا تحدثنا، وألا نتشبه بصوت الحمار، ولننظر إلى الأدب القرآنى فى توجيه النصح إلى الناس كى لا يرفعوا أصواتهم، حيث يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات ٢-٣).

الحصان العربى:

لقد كان للحصان العربى منزلة ومكانة فى القديم، حيث يُعتمد عليه فى السلم والحرب، فى الحل والترحال، يركبونه ويتزينون به، وهو لا غنى عنه فى عالم الفروسية، فقد كان العربى مفتونا به، يفخر بأنه فارس قومه أو عشيرته، من أجل ذلك تغنوا به، ونظم الشعراء فيه كثيرا من أبياتهم يصفونه بقوته، وبصفاته الجسدية فيقولون:

وقد أغتدى والطير فى وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيـــــكل

له أيطلا ظبى وســـاقا نعامة   وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

كما اتسع الشعراء فى رثاء الحيوان عامة، لما له من فضائل عليه، ولخصاله التى فاقت خصال الإنسان، حتى إننا نرى أنواعا من رثائهم فى الهر، والكلب، والحمار، فما بالنا ونحن أمام حيوان له خاصية فريدة فى حياة العربى، إنه الفرس الذى كثر ذكر الشعراء له، فهذا عنترة، فارس بنى عبس، يعتز بحصانه ويفخر به، وينصفه مبينا قدره، ويصور حاله فى المعارك، فيقول فيه:

فازور من وقع القنـــــا بلبانـــــه   وشكا إلىَّ بعبرة وتحمحم

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى   ولكان لو علم الكلام مكلمى

فلئن بدا عنترة مسارعا إلى إنصاف حيوانه، الذى تجلت مآثره له خاصة فى الحروب، حتى بادر بتضمينها كلها، أو بعضها أبيات معلقته الشهيرة، وما أكثر ما ورد عن شعراء المعلقات، وغيرهم فى وصف الحيوان.

ولقد خص القرآن الكريم الخيل بكثير من التمجيد لما لها من منزلة ومكانة عند العربى، فأبدع فى تصويره، حتى إنه أقسم بها ليبين قدرها، فقال تعالى :

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾

(العاديات ١-٥)

إنها الخيل تعدو وهى تحمحم، وهى التى تورى النيران قدحا بحوافرها، فإذا أغارت فى الصباح، فهى التى تثير بحوافرها التراب، فيرتفع منه الغبار، كما قال الشاعر:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوت كواكبه

ولا ننسى قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة.. الأجر والغنيمة".

وكانت العرب تسمى الذكر من الخيل "حصانا" لأن الفارس إذا ركبه يصبح فى موضع حصين، وتتميز الخيل بالجمال والسرعة والقوة، كما أنها تستطيع أن تهتدى إلى الطريق مهما اشتد الظلام، ويستطيع الخيل أن يظل واقفا على قدميه لمدة طويلة، وينام فى هذا الوضع، إذ حباه الله بجهاز عضلى خاص يسمح لأرجله بأن تظل مشدودة على الدوام لتحمل جسمه الثقيل دون عناء، وقد ورد ذكر الخيل فى القرآن الكريم كما جاء فى الآيات التى ذكرتها، وكذلك ورد ذكرها فى الأحاديث الشريفة.

وفى موضع آخر من القرآن الكريم يقول الحق تبارك وتعالى:
﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا

تَعْلَمُونَ﴾ (النحل ٨).. إن هذه الحيوانات تستخدم فى أغراض كثيرة، وتنقلنا من مكان لمكان، إلى جانب أننا نتزين بها .. ولذلك جاءت أوصافها فى الشعر، إلى أن عمدوا إلى رثائها لمميزاتها، ولإحساسهم بالافتقاد الحق إليها، فيما لا يتوافر إلا فيها، إلى جانب شعوره بالزينة التى يزهو بها الإنسان، ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ (آل عمران ١٤).

فميزة الخيل مساوية للمرأة وللمال وللبنين، كما أنها عدتهم فى الحروب كما بين لنا الشعر القديم، وكما بين القرآن الكريم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ (الأنفال٦٠).

وهى نصيب لهم فى الفيء : ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ (الحشر٦)، وهى ذات الرهبة : ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ (الإسراء ٦٤)، وذات الفتنة أيضا، فقد فتن الله بها سيدنا سليمان – عليه السلام – : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ (ص٣٤)، فتنة بالخيول الجياد التى عرضت عليه.

•

حكاية الحوت :

أرسل الله يونس إلى قومه يدعوهم لعبادة الله فكذبوه ، وضاق صدرا بتكذيبهم .

فأنذرهم بعذاب قريب ، وغادرهم مغضبا، فقاده الغضب إلى شاطىء البحر حيث قومه كانوا من بقعة قريبة منه ، فركب سفينة مشحونة ، وفى وسط اللجة ناوأتها الرياح والأمواج . وكان هذا إيذانا عند القوم بأن من بين الركاب راكبا مغضوبا عليه لأنه أرتكب خطيئة ، وأنه لابد أن يلقى فى الماء لتنجو السفينة من الغرق ، فاقترعوا على من يلقونه من السفينة ، فخرج سهم يونس -وكان معروفا عندهم بالصلاح - ولكن سهمه خرج بشكل أكبر فألقوه فى البحر . أو ألقى هو نفسه . فالتقمه الحوت ، وهو "مليم" أى مستحق للوم ، لأنه تخلى عن المهمة التى أرسله الله بها ،وترك قومه مغاضبا قبل أن يأذن الله له .وعندما أحس بالضيق فى بطن الحوت سبح الله واستغفره وذكر أنه كان من الظالمين ،وقال : " لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين " . فسمع الله دعاءه واستجاب له .

فلفظه الحوت ."فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون". وقد خرج من بطن الحوت سقيما عاريا على الشاطئ .﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٍ ﴾. وهو القرع . يظلله بورقه العريض ، ويمنع عنه الذباب الذى يقال إنه لا يقرب هذه الشجرة .وكان هذا من تدبير الله ولطفه.

فلما استكمل عافيته رده الله إلى قومه الذين تركهم مغاضبا ، وكانوا قد خافوا ما أنذرهم به من العذاب بعد خروجه ،فآمنوا. واستغفروا وطلبوا العفو من الله فسمع لهم ولم ينزل بهم عذاب المكذبين : " فآمنوا فمتعناهم إلى حين " وقد آمنوا أجمعين ..

يقول القرآن الكريم:﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾

﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

(الصافات ١٣٩- ١٤٨)

تعد أسماك القرش من أكثر الكائنات البحرية شراسة وميلا للعدوان ، فقد تعددت الروايات والقصص حول الحوادث المروعة التى سببتها هذه الأسماك ، وراح ضحيتها الآلاف من البشر ، ولنا فى القرآن الكريم موقف مع سيدنا يونس ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾

(الصافات ١٤٠- ١٤٢)

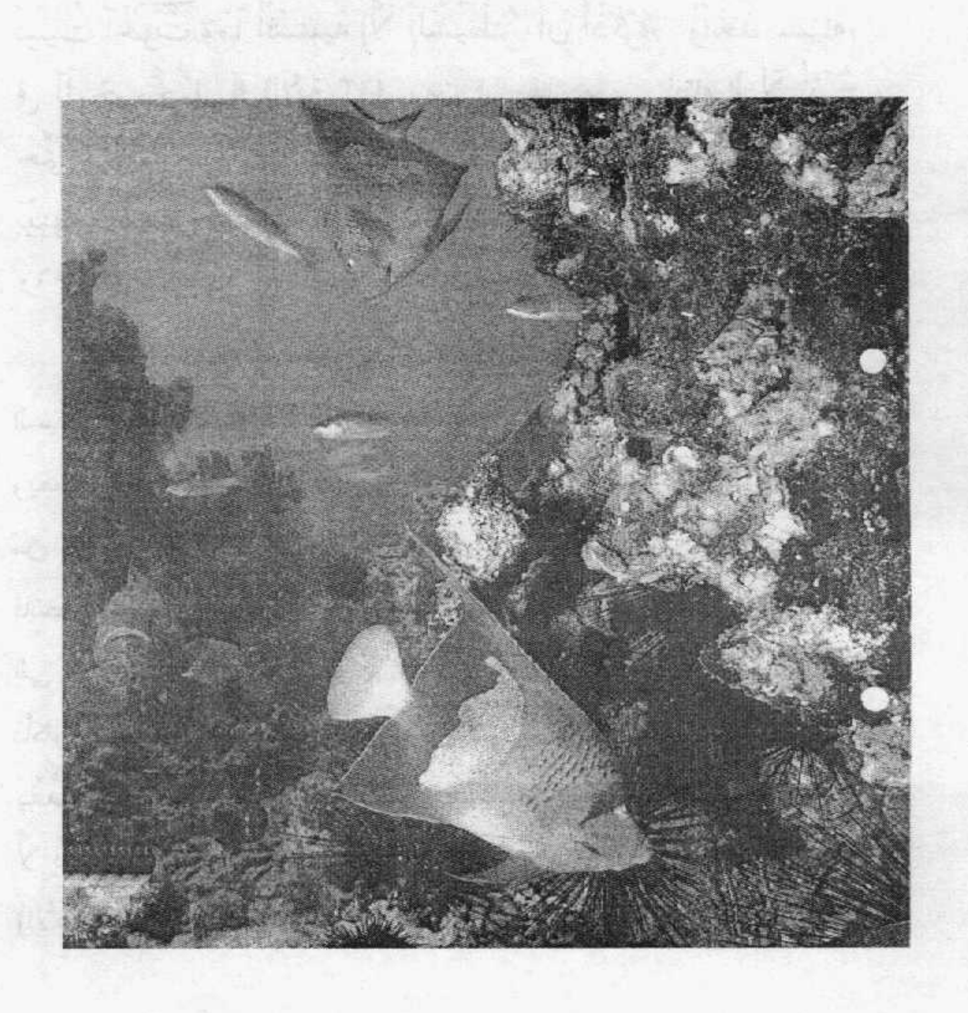
لما فر إلى السفينة التى كانت مملوءة من الحمولة ، فقارع فكان من المساهمين. المقروعين المغلوبين ،فرمى بنفسه فى البحر ،فابتلعه الحوت..

فهى من الكائنات الخطرة المرعبة ،والأمثلة كثيرة .. والروايات متعددة .

وبالرغم من الرعب الذى تسببه هذه السمكة بين كائنات البحر لدى ظهورها ، فقد حافظت لنفسها على بعض الصداقات الخاصة ، والعلاقات الاجتماعية الغريبة مع بعض الأسماك الأخرى الأكثر ضعفا بين مخلوقات الله الكثيرة فى البحر ، سمها من أجل منفعة متبادلة مشتركة ، إلا أنه يمكننا اعتبارها نقطة مضيئة لا يستهان بها ، وعلامة إيجابية تجدر الاشارة إليها فى حياة هذا المخلوق المرعب .

وفى القران الكريم ،فى سورة الكهف ، يتخذ موسى عليه السلام طريق الحوت فى البحر عجبا يعجب به ، فكأنه مرشد له مسلكا ومذهبا ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ.وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ (الآية ٦٣). ومن قبل قال موسى لفتاه ﴿ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ (الكهف ٦٠-٦١).

وكان اليهود يصطادونها، ويأكلون لحمها، وخصصوا لصيدها يوم السبت، وأن الله حرم عليهم الصيد فيه والعمل، فكانوا يصطادون فيه ويعملون، وكانت الحيتان لا تأتيهم فى غير السبت شرعا ظاهرة على الماء من كل مكان، فإذا أمسى ذهبت، فلا يرى شيء منها إلى السبت التالى، فاتخذوا خيوطا وجعلوا يأخذون الحيتان فى السبت ويربطونها فى الخيوط إلى أوتاد فى الماء، ويتركونها فيه، فإذا أمسوا ليلة الأحد أخرجوها فأكلوها: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف ١٦٣).



وقد اكتشف العلماء مقابر خاصة لا يسمح لغير هذه الأسماك بالدخول إليها.. ذلك أن هذه السمكة عندما تدركها شيخوخة العمر، وتشعر أنها على وشك الموت، تأخذ طريقها نحو إحدى هذه المقابر، وتلقى جسدها المتعب فوق صخورها ورمالها، حتى تحين ساعتها، وتلقى حتفها... إنها مشيئة الخالق الجبار عز وجل، أن جعل لهذه الكائنات الرهيبة فنادق للنوم، ومقابر للموت، لتكون آية عظيمة من آياته الكثيرة سبحانه وتعالى.

صفات الحوت:

الذكاء والسرعة والحجم والقوة، من الصفات التى تجعل الحوت من أكثر الحيوانات افتراسا، من أجل ذلك التقم سيدنا يونس-عليه السلام-: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الصافات ١٤٢)، فهو يأكل كل ما يستطيع الإمساك به، وهى تستمتع بالتهام ذوات الدم الحار، وتتمتع بحاسة سمع قوية، وتستطيع سماع أصوات لا يستطيع الإنسان سماعها، وتستطيع أيضا التحديد الدقيق لمكان مصدر الصوت.

لله ملك السماوات والأرض.. فكل شيء فى هذا الوجود مملوك لله ومسخر له.. والله يضرب الأمثال للناس، ويستخدم القرآن كثيرا من مخلوقات الله تبارك وتعالى للتدليل على كمال وطلاقة قدرته وانقياد خلقه جميعا لذاته.. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ولعل هذا المخلوق العجيب.. وهو الحوت.. أحد مخلوقات الله ومعجزاته الكبرى هو آية من آيات الله.. حيث توجد أنواع من الحيتان التى تعيش فى قلب المحيطات والبحار الكبرى.. حيث يتمتع الواحد منها

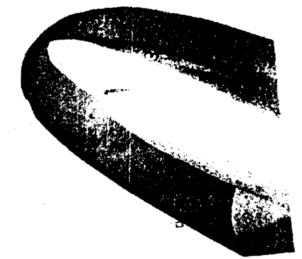
بمعدة تستطيع أن تستوعب ٢٠ رجلا مرة واحدة، كوجبة واحدة.. تطحن العظام واللحوم وتحولها إلى مادة غذائية.. وقصة سيدنا موسى كليم الرحمن، والحوت، كلتا القصتين وردتا فى القرآن الكريم، كواحدتين من أحسن القصص القرآنى، يقول الله تعالى فى سورة الصافات : ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾. ونادى يونس فى الظلمات : يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.. فعفا الله عنه، وأمر الحوت ألا يهضمه لأنه ليس من رزقه، فلفظه الحوت، وأظله الله بشجرة القرع وشفاه الله.

أما حوت سيدنا موسى، فهى هذه السمكة الكبيرة التى أخذها نبى الله موسى معه إلى رحلته لكى يقابل العبد الصالح سيدنا الخضر – فى رأى معظم المفسرين – ليعلمه، وصاحب سيدنا موسى فتاه يوشع بن نون، وأخذا معهما الحوت وهو سمكة كبيرة، والقرآن الكريم يحكى هذه القصة فى سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (٦٠-٦٣ الكهف)

ولطالما عجب العلماء ودهشوا لسمك القرش، فهو لا يمرض أبدا، ولا يصاب بأى التهاب بسبب الجروح الكثيرة التى يتعرض لها، ثم إن سمك القرش يبذو محصنا وذا مناعة تامة ضد الأورام السرطانية، أكثرها إن لم نقل كلها، وهذا كله بالرغم من أن جهاز المناعة فى سمك القرش جهاز بدائى ضعيف.

ولكن الدهشة والعجب تكمن فى أن علماء آخرون اكتشفوا أن سمك القرش يحتوى جسمه على مضاد حيوي قوي فعال يوجد في كل خلية من خلايا الجسم واكتشفوا أيضا أن مضاد سمك القرش هذا لا يمت بصلة إلى أى فئة من فئات المضادات الحيوية المعروفة، وذلك حسبما أكده تقرير أكاديمية العلوم الوطنية فى أمريكا أخيرا.

واكتشف العلماء كذلك أن مضاد سمك القرش ذو فاعلية مذهلة تفوق كل ما عرف عن فاعليات المضادات الحيوية المعروفة، فهو كفيل بالقضاء على عدد كبير من الميكروبات والفطريات، والبكتريا والطفيليات، قضاء تاما وفوريا. لا عجب إذن أن سارعوا إلى تصنيع هذا المضاد وإنتاجه بكميات كافية لإجراء التجارب التى تختبر فاعليته ضد عدد كبير من الأمراض البشرية، وتختبر بخاصة مدى هذه الفاعلية بالنسبة إلى كل مرض من تلك الأمراض.



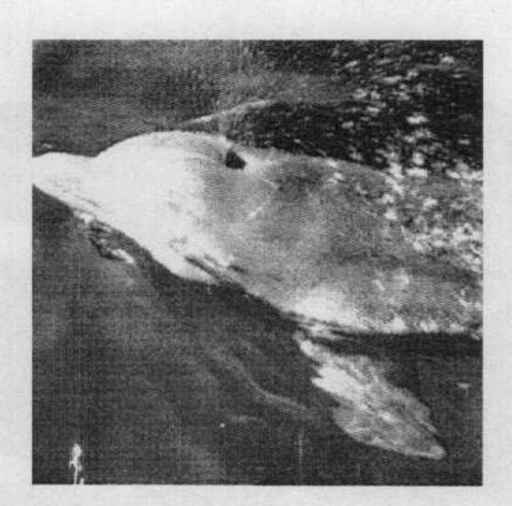
وهناك بعض أنواع من الأسماك عرفت مبدأ الكهرباء، وكيفية التعامل معها واستخدامها بسهولة قبل أن يكتشف الإنسان الكهرباء بزمن طويل، حيث إن هناك أنواعا من الأسماك يطلق عليها الأسماك الكهربائية تستطيع كشف الأشياء والحيوانات الأخرى كهربائيا، لدرجة أنها تستطيع الاتصال مع بعضها البعض بوساطة حقول كهربائية معدلة. يشبه عمل الأعضاء الحسية الكهربائية لهذه الأسماك وتوليدها جهودا ونبضات تيارات كهربائية عالية لدرجة مذهلة عمل الدوائر الإلكترونية..

فلو تأمل الإنسان ما تزخر به البيئة من كائنات حية، لأدرك عبقرية اللمحات "التكنولوجية" التى تنطوى عليها كثرة من هذه الكائنات، ولأرشده ذلك إلى ابتكارات غير معهودة فى مجال "التكنولوجيا" الحديثة، لكنها ستكون ابتكارات تحترم مادة الحياة لأنها من وحى الحياة..

وهذا هو الدولفين يلعب دورا فى اكتشاف الغواصات والألغام البحرية أينما كانت، وأنه – بعد التدريب – يعمل كطبيب يعالج مرضاه بنوع من المساج (التدليك) الخاص الذى يحس به كل من يلامسه.

فالدلافين تعتمد فى حركتها الفيزيائية إلى حد كبير على أنظمة الإدراك الحسى لديها، التى هى فى الأصل تحديد المواقع بالصدى باستخدام الموجات فوق الصوتية. وقد اكتشف العلماء منذ زمن بعيد أن الموجات فوق الصوتية تنتشر عبر الجسم البشرى بالأسلوب نفسه الذى تنتشر به الموجات الصوتية فى الماء لهذا فأقرب تشبيه تقنى لإصدار الأصوات عند الدولفين هو استخدام الموجات فوق الصوتية فى المعالجة الطبية..

والدلافين من الثدييات البحرية تنتسب إلى عائلة الحيتان ذات الأسنان، فهى تعيش كجماعات، وتتميز بعدد مذهل من الميزات التى يتميز بها الإنسان كالاستعداد للتعاون، والرغبة فى التضحية، ولا يقتصر الأمر على علاقات الصداقة بين أبناء جنسها فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الإنسان، كما أن الدلافين لا تعول اهتماما كبيرا على حاسة البصر، على نقيض العديد من حيوانات الدم الحار، إذ إنها تمتاز بحاسة سمع مرهفة إلى حد مذهل.

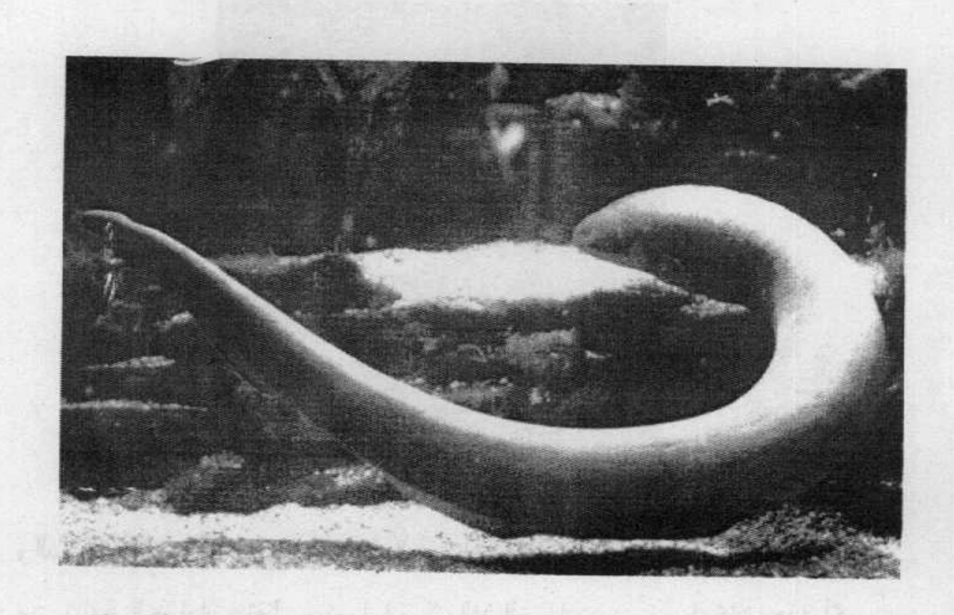


يقول باحثون : إن شباك الصيادين تقتل كل يوم ٨٠٠ من الحيتان والدلافين التى يطلق عليها رتبة الحوتيات. ويعتقد العلماء أن ثلاثمائة ألف من رتبة الحوتيات تقتل سنويا فى شباك الصيادين، وربما كان هذا أكبر خطر يواجهها. وتنفق بعض تلك "الحوتيات" من الإنهاك فيما تموت الأخرى نتيجة لهجوم أسماك القرش بينما تعلق فى الشباك.

ويقول الباحثون : إن هناك طرقا فعالة لخفض حالات الصيد غير المباشر، ومن ثم تقليل أعداد الأسماك التى تقتل بشكل كبير.

ويقول صندوق الحياة البرية، وهو مؤسسة تسعى لحماية البيئة العالمية: إن آلاف الكيلومترات من الشباك المنتشرة فى محيطات العالم يوميا تمثل أكبر خطر على بقاء الحيتان والدلافين.

ويوضح الصندوق أن الشباك غالبا ما لا تكون مرئية، ولا يمكن رصدها سواء بالنظر أو بالموجات الصوتية، كما أنها تكون أقوى من قدرة صغار الحوتيات على اختراقها.



نوم الحيتان والدلافين:

الحيتان والدلافين حيوانات ثديية، لذلك فإنها تشبه الإنسان من نواح كثيرة، منها مثلا أن لها بنية العظام نفسها والدم الحار وتلد، وتقوم إناثها بإرضاع صغارها. وتمتاز الحيتان والدلافين بجهاز تنفسي فريد من نوعه يتيح لها البقاء فترات زمينة طويلة (قد تصل أحيانا إلى ٣٠ دقيقة أو أكثر) تحت الماء دون الحصول على أي أوكسجين.

وعلى الأرض يتنفس البشر والحيوانات الثديية الأخرى بشكل لا إرادى. ونظرا للبيئة تحت الماء لابد أن تكون الحيتان والدلافين من الكائنات التى تتنفس بشكل واع، أى عليها أن تقرر متى تتنفس. وذلك يمثل مشكلة، حيث إن المخ لدى الثدييات يحتاج إلى حالة لا وعى من وقت إلى آخر للراحة حتى يقوم بوظائفه بشكل سليم.

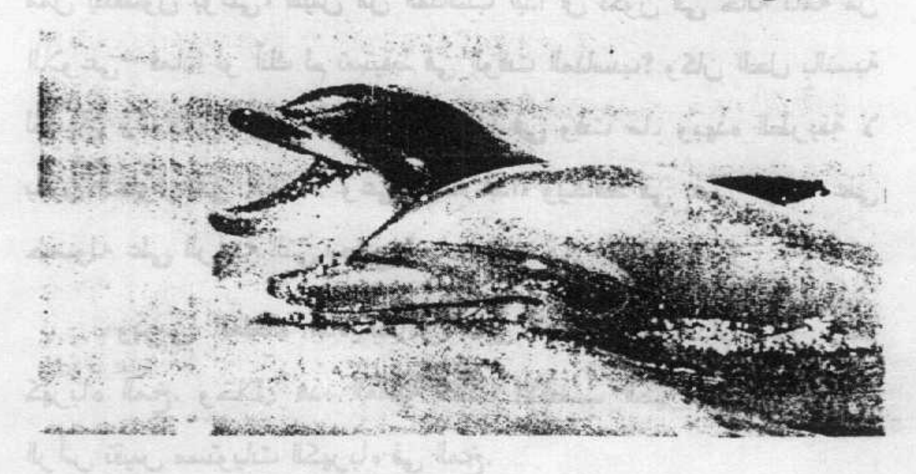
وهناك بالطبع الكثير من الوقت لكى يحصل دولفين على غفوة خلال رحلاته إلى سطح المحيط، لكن هذا ليس الخيار الوحيد. عندما تكون ممن يتنفسون بوعى، فليس من المناسب أبدا أن تكون فى حالة تامة من اللاوعى- فماذا لو أنك لم تستيقظ فى الوقت المناسب؟ وكان الحل بالنسبة للحيتان والدلافين ترك نصف المخ نائما فى وقت ما. وبهذه الطريقة لا يكون الحيوان فى حالة لا وعى كاملة أبدا، ويحافظ فى نفس الوقت على حصوله على الراحة التى يحتاج إليها.

ودرس العلماء هذه الظاهرة لدى الدلافين باستخدام جهاز رسم كهرباء المخ. وخلال هذه العملية كانت الأقطاب الكهربائية معلقة على الرأس تقيس مستويات الكهرباء فى المخ.

وأوضحت منحنيات رسم كهرباء المخ لمخ الدولفين أنه فى دورة النوم "ينغلق " نصف مخ الدولفين بينما يكون النصف الآخر نشيطا. وتوصل العلماء إلى أن الدلافين تكون فى هذه الحالة لمدة ثمانى ساعات يوميا تقريبا.

لا يمكننا بالطبع أن نعرف طبيعة هذه الحالة من الراحة، لكن يمكننا التخمين بشكل جيد. ربما تكون مماثلة لحالة شبه الوعى التى تحدث لنا عندما نبدأ فى النوم، حيث نقترب من حالة اللاوعى لكننا نكون أيضا فى نفس الوقت على وعى بما يحيط بنا لكى نستيقظ تماما إذا احتاج الأمر.

يبقى أن نسأل عن المكان الذى تنام فيه الحيتان والدلافين، قد يكون فى استطاعتها أن تنام فى أى مكان، لكن قد يكون الأقرب إلى المنطق أنها تفعل ذلك بالقرب من سطح المحيط بحيث يمكنها أن تستيقظ للحصول على الهواء بسهولة. وليس من النادر أن ترى الدلافين وهى تقضى زمنا عائمة ببطء على السطح، وتكون حركتها قليلة جدا. من المفترض عندئذ أن هذه الدلافين فى حالة راحة..



هل ينام الحوت والدولفين؟

النوم ضرورى لكل كائن حى، ويمكن للإنسان أن ينام وهو جالس، لكنه وضع لا يعطى الجسم كفايته من الراحة مثل الوضع الأفقى، إلا أن الإنسان لا يستطيع أن ينام وهو واقف.. إلا أن بعض الدواب تنام واقفة، وفى عالم الحيوان ينام كل نوع فى وضع خاص يريحه، فالثعلب مثلا إذا أراد أن ينام يحفر حفرة فى الأرض وينام فيها على بطنه مكورا على نفسه بحيث يكون أنفه ملامسا لذيله. ويمكن للحصان وللحمار أن يناما فى وضع الوقوف على قوائمهما الأربع، كما يناما على الجنب والبطن.

أما الأسد فينام فى وضع أفقى على ظهره، وينام الفهد على أغصان الأشجار على بطنه، وأطرافه الأربعة تتدلى على جانبى الغصن إلى أسفل، أما الخفاش فينام مقلوبا، رجلاه إلى أعلى ممسكة ببعض الأغصان ورأسه إلى أسفل، ومراحل النمو عند الحيوان تشبه مراحل النوم الخمسة فى الإنسان، وتمر بمرحلة الأحلام أيضا، إلا أن فترات النوم فى الثدييات تختلف، فبعضها ينام وقتا طويلا، وبعضها الآخر ينام فترات قصيرة. فالخفاش ينام عشر ساعات، والقنفذ ينام ثمانى عشرة ساعة كل يوم، أما الأبقار والفيلة فلا تنام أكثر من أربع ساعات لكنها تقضى ثمانى ساعات أخرى فى حالة إغفاء. أما الحصان فلا ينام أكثر من ثلاث ساعات فى اليوم كله، يقضى منها ساعة فى مرحلة الأحلام، وهو من أكثر الدواب أحلاما، ومعظم الأسماك تنام ليلا وتستيقظ نهارا، إلا أن بعضها ينام نهارا وينشط ليلا. أما الطيور فتنام واقفة على غصن أو جبل ولا تفقد توازنها،

ومراحل نومها تشبه مراحل نوم الدواب والإنسان، فالنوم له نشاط فسيولوجى واحد فى الأحياء جميعا.

وهكذا ندرك أن عالم الحيوان والطيور والأحياء جميعا، منها ما يسكن ليلا وينشط نهارا، ومنها ما ينشط ويسكن نهارا.. هكذا فطرها الله تعالى.. ونقرأ قول الله عز وجل : ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأنعام ١٣) ففى الآية ذكر للسكون وليس للحركة، لأن السكون يدل على حركة، فلا يسكن الكائن الحى إلا بعد حركة أو قبل حركة، وتقدير القول (ولله كل ما تحرك أو سكن فى الليل أو النهار) ، وعدم ذكر الحركة فى الآية الكريمة يسمى (الاكتفاء) فى اللغة، أى يكتفى بذكر شىء لأن الشىء الآخر يفهم من سياق الحديث، واكتفى بذكر السكون لأنه أعم من الحركة، لأن كل سكون تعقبه حركة، وكل حركة يعقبها سكون. ولو رجعنا إلى بدء الخلق لوقفنا عند سكون بدون حركة، فالأصل السكون، ولو كانت الحركة فى الخلق هى الأصل لذكرها الله تعالى وأضمر السكون.

ويعتبر السلوث من أكثر الحيوانات نوما، وهو حيوان يعيش فى المناطق الاستوائية الأمريكية فى وسط وجنوب الولايات المتحدة، فهو ساكن أشجار يتغذى على أوراقها، وينام على فروعها وظهره إلى أسفل ووجهه إلى أعلى، وضعيف الإبصار لحد العتامة، له مخالب معقوفة كبيرة مهيأة من الخالق – سبحانه – كى تستقيم وضعيتها أبدا، فيتشبث بها على غصن شجرة وصدره إلى أعلى وعجزه إلى أسفل، وهذه هى وصفية النوم التى اشتهر بها بين كل حيوانات الأرض، الوجه لأعلى والعجز لتحت والمخالب ممسكة بالفرع بقوة ولا يمكن أن تفلته فلا يسقط حتى لو بقى اليوم كله نائما، لا ذيل له.

والسلوث من أكسل وأبلد حيوان على الأرض، له شعر أحمر داكن غزير طويل يتدلى على جانبيه حتى يمس الأرض، تنمو على شعر صدره وبطنه النباتات وخاصة الطحالب المتطفلة التى تكسب شعره لونا أخضر يموهه عن عيون المفترسين والفضوليين، يتحرك ببطء شديد حتى يظن الناظر إليه أنه لا يمشى أبدا. يحميه شعره وجلده القاسى جدا وعدد أضلاعه التى هى أكثر عددا من أى حيوان ثديى آخر من جميع أعدائه المفترسين مثل الأسد والنمر الأمريكى، يداوى جروحه ولا يموت بسهولة.

وتستخدم الحيوانات عادة من ١٠ - ٤٠% طاقة أقل عندما تنام، وبما أن المصادر الغذائية لبعض أنواع الحيوانات تكون قليلة، فبالتالى يكون توليد الطاقة عندها قليلا، لذا تلجأ إلى النوم كبديل لانخفاض مستوى الطاقة فى أجسامها.

سبحانه وتعالى خلق وقدر، وهيأ لكل مخلوق لزوم قضاء مراده منه، سبحانه فهو الحكيم الخبير العليم .. ولله فى خلقه شؤون.

ساعات النوم عند بعض الحيوانات الثديية

اسم الحيوان	عدد الساعات
الكسلان ذو الاصبعين	٢٠
الخفاش ، المدرع ، الأبوسوم	١٩
قرد الهبار ، ذبابة الشجرة	١٦
السنجاب ، قندس الجبال، الهامستر	١٤
الجرذ، القط، الفأر، الخنزير، الفلنجر	١٢
الشنشيلة من القوارض	١٢
النمر الأمريكى	١١
الشمبانزى ، الأرنب ، القنفذ، جرذ الخلد	١٠
الإنسان، الخلد	٨
خنزير جويانا ، البقرة	٧
الغنمة، التابير	٦
الحصان، دولفين أنف الزجاجة، الحوت	٥
الزرافة، الفيل	٤

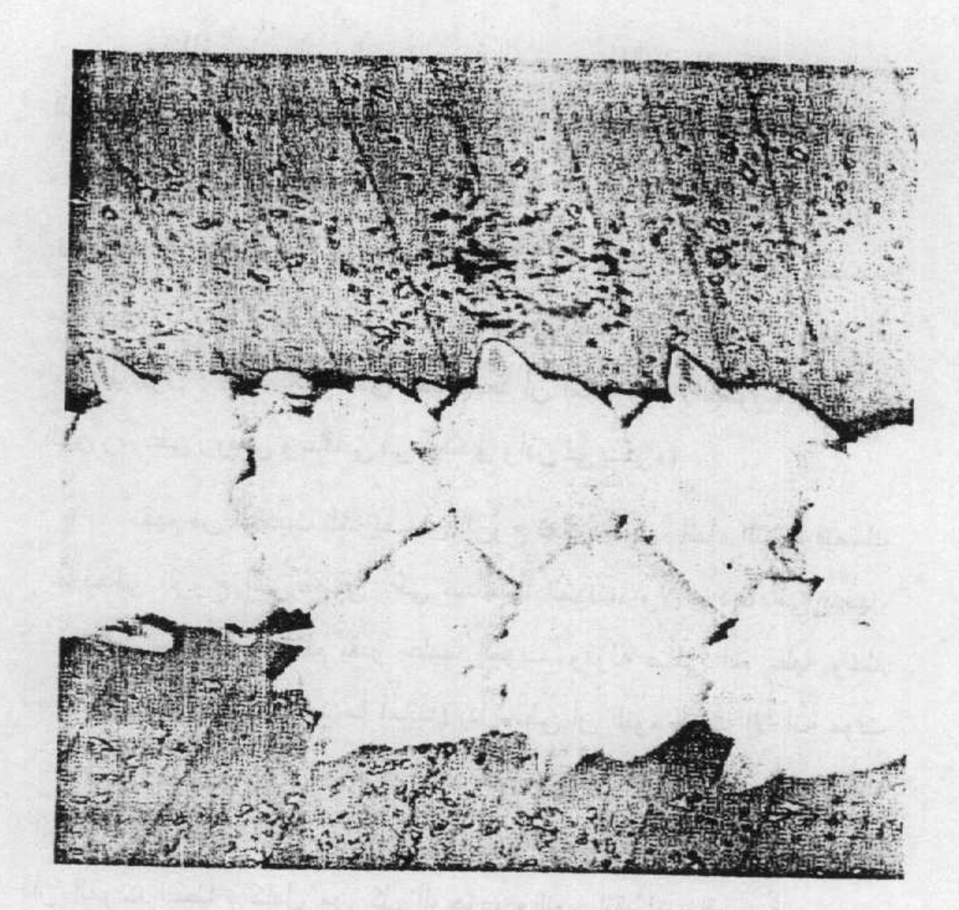
ويتحدث الدكتور أحمد شوقى إبراهيم، عضو كلية الأطباء الملكية بلندن، عن عجائب النوم فيقول: النوم حالة بيولوجية، تحدث فى كل كائن حى فى توقيت معين كل يوم، فكل كائن حى يمر كل يوم بحالتين مختلفتين، حالة النوم وحالة اليقظة. ولاشك أن عالم النوم الذى نعيشه عالم عجيب وملىء بالأسرار.. إلا أن تعود الناس عليه أزال منهم العجب منه، فلم يعد يثير دهشتهم أو يلفت انتباههم.. وقال بعض الفلاسفة: (إن النائم يكون متصلا بالكون، واليقظان يكون متصلا بالدنيا).

ويطلق على النوم اسم (الموتة الصغرى) فالنائم لا يعيش فى العالم الذى خلق فيه إلا بجسد فقط أما ذاته الإنسانية فتنتقل إلى الحياة فى عالم آخر.

وكشف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرار النوم فيما رواه البخارى عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول (اللهم باسمك أموت وأحيا)، وكان إذا استيقظ يقول : (الحمد لله الذى أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذى رد على روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره).

نفهم من الحديث الشريف أن الروح تغادر الجسم أثناء النوم، فيمسك الله تعالى الروح التى قضى على صاحبها الموت، ولا يردها إلى بدنها، ويرسلها إلى بدنها إذا لم يقدر عليها الموت. وقوله صلى الله عليه وسلم (الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا) يدل على أن النوم موت إلا أنه موت أصغر. فالروح تغادر الجسم فينام الإنسان، وتعود إلى الجسم فيعود إليه الوعى ويستيقظ. وقال الإمام الفخر الرازى: الموت والنوم من جنس واحد إلا أن الموت انقطاع كامل من كل الوجوه، والنوم انقطاع ناقص فى بعض الوجوه.

وأخرج الدارقطنى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (النوم أخو الموت). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا : (كما تنامون فكذلك تموتون، وكما تستيقظون فكذلك تبعثون).



حيوان السلوث نائم

الفصل السابع

حكاية ناقة صالح

حكاية البقرة

اللون

الكون الجميل

حكاية ناقة صالح

أرسل الله صالحا إلى قومه ثمود، يأمرهم بأن يعبدوا الله، ما لهم من إله غيره – وهكذا جاء كل رسول بهذه الدعوة من عند الله – ويقول لهـــم :﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأعراف ٧٣) .

هذه الناقة بينة من الله، وفيها آية منه، وهى ناقة غير عادية، أو أنها أخرجت لهم إخراجا غير عادى، مما يجعلها بينة من ربهم، ومما يجعل نسبتها إلى الله ذات معنى، ويجعلها آية على صدق نبوة صالح..

إنها ناقة، فذروها تأكل فى أرض الله، وإلا فهو النذير بسوء المصير، وسيعاجلكم العذاب.

"فعقروها" ضربوها بالسيف فى قوائمها، وقتلها على هذا النحو دل على فساد قلوبهم واستهتارهم. "فقال: تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام" فهى آخر ما بقى لكم من متاع هذه الدنيا، ومن أيام هذه الحياة. "ذلك وعد غير مكذوب" ولم يتأخر العذاب: "فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوى العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين".

نجى الله صالحا والذين آمنوا معه، نجاهم من الموت ومن خزى ذلك اليوم، فقد كانت ميتة ثمود ميتة مخزية، وكان مشهدهم جاثمين فى دورهم بعد الصاعقة المدوية التى تركتهم موتى على هيئتهم مشهدا مخزيا

"إن ربك هو القوى العزيز" يأخذ العتاة أخذا، ولا يعز عليه أمر، ولا يهون من يتولاه ويرعاه. فهذا مشهد المكذبين، وتلك سرعة زوالهم : "كأن لم يغنوا إلا لمحة كومضة العين، وإذا الحياة كلها شريط سريع.

إن القرآن يخاطب الفكر والقلب، ويلبى الفطرة القويمة، ويبقى مفتوحا للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به. أما الخارقة المادية فهى تخاطب جيلا واحدا من الناس، وتقتصر على من يشاهدها من هذا الجيل. على أن كثرة من كانوا يشاهدون الآيات لم يؤمنوا بها، وقد ضرب المثل بثمود الذين جاءتهم الناقة وفق ما طلبوا واقترحوا آية واضحة، فظلموا بها أنفسهم وأوردوها موارد الهلكة تصديقا لوعد الله بإهلاك المكذبين بالآية الخارقة:

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ (القمر ٢٧ – ٣١).

طلبت ثمود تلك الخارقة من نبيهم صالح حتى يطيعوه فيما قال: ﴿فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ فاستجاب الله لعبده صالح، وأعطاه هذه الخارقة فى صورة ناقة كما طلبت ثمود. "قال : هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم".

لقد جاءهم بالناقة على شرط أن يكون الماء الذى يستقون منه يوما للناقة، ويوما لهم، لا يجورون عليها فى يومها، ولا تجور عليهم من يومهم، ولا يختلط شرابها بشرابهم، كما لا يختلط يومها بيومهم، وقد حذرهم أن ينالوها بسوء على الإطلاق، وإلا أخذهم عذاب يوم عظيم.

فلم يحفظوا عهدهم، ولم يوفوا بشرطهم: ﴿فعقروها﴾ والذين عقروها منهم هم الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون، ولقد حذرهم منها صالح وأنذرهم فلم يخشوا النذير، ولقد ندم القوم على الفعلة، ولكن بعد فوات الأوان : "فأخذهم العذاب".

وثمود كانت القبيلة التى خلفت عادا فى القوة والتمكين فى جزيرة العرب. كانت عاد فى الجنوب وثمود فى الشمال، وكذبت ثمود بالنذر كما كذبت عاد، ونقف نترقب ما سيقع عندما يرسل الله الناقة فتنةً لهم، وامتحانا مميزا لحقيقتهم، ويقف صالح مرتقبا ما سيقع، ويقال إن الذى عقر الناقة هو قدار بن سالف من الرهط المفسدين فى المدينة، تعاطى الخمر فسكر ليصير جريئا على الفعلة، "فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر، وتمت الفتنة ووقع البلاء، وحملوا جميعا التبعة وعُدوا أنهم عقروها.

حكاية "البقرة"

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟

يَفْعَلُونَ ۝ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ٦٧ – ٧٣) موسى عليه السلام – كليم الله – الذى كلم الله وكلمه الله فى حوار بينهما: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى ٥١)، بأمر الله يقول لقومه بنى إسرائيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ وهو ينبئهم أن هذا ليس أمره وليس رأيه، إنما هو أمر الله... فكان جوابهم سفاهة وسوء أدب، واتهاما لنبيهم الكريم بأنه يهزأ بهم ويسخر منهم. ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ؟ ﴾، فاستعاذ موسى بالله، وردهم برفق عن طريق التعريض والتلميح. وأن ما ظنوه به لا يليق إلا بجاهل بقدر الله.. ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.

لقد كان فى وسع قومه أن يمدوا أيديهم إلى أية بقرة فيذبحوها، فإذا هم مطيعون لأمر الله، منفذون لإشارة رسوله، ولكنهم بطبيعتهم يسألون : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ فهم فى شك مما يأمرهم به موســى، ولم يدخل موسى معهم فى جدل شكلى، فأجابهم عن صفة البقرة: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ إنها بقرة لا هى عجوز ولا هى شابة، وسط بين هذا وذاك ، ثم ينصحهم ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ وفى هذا كفاية لأن يعمدوا إلى أية بقرة من أبقارهم، لا عجوز ولا صغيرة ، متوسطة السن، فيخلصوا بها ذمتهم، وينفذوا بذبحها أمر ربهم، ويعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق، ولكنها إسرائيل كما نعرفها.. لقد راحوا يسألون: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ ﴾

وكأنه هو رب موسى فقط وليس ربهم كذلك : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴾ إذن عليهم أن يبحثوا عن بقرة متوسطة السن، لا عجوز ولا صغيرة، وهى بعد هذا صفراء فاقع لونها. وهى بعد هذا وذاك ليست هزيلة، ولا شوهاء ﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴾

ولكنهم يعقدون الأمور، ويشددون على أنفسهم، وعادوا يسألون: ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ معتذرين بقولهم : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ وكأنما أحسوا بممالطتهم فهم يقولون : ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ، ولم يكن بد من أن يزيد الأمر عليهم مشقة وتعقيدا، وأن تزيد دائرة الاختيار، بإضافته أوصاف جديدة للبقرة المطلوبة: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾. وهكذا لم تعد بقرة متوسطة ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝ ﴾.

ويكشف الله لهم الغاية من هذا الأمر وهذا التكليف، ولماذا ذبح بقرة بالذات، فيكون السبب: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

لقد كشف الله لقوم موسى عن الحكمة من ذبح البقرة .. لقد كانوا قد قتلوا نفسا منهم، ثم جعل كل فريق يدرأ عن نفسه التهمة ويلحقها غيره، ولم يكن هناك شاهد. فأراد الله أن يظهر الحق على لسان القتيل ذاته؛

وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه، وذلك بضرب الذبيح ببعض من تلك البقرة، وهكذا كان فعادت إليه الحياة ليخبر بنفسه عن قاتله، وليجلو الريب والشكوك التى أحاطت بمقتله، وليحق الحق ويبطل الباطل بأوثق البراهين.

إنها قدرة الله، التى لا يعرف البشر كيف تعمل، فهم يشاهدون آثارها ولا يدركون كنهها ولا طريقتها فى العمل: "كذلك يحيى الله الموتى".

هذه قصة قصيرة نبدؤها، فإذا نحن أمام مجهول لا نعرف ما وراءه، نحن لا نعرف فى مبدأ عرض القصة لماذا يأمر الله بنى إسرائيل أن يذبحوا بقرة، كما أن نبى إسرائيل إذ ذاك لم يعرفوا، وفى هذا اختبار لمدى الطاعة والاستجابة والتسليم، تلك الطاعة التى رأيناها فى إسماعيل عندما هم أبوه بذبحه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الصافات ١٠٢) طاعة بالغة، وتسليم بالأمر الإلهي، وتفويض إلى الله...

اللـــون :

جعل الله تعالى اختلاف الألوان أداة لإظهار جمال مخلوقاته كالثمرات والجبال والدواب، إنها جميعا تختلف فى ألوانها. مما يضفى عليها جمالا، لأن جمال أى مخلوق يرتبط بالألوان ارتباطا وثيقا.. ولولا فطرة الخالق فى اختلاف ألوان المخلوقات لا فتقر الوجود إلى كل ما تراه الآن من جمال..

وإذا نظرنا إلى السماء، رأينا زينة وجمالا، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (ق ٦)، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (الحجر ١٦)، ويذكر القرآن الكريم قدرة الله تعالى فى اختلاف الألوان فى المخلوقات فى ست آيات، هكذا يقول الدكتور أحمد شوقى إبراهيم، رئيس المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة، ويضيف : قال تعالى فى سورة النحل الآية ١٣ ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾، وفى سورة فاطر الآية ٢٧: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ ولاشك أن فى اختلاف ألوان المخلوقات إعجاز فى الخلق، لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

وقدرة العين فى استقبال ألوان المرئيات يكون فى شبكية العين، بواسطة الخلايا المخروطية التى يبلغ عددها فى كل عين نحو ٧ ملايين خلية، والحديث فى استقبال الألوان بواسطة حاسة البصر يطول وينطق بطلاقة قدرة الله تعالى فى خلقه.

إلا أن فى الآيات الكريمة وجها آخر من العلم. مدهشا وعجيبا، لم يدركه العلماء إلا فى عصر العلم الحالى. فقد بحث د. فون فريش أستاذ علم الحيوان فى جامعة ميونيخ، حاسة بصر النحل، ونال عن ذلك جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٧٣. فقد اكتشف أن النحل يرى الألوان الموجودة فى منطقة الأشعة فوق البنفسيجية (٣٠٠ – ٣٨٠ أنجستروم)، والتى لا تراها

عين الإنسان، إلا أن النحل لا يرى أشعة الألوان التى لها أطوال تتعدى ٦٥٠ أنجستروم، وتراها عين الإنسان.

إذن فحاسة البصر فى النحل ترى من الألوان ما لا تراه حاسة بصر الإنسان، وحاسة بصر الإنسان ترى من الألوان ما لا تراه حاسة البصر فى النحل، فالشيء ذو اللون الواحد تراه حواس المخلوقات بألوان مختلفة، وهذا إعجاز فى خلق حواس البصر فى المخلوقات مدهش وعجيب. وهذه الحقائق العلمية تعطينا تفسيرا علميا جديدا للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة التى تتحدث عن اختلاف الألوان ١٣ ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُۥٓ﴾

الزهور الحمراء مثلا.. لونها له موجات تقع ما بين ٦٥٠ – ٧٥٠ أنجستروم، وهى منطقة من الطيف لا تراها حاسة بصر النحل، وتراها حاسة بصر الإنسان، ولكن تلك الزهور لها إشعاعات فوق بنفسجية، فالزهرة التى تراها عين الإنسان حمراء اللون، تراها عين النحلة بنفسجية اللون. والزهرة التى تراها عين الإنسان بيضاء اللون، تراها عين النحلة بلون أخضر. والنباتات التى تراها عين الإنسان خضراء اللون، تراها عين النحلة بلون رمادى..

ولا ندرى ما الألوان الحقيقية للمخلوقات؟ هل هى الألوان التى تراها عين النحل، أم الألوان التى تراها حاسة البصر فى الإنسان؟ أم هى ألوان أخرى لا نراها نحن، ولا يراها النحل على حقيقتها.

إن الله عز وجل خلق مخلوقات بألوان من طبيعتها أن تراها حواس بصر المخلوقات بألوان مختلفة، ذلك أن الله عز وجل خلق

مخلوقاته الحية، بأبعاد ذات قدرات مختلفة، كل حسب البيئة التى يعيش فيها، حسب متطلبات حياته، وحسب ما يشبع غريزة حب الجمال فيه.

وهناك من الأشياء أمامنا، لا نبصرها. فلقد خلقنا الله تعالى فى علم نرى منه ما يعيننا على حياتنا، لا يزيد على ذلك ولا ينقص، كما خلق باقى الأحياء جميعا، وأنشأ فيهم السمع والأبصار وباقى الحواس، بما يعينهم على حياتهم، لا تزيد على ذلك ولا تنقص، ولا يبصر كل شيء جملة وتفصيلا إلا الذى خلقها وهو الله عز وجل الذى قال فى سورة الأنعام الآية ١٠٣ ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾، أما إذا تحدث عن حواس أبصارنا، فإنه تعالى يخبرنا بحقيقة خلقها، وفطرتها التى فطرها عليها كما فى سورة الحاقة الآيتان ٣٨ و٣٩ فى قوله تعالى﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾

ولنا بعد ذلك أن نستعيد قول الله تبارك وتعالى فيما ذكر من ألوان البعض من الحيوانات والطيور، من مثل قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ فى قصة البقرة فى سورة البقرة الآية ٦٩، وقوله تعالى فى لون الجمل فى سورة المرسلات الآية ٣٣: ﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ **فهل يقصد الله عز وجل بلون آخر غير اللون الأصفر الذى نراه بحاستنا بالنسبة لحاسة بصر النحل ؟ أم يعنى به اللون الأصفر ذاته وبتكوينه. وإن رآه بعض المخلوقات الأخرى على غير اللون الأصفر- وربما كان لذلك دلالة فى الخلق لا يعلمها إلا الله سبحانه.**

ويذكر الله جل وعلا – الغراب بلونه الأسود – فيقول : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (فاطر ٢٧) وقد بين لنا دلالة اللون الأبيض واللون الأحمر فى الجبال ومن ثم اللون الأسود فى الغراب.

وعن دلالة الألوان فى القرآن الكريم يقول الدكتور صلاح أحمد حسن، الأستاذ بكلية الطب جامعة أسيوط، إضفاء الألوان على المرئيات، نعمة كبرى من نعم الله التى لا تعد ولا تحصى، فقد يميز اللون حيوانا بعينه عن بقية جنسه كبقرة بنى إسرائيل، كما يميز اللون بين الناس والدواب والأنعام يقول تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ (فاطر ٢٨)، كما يختلف لون عسل النحل باختلاف الزروع التى تفذت عليها، يقول تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ (النحل ٦٩).

وقد جاء ذكر الألوان فى القرآن الكريم، إما بصورة مفردة، وإما بصورة مركبة، ولكل منها دلالتها:

ازدان الصخر باللون، فكانت الجبال وكانت الأحجار الكريمة

وازدان الزهر والثمر باللون، فكان من ذلك جمال الطبيعة.

وازدان الحيوان باللون، فكان التمييز بين الناس والدواب والأنعام.

وابتدع الإنسان الفن فكان اللون أصرخ ما فيه، وتوارث الإنسان الفن صورا رائعة تصور حياة الناس على هذه الأرض، ريشات حملت من رقعة الألوان الصبغ الأصفر والأحمر والأخضر، وبسطته على لوحات خلقت منها ما أبكى حينا، وما أضحك حينا، وما سكت الناظر أمامه عن

ضحك وعن بكاء حالما، ساهما، يحاول أن يستكنه الحركات النفسية الدفينة فى هذه الصور الرائعة..

عرف القدماء اللون لاشك فى هذا، والتاريخ يقول إنهم فهموه على أنه خصيصة من خصائص الجسم، فالجسم الأحمر أحمر لأن فيه الحمرة، والأصفر أصفر لأن فيه الصفرة، فكأن الصفرة والحمرة شيئان يخرجان من الأجسام.

وليس من شك فى أن للألوان دلالتها، بسبب ما تترك بأعصاب العين. إن الإنسجام أساس من أسس الجمال، وكذلك الألوان قد تجتمع على جمال، وقد تجتمع على قبح، ومن الألوان المنسجم، ومن الألوان المتنافر.

والألوان تؤثر فى الناس، وتكشف عن طبيعتهم، وانتعاش العين يؤثر فى الجهاز العصبى، فاللون الأحمر مثلا يقترن بالعاطفة ويرمز إلى الإثارة، ويرمز اللون الأسود إلى الحزن والكآبة.. لقد تعلم الإنسان مقاييسه من الجمال، وألفته للألوان، ووزنه لها، من الطبيعة نفسها، فيما يأكل إذا أكل، وفيما يخطو بين مروجها وأشجارها، وفيما يركب ويرى من دواب، وفيما يرى من تقلب عناصر اللون فى السماء تغيم قاتمة، ثم تصحو زرقاء، وشمس تطلع حمراء، فتتوسط السماء صفراء، ثم تغرب شهباء، وبين ليل ينطوى، يليه نهار، يعود بدوره إلى انطواء.

وقد فرق (سارتر) تفريقا قاطعا بين الأدب والفنون، على أساس أن العمل فى الألوان غير التعبير بالكلمات، نظرا إلى أن هذه الألوان.. ليست علامات، لأنها لا تردنا إلى شىء خارج عنها. صحيح إنه ما من إحساس إلا وتداخله دلالة، ولكن المعنى الصغير الغامض الذى يسكن اللون.. لا يعد أمرا ذا بال.

وحاول عالم النفس الإنجليزى (إدوارد بلا) بحث مسألة ما إذا كان ثمة ألوان معينة سارة بذاتها وعلى نحو شامل، فقدم تصنيفا لأنماط من استجابة المتلقى لجماليات اللون، أطلق عليها: الترابطى والفسيولوجى، والموضوعى، ونمط الشخصية.

وقد أدرك العرب الاختلاف فى اللون الواحد، فوضع الثعالبى، والبيرونى، وابن سيدة، وابن منظور، والكندى، وغيرهم، كلمات يعبر كل منها عن (لون) خاص من اللون.

ذكر أن الألوان تنقسم إلى قسمين: بسيط ومركب، فالبسيط عند بعضهم لونان: الأبيض والأسود، وعند بعضهم أربعة: وهى الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، وما يتركب منها.

تستند أنثروبولوجيا المعرفة فى دراستها للألوان إلى دراسة أبنيتها المعرفية أو ما نطلق عليه "مكونات الألوان"، وما يقابلها من مصطلحات لغوية عن طريق تحليل هذه المكونات التى تقوم عليها فى ثقافة معينة.

ويرى (كونكلين) أنها بهذه المنهجية تهتم بتصنيفات ثابتة، باعتبار زعمها ثبات اللغة واستقرارها فى إطار هذه الثقافة، وأنه من خلال هذا الثبات والاستقرار يصبح بالإمكان اكتشاف معانى كلمات اللون، وتنظيمها فى مجموعة من التصنيفات التى يكون لها معنى معين بالنسبة للمنتمين لتلك الثقافة، بينما الأصح فى نظره، هو قابلية هذه المعانى للتغير من موقف لآخر، ومن ثم اختلاف دلالتها طبقا للسياقات المختلفة.

وربما يبدو غريبا أن نعرض لعالم الألوان، ونصله بهذا الفيض السماوى، لكن إذا أدركنا امتلاء هذا الفيض بالتنوع والتغير والدلالات

والرموز، أزالت الغرابة، وأخذت خاصية اللون فى الآيات القرآنية أهميتها التى تستحقها.

فقد ذكر القرآن الكريم اختلاف ألوان البشر والحيوانات والزروع والجبال، فذكر اللون الأحمر والأصفر، والأخضر، والأسود، والأبيض. ذكر اللون الأحمر فى آية واحدة فى وصف الجبال (فاطر ٢٧).

وذكر الأصفر فى أربع آيات، إحداها عن لون بقرة بنى إسرائيل (البقرة ٦٩)، والثلاث الأخرى فى وصف لون النبات (المرسلات ٣٣، والحديد ٢٠، والروم ٥١).

أما الأسود، فقد ورد فى ست آيات، إحداها فى وصف لون الجبال (فاطر ٢٧)، وأخرى فى لون الخيط الذى يميز به الفجر (البقرة ١٨٧)، واثنتان عن وصف من كان يبشر بالانثى: (النحل ٥٨، والزخرف ١٧)، واثنتان فى وصف وجه الكاذبين على الله (الزمر ٦٠)، والكافرين بعد الإيمان (آل عمران ١٠٦).

أما اللون الأخضر، فقد ذكر فى سبع آيات، أربع منها فى وصف لون النبات والشجر (يس ٨٠، ويوسف ٤٣، ٤٦ والحج ٦٣)، وثلاث فى وصف ثياب الجنة من السندس الأخضر (الإنسان ٢١، والكهف ٣١، ومتكئهم من الرفرف فى سورة الرحمن ٧٦).

أما اللون الأبيض فقد ذكر فى إحدى عشرة آية، خمس منهن عن لون يد موسى عليه السلام، عندما ناظر السحرة (الأعراف ١٠٨ – وطه ٢٢ – والشعراء ٣٣ – والقصف ١٢ ، ٣٢، وواحدة كناية عن العمى (يوسف ٨٤)، وواحدة عن لون الجبال (فاطر ٢٧)، وواحدة عن لون

الخيط الذى يميز به الفجر (البقرة ١٨٧)، وآية واحدة فى وصف وجه من أنعم الله عليه بالجنة (آل عمران ١٠٦) وأخرى فى وصف الكأس الذى يدار على أهل الجنة (الصافات ٤٦)، وأخرى فى وصف جوارى الجنة (الصافات ٤٩)، من مقال للدكتور أحمد زكى من مجلة (فى سبيل موسوعة علمية) – دار الشروق .

ويقول الدكتور أحمد شوقى إبراهيم: إن الألوان لغة تحدث المشاهد بكثير من المعانى، وهى لغة من لغات الفطرة التى لا يعرف بعض خصائصها إلا العلماء المتخصصون، ويبدو أن الجمال الذى يضفيه الله عز وجل على مخلوقاته، ليس محصورا فى الصورة فحسب، ولكنه جمال يتصل بجمال المخلوقات الأخرى، فيكمل بعضه بعضا، وبذلك صارت المخلوقات فى الكون كلوحة فنية جميلة رائعة الحسن والزينة، توزعت فيها الألوان، بحيث ينسجم لون كل مخلوق مع لون المخلوقات الأخرى، ويتناغم معها، إذن فجمال أى مخلوق ليس جمالها فى ذاته فحسب، ولكنه جمال له أبعاد أخرى فى المخلوقات من حوله، وله صلات ترابطه بها ارتباطا وثيقا.

وإذا نظرنا إلى تحت سطح البحر ليلا، شاهدنا عالما مدهشا، وإذا سلطنا ضوءا كاشفا قويّا، فإننا نرى فى ألوان الأسماك عجبا، ونرى صورا فيها من الجمال ليلا، غير صور الجمال فيها أثناء النهار.

وظاهرة تغير ألوان الأسماك فى البحار ليلا من أعجب أسرار خلق الأسماك وأكثرها غموضا. وإذا شاهدنا الأسماك زاهية الألوان نهارا وشاهدناها ليلا، فإننا نشاهد ألوانها الزاهية قد اختفت وصارت بألوان أخرى داكنة. وربما تكون وسيلة لحماية الأسماك أثناء نومها، وذلك من

وسائل التمويه، ومحاولة الهروب من الأعداء، ومهما يكن من أمر فإن ذلك يدل على أن الجمال هو من فطرة الخلق، وما على الإنسان إلا أن يطالع صور الجمال فى فطرة كل خلق، ويتدبر آيات الله تعالى فيه فيزداد إيمانا ويزداد بالله يقينا.

يقول أبو عبيدة الحسين بن على النمرى، فى كتابه "اللمع " : إن الله عز وجل خلق الألوان خمسة: بياضا وسوادا وحمرة وصفرة وخضرة، فجعل منها أربعة فى بنى آدم : البياض والسواد والحمرة والصفرة". وفى رأى ابن جُزّى أن الألوان الأصلية خمسة، وهى : البياض والسواد والحمرة والصفرة والخضرة، وأما الألوان الفرعية المركب بعضها مع بعض فهى ماعدا ذلك..

الكـــون الجميـــل:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾(فاطر ٢٧، ٢٨)

ألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين فى جميع الأجيال فما من نوع من الثمار يماثل لونه نوع آخر. بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد.

وفى ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها، والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها. مختلف فى درجة اللون والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه، وهناك جدد غرابيب سود، حالكة شديدة السواد.

هذه اللفتة إلى ألوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها إلى جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزا، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالى العالى.

ثم ألوان الناس، وهى لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر، فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بنى جنسه، بل متميز من توءمه الذى شاركه حملا واحدا.

وكذلك ألوان الدواب والأنعام، والدواب أشمل والأنعام أخص، فالدابة كل حيوان – والأنعام هى الإبل والبقر والغنم والماعز، خصها من الدواب لقربها من الإنسان. والألوان والأصباغ فيها معرض كذلك جميل كمعرض الثمار ومعرض الصخور سواء.

فى سورة البقرة الآية ٦٩ يقول تعالى : ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ **فالآية تتحدث عن مواصفات البقرة التى طلب الله منهم – على لسان موسى- ذبحها ، ومن ذلك أن يكون لونها أصفر، بل وشديد الاصفرار.**

وقد ربطت الآية الكريمة بين علاقة اللون، والحالة المزاجية والنفسية للإنسان من ناحية، وعلاقة اللون بالأبصار من ناحية أخرى. أولا: العلاقة بين اللون والحالة النفسية والمزاجية للإنسان:

أشارت الآية الكريمة بصورة مباشرة إلى العلاقة بين اللون الأصفر الفاقع للبقرة، وبين سرور من ينظر إليها. وقد عرف العلم الحديث مؤخرا، العلاقة الوثيقة بين تأثيرات الألوان المختلفة على الحال النفسية والمزاجية للإنسان، فقد اهتمت بذلك المستشفيات والمصحات النفسية والمطاعم والملاهى والمدارس والشركات السياحية ورياض الأطفال وغيرها باختيار جدرانها وألوانها، وأثاثها وأرضياتها وأسقفها، وحتى ألوان ملابس العاملين بها، فقد عرف أن اللون الأحمر يثير الأعصاب ويرفع من درجة التوتر والغضب، وربما كان ذلك هو السبب فى اختياره فى إثارة الثيران فى حلبات مصارعة الثيران، وكذلك فى هياج الديكة الرومى عند رؤيتها لثياب حمراء اللون. كما عرف تأثير اللون البرتقالي على فاتح الشهية وزيادة إفرازات الهضم فرحت المطاعم تستخدمه في طلاء جدرانها وأسقفها وإعلاناتها ومفارش موائدها وغير ذلك. أما اللون الرمادى فقد عرف أنه يؤدى إلى الاكتئاب حتى إنه قد أطلق اسم هذا اللون على نوع من الاكتئاب يسمى (اكتئاب السماء الرمادية) والذى ينتشر – خاصة بين سكان الدول الاسكندنافية، نظر لغياب الشمس لفترات طويلة، واكتساء السماء باللون الرمادى، مما يؤدى إلى الاكتئاب، وزيادة معدلات الانتحار فى هذه الفترة.

أما اللون الأصفر فهو من الألوان المبهجة، والتى ترفع الحالة المعنوية للإنسان، وينبه الجهاز العصبى، وربما كان ذلك سبب اختياره فى وميض مصابيح السيارات للتنبيه على اتجاه الانحراف، أو قرب الوقوف أو

الانتظار. وقد ذكر اللون الأصفر فى أكثر من موضع فى كتاب الله المجيد، مقترنا بنضوج النبات مثل قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ (الحديد ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ (الزمر ٢١).

وقد لوحظ أن الأمراض النفسية نادرا ما تعرف طريقها إلى بدو الصحراء نظرا لغلبة اللون الأصفر على البيئة، بالإضافة إلى عوامل أخرى مثل: قلة الكثافة السكانية، وقلة الضجيج، وانعدام الصراعات اليومية فى المواصلات والعمل، وغياب التلوث البيئيّ، وقلة احتياجات الفرد، وغير ذلك..

أما اللون الأخضر، فهو أكثر الألوان راحة للعين والنفس، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة فى آيات كثيرة، بل إن رب العزة قد أشار إلى اللون الأخضر كآية من آياته المعجزة فى الأرض، نظرا لأنه لون المادة الخضراء (الكلوروفيل) فى النبات، فقال تعالى : ﴿ مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ﴾ (الأنعام ٩٩)

واللون الأخضر هو أكثر الألوان شيوعا فى الجنة، يقول تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ (الرحمن ٧٦) ويقول تعالى: ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ (الإنسان ٢١)، ويقول تعالى : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ (الكهف ٣١).

ثانيا : علاقة اللون الأصفر بالإبصار : ربطت الآية القرآنية ربطا مباشرا بين نقاء اللون الأصفر والإبصار، وقد اكتشف الطب حديثا أن أقماع شبكية العين المسئولة عن الإبصار بالنهار، والمختصة برؤية الألوان تحتوى على ثلاثة أنواع من الصبغيات الأولية كل منها مخصص للون معين وهي:

الأحمر والأصفر والأزرق، ويسمى صبغ اللون الأصفر "الاكزانسبسين" ويوجد فى أعلى تركيز داخل الشبكية (أكثر المناطق حدة للإبصار)، كذلك فقد عرف علميا أن موجات الضوء الزرقاء تتجمع أمام شبكية العين، والموجات الحمراء خلف الشبكية، فتكون الصورة المتكونة على الشبكية غير واضحة فى كلتا الحالتين. وأما الموجات الصفراء فإنها تتجمع تماما على شبكية العين، فتتكون منها أوضح صورة، وقد أشار القرآن الكريم إلى اللون الأصفر الفاقع للبقرة كدليل على نقائه، وعدم امتزاجه بألوان أخرى، حتى لا ينتج عن ذلك ما يسمى بالدرجات المتفاوتة للون الواحد، والتى تتسبب فى حدوث دوائر اهتزاز حول الصورة المتكونة على شبكية العين، تقلل من درجة وضوحها..

فى دراسة عملية للفنان التشكيلى محمد المقدسى، ذكر فى مفهومه للون: تضم نظرية اللون جملة من التعريفات والمفاهيم وتطبيقات التصميم وكل المعلومات قد تملأ العديد من المراجع الموسعة.

ومن المفاهيم الأساسية: أن دائرة اللون، أو نظرية الألوان مبنية على اللون الأحمر والأصفر والأزرق تعتبر تقليدية فى مجال الفن. وقد قام العالم إسحق نيوتن بتطوير الرسم البيانى الدائرى للألوان عام ١٦٦٦، ومنذ ذلك الحين قام كل من العلماء والفنانين بدراسة وتصميم العديد من المتغيرات فى هذا المفهوم.

أما الفروق فى الرأى حول صلاحية صيغة على أخرى تستمر لإثارة النقاش بين الناس. وفى الحقيقة فإن أى دائرة لون، أو عجلة للون تمثل تتابعا مرتبا بصورة منطقية للألوان الخالصة، ولابد أن تنتهى بميزة إيجابية.

الألوان الرئيسة الأحمر والأصفر والأزرق هى الألوان الثلاثة التى لا يمكن خلطها أو تشكيلها لألوان أخرى، والألوان الأخرى كافة مشتقة من الثلاثة.

أما الألوان الثانوية فهى الأخضر والبرتقالى والأرجوانى، وهى مشكلة نتيجة خلط الألوان الرئيسة. والألوان الثلاثية هى الأصفر البرتقالى، والأحمر البرتقالى، والأحمر الأرجوانى، والأزرق الأرجوانى والأزرق المخضر، والأصفر المخضر، كلها ألوان تشكلت نتيجة خلط الألوان الثانوية بالرئيسة.

وعرف المقدسى تناسق الألوان على أنه تركيب مبهج للأجزاء سواء كانت موسيقية أو شعرية أو لونا، ففى التجارب البصرية يعتبر التناسق شيئا يسر العين، ويشغل الناظر، ويخلق إحساسا داخليا بالانتظام، وهناك توازن فى التجربة البصرية، وعندما يكون شىء ما غير متناسق، فهو إما أن يكون مزعجا أو فوضويا، وفى تلك الحالة سيكون العقل البشرى رافضا للمعلومات التى تأتى بالإثارة.

العقل الإنسانى يرفض أى شىء لا يستطيع تنظيمه، وما لا يستطيع فهمه، والوظيفة البصرية تتطلب أن نقوم بعرض تركيبة منطقية، ويقوم التناسق فى الألوان بتوصيل اهتمام بصرى وإحساسى بانتظام، وبالتالى تقود وحدة الطرفين إلى التخفيض من الإثارة والتعقيد المتطرف يقود إلى الإثارة المفرطة. أما التناسق فيعتبر توازنا ديناميكيا لمصلحة الإنسان.

وشرح الباحث المقدسى كيف ترى العين الألوان فقال: "يتأسس اللون فى الضوء وإن أشعة الشمس كما ندركها بلا لون، وفى الحقيقة أن قوس قزح عبارة عن شهادة للحقيقة بأن جميع الألوان فى الطيف موجودة فى

الضوء الابيض، فإن الضوء يذهب من مصدره إلى الهدف، وأخيرا إلى الكاشف.. العين والدماغ.

وأضاف حول اللون والبصر موضحا أن عين الإنسان يمكن أن ترى سبعة ملايين لون.. وعلاقات اللون يمكن أن تمثل تهيجا للعين، وتسبب الصراع، ومحطمة لبصر الإنسان. أما الألوان الأخرى، ومجاميع الألوان فهى مرطبة، وبالتالى فإن الاستخدام الملائم للون يمكن أن يضاعف من الإنتاجية لأقصى حد، ويقلل من الإرهاق البصرى لأدنى حد، ويعطى راحة للجسم..

وتحدث عن أكثر الألوان إزعاجا فقال: إن اللون الأصفر من الليمون الصافى هو أكثر الألوان إرهاقا وتهيجا للعيون، نتيجة من فيزياء الضوء والبصريات، فالمزيد من الضوء ينعكس بالألوان اللامعة، وينتج عنه إثارة مفرطة.

يصيح الأطفال أكثر من الغرف الصفراء، والأزواج والزوجات يكافحون أكثر فى المطابخ الصفراء، لذلك يجب توخى الحذر فى كيفية استخدام هذا اللون... وقد رأينا فى دراسة سابقة ما يفيد عكس هذا البحث، وهذه الدراسة عن اللون الأصفر.

وفى التطبيق العملى فإن اللون الأصفر هو الأكثر مرئية بين كافة الألوان، ويعتبر اللون الأول الذى تلاحظه عين الإنسان، عليك استخدامه لإثارة الانتباه، فأى علاقة صفراء بنص أسود تثير الانتباه، إضافة إلى ذلك يعتبر الأصفر مدهشا، وهو رمز الألوهية فى العديد من المناطق حول العالم، ويرمز للشبابية عند بعض الفلاسفة ويحبه الفنانون.

لعل أوسع مادة عن الألوان موجودة فى المعاجم التى رتبت معلوماتها بإحدى طريقتين : أولهما تبعا للموضوعات، والثانية تبعا للحروف الأبجدية.

وأبرز الكتب التى بحثت عن الألوان متبعة الطريقة الأولى هما كتابا " فقه اللغة" للثعالبى، و"المخصص " لابن سيده.

يحوى كتاب الثعالبى فصلين، أحدهما عن الألوان (٧٠-٧٧) بحث فيه المقررات المستعملة فى لون البياض، والسواد والحمرة فى الإنسان والحيوان، كما عقد فصلا آخر عن ألوان الثياب (٢٤١-٢٤٣)، ومادته ذات قيمة كبيرة.

وأما كتاب "المخصص" فهو كتاب ضخم، مرتب حسب الموضوعات، وعرض للمفردات والتعبيرات المتعلقة بكل موضوع. وقد كتب فصلا عن النبات الذى يصطبغ فيه ويختضب (٢٠٩/١١-٢١٣) وفيه ذكر لعدة ألوان مستعملة فى الملابس، اعتمد فيها على عدد من اللغويين والنباتيين القدامى.

أما المعاجم المرتبة تبعا لحروف الأبجدية، فأهمها "لسان العرب" لابن منظور، وقد نقل من المواد التى بحثها أقوال عدد من لغويى القرنين الثانى والثالث الهجرى، كما نقل عن ابن سيده، وأورد بعض الأحاديث نقلا عن "النهاية" لابن الأثير، ومادته دسمة، غير أن ترتيبه على المعجم قد يضيع على المتتبع لبعض الألوان.

وبالإضافة إلى المعاجم، هناك عدد من كتب الفقه، والتراجم، والتاريخ، وبعض من الأعمال الاستشراقية، وبالذات عند المستشرق الفرنسى رينهارت دوزى R.Dozy (١٨٢٠-١٨٨٣) والإيطالى فرانسسكو

بجوينوت F.Beguinot (١٩٨٠ – ١٩٦٣) والإنجليزى سرجنت R.Serjeant والفرنسي مايار.

الألوان الأساسية أربعة : الأحمر – الأصفر – الأخضر – الأسود.

يقول أبو عبيدة الحسين بن على النمرى فى كتابه "الملمع" : "إن الله عز وجل خلق الألوان خمسة: بياضا وسوادا وحمرة وصفرة وخضرة، فجعل منها أربعة فى بنى آدم: البياض والسواد والحمرة والصفرة"

وفى رأى ابن جزى أن الألوان الأصلية خمسة وهى: البياض والسواد والحمرة والصفرة والخضرة. وأما الألوان الفرعية المركب بعضها مع بعض فهى ماعدا ذلك. ثم يتحدث عن الألفاظ التى تعنى استحكام الألوان الأصلية وتمكنها، فيقول: "أبيض ساطع، وأسود حالك، وأحمر قانى، وأصفر فاقع، وأخضر ناضر. وأن هذه الألفاظ تابعة للألوان الأصلية دون الألوان الفرعية.

ونذكر المصنفات التى عنيت بألفاظ الألوان وأنواعها عناية خاصة، وهى:

١- كتاب مبادئ اللغة – مع شرح أبيات مبادئ اللغة – للشيخ الإمام أبى عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافى (المتوفى سنة ٤٢١هـ).

٢- كتاب فقه اللغة وسر العربية، تأليف الإمام اللغوى أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى (المتوفى سنة ٤٢٩هـ).

٣- كتاب المخصص، تأليف أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى، المعروف بابن سيده (المتوفى سنة ٤٥٨هـ)

تبدو فى الألفاظ خاصة لغوية رائعة هى : إظهار ألوان المعانى وظلالها "خاصية التلوين الداخلى".

لغة التأمل الداخلى، ففيها قدرة خاصة على التجريد والنزوع إلى الكلية والشمول. القدرة الذاتية على التحليل الفلسفى العميق. والقرآن الكريم يشير إلى دلالة الألوان من الآيات الآتية:

الأصفر: ·

من سورة البقرة الآية ٦٩: ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

وثمة تعمير (ناصع) أطلقه العقاد على اللون، حين وصفه بأنه "النور فى أصباغه المختلفة، هذه الأصباغ يبلغ أسماؤها الآلاف بحساب كنهها وقيمتها وتشبعها.

من سورة الزمر : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾(٢١)

من سورة الحديد ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(٢٠)

من سورة المرسلات﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ (٣٣)

من سورة الروم ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾(٥١)

الأخضر :

من سورة يوسف : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ (٤٣) وأيضا : ﴿وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ الآية ٤٦.

من سوزة يس ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (٨٠)

من سورة الحج ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(٦٣)

من سورة الإنسان﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٢١)

من سورة الكهف﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٣١)

من سورة الرحمن﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (٧٦)

من سورة الأنعام ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ (٩٩)

الأبيض :

من سورة الأعراف﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (١٠٨)

من سورة طه ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴾ (٢٢)

من سورة الشعراء﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (٣٣)

من سورة القصص﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (٣٢)

من سورة النمل﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ﴾ (١٢)

من سورة الصافات﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيۡضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ (٤٦)

من سورة آل عمران﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (١٠٦)

من سورة آل عمران﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ ﴾ (١٠٧)

من سورة يوسف ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝ ﴾ (٨٤)

من سورة البقرة ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾(١٨٧)

من سورة فاطر﴿ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾ (٢٧-٢٨)

الأحمر :

من سورة الرحمن ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً ﴾(٣٧)

من سورة فاطر ﴿ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾ (٢٧-٢٨)

توازن متواتر قائم على مستوى الإيقاع الصوتى، وعلى مستوى التلفظ والمستوى الدلالى (أبيض وأحمر وأسود)

الأسود :

من سورة الزمر ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٦٠)

من سورة النحل ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ (٥٨)

من سورة الزخرف ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (١٧)

من سورة آل عمران﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (١٠٦)

من سورة البقرة ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾(١٨٧)

من سورة فاطر ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (٢٧-٢٨)

ويعتبر اللون الأبيض مع السواد أكثر أنواع الألوان انتشارا... ترى الجبال فتتكشف لك عن ألوان شتى، وتزدهر هذه الألوان ازدهارا، حتى ليكون منه صخور الجرانيت، ويكون منه الياقوت والزمرد والزبرجد، وما إليها..

الفصل الثامن

حكاية الأنعام

الإبل

الدابة

الصورة الفنية عند الحيوان

حكاية الأنعام:

هى إحدى عائلات الحيوانات المجترة، ذات الحافز، زوجية الأصابع، وهى حيوانات ولودة، تحمل صغارها داخل جسم الأم، وترتبط الصغار مع الأم بواسطة المشيمة حتى تضعها وهى كاملة النمو. وتتميز الأم بوجود غدد خاصة لإفراز اللبن الذى ترضعه صغارها حتى تفطم، ولذلك تضم مجموعة الثدييات المشيمية، وهى حيوانات ذات فقار ولذلك توضع تحت قبيلة الفقاريات، ولها حبل عصبى مركزى، ولذلك تضم إلى قبيلة الحبليات. وعلى ذلك تصنف الأنعام فى علوم الحيوان على النحو الآتى:

١- المملكة الحيوانية.

٢- قبيلة الحبليات.

٣- تحت قبيلة الفقاريات.

٤- طائفة الثدييات.

٥- تحت طائفة الثدييات المشيمية.

٦- فوق رتبة الحافريات.

٧- رتبة زوجيات الأصابع.

٨- تحت رتبة المجترات.

٩- عائلة الأنعام (الأبقار)

وكغيرها من الثدييات تتميز الأنعام بأنها حيوانات ولودة ترضع صغارها، وبوجود الشعر أو الفرو أو الصوف الذى يكسو جلدها، وبوجود الغدد العرقية والدهنية واللبنية فى جلودها، وبتميز أسنانها إلى قواطع

وأنياب وأضراس، ويتكون كل من فكيها من عظمة واحدة، وبوجود الحجاب الحاجز الذى يفصل التجويف الصدرى عن التجويف البطنى. وهى حيوانات ذات دم حار، ويعمل كل من الشعر أو الفرو أو الصوف الذى يغطى الجلد والغدد العرقية على حفظ درجة حرارة ثابتة لأجسادها، وهو ما يساعدها فى التغلب على تغيرات الجو.

والأنعام تشمل بالإضافة إلى كل من الإبل، والبقر، والضأن، والمعز (وهى من الحيوانات المستأنسة) عددا من الحيوانات.. البرية مثل الظباء والزراف والغزلان.

ومن طائفة الثدييات يذكر لنا القرآن الكريم بعضا من هذه الأنواع من مثل: السبع – الوحوش – كل ذى ظفر – الغنم – القرد – الخنزير .. فيقول فى محكم آياته: ﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ (المائدة ٣) ، وعن الوحوش يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾(التكوير ٥) ، وعن كل ذى ظفر يقول تعالى:﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ (الأنعام ١٤٦) ، وكذلك تأتى كلمة القردة فى قوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ (البقرة ٦٥) ،.وتأتى كلمة الخنزير فى قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ (المائـدة ٦٠) وقـوله تعالـــى: ﴿عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ (الأعراف ١٦٦).

أما الغنم فهى القطيع من المعز والضأن، جمعها أغنام، وهى اسم مؤنث موضوع للجنس، يقع للذكور والإناث، مثلها مثل الإبل، وقد ذكرتها الآيات الآتية:

﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾(الأنعام ١٤٦)

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ (الأنبياء ٧٨).

﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ﴾ (طه ١٨) يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ (الزمر ٦)

ذكر ابن كثير : "خلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج، وهى المذكورة فى سورة الأنعام من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين..."

وجاء فى تفسير الجلالين: أى : وخلق ﴿ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ الإبل، والبقر، والغنم وهو الضأن والمعز ﴿ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ ، وهى التى ذكرها فى سورة الأنعام (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) وخصها بالذكر مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها، لكثرة نفعها، وعموم مصالحها ولشرفها، ولاختصاصها بأشياء لا يصلح لها غيرها كالأضحية والهدى والعقيقة، ووجوب الزكاة فيها، واختصاصها بالدية.

وجاء فى "صفوة البيان لمعانى القرآن" : " ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ أى من كل من الإبل والبقر والضأن والمعز زوجين : ذكرا وأنثى، ويتم بهما التناسل وبقاء النوع، وعبر عن الخلق بالإنزال لأن الخلق إنما يكون بأمر من السماء".

وذكر صاحب صفوة التفاسير: "... أى وأوجد لكم من الأنعام المأكولة وهى – الإبل، والبقر والغنم، والمعز، ثمانية أزواج من كل نوع ذكرا وأنثى. قال قتادة: من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كل واحد زوج، وسميت أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر.

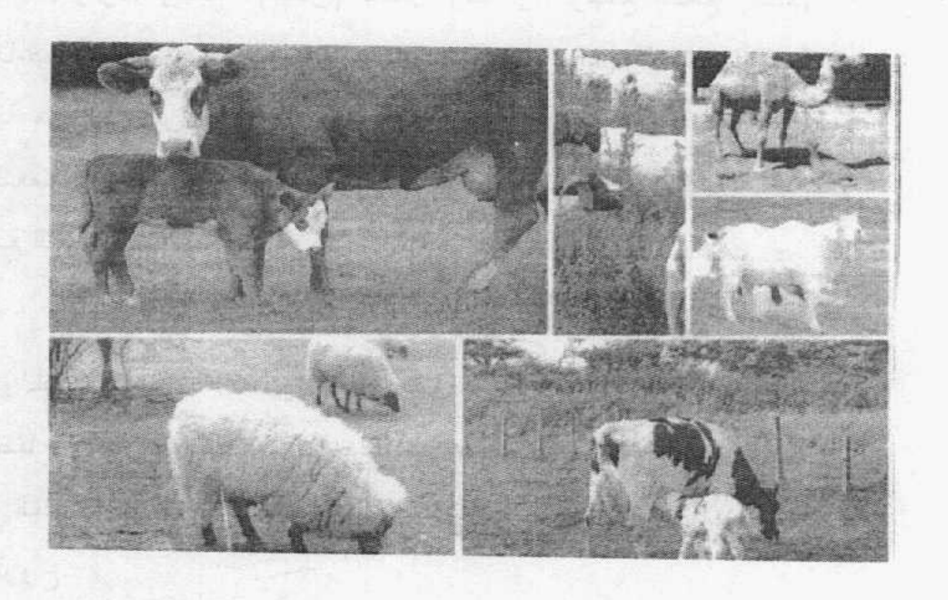
وذكر أصحاب المنتخب فى تفسير القرآن الكريم: "وأنزل لصالحكم ثمانية أنواع من الأنعام ذكرا وأنثى وهى : الإبل والبقر والضأن والماعز".

وقد جاء ذكر الأنعام فى القرآن الكريم فى ثلاثة وثلاثين (٣٣) موضعا، منها ستة وعشرون (٢٦) بلفظ (الأنعام)، وفى موضعين (٢) بلفظ (أنعاما)، وفى ثلاثة مواضع (٣) بلفظ (أنعامكم) وفى موضع واحد (١) جاءت مرتين، مرة بلفظ (أنعامهم) ومرة أخرى (١) بلفظ (النعم).

هذا وقد سميت خامس سور القرآن طولا باسم "سورة الأنعام". ولفظة (الأنعام) مستمدة من (النعمة) وهى المنة، واليد، والصنيعة، وذلك لأن (الأنعام) من أعظم وأجل المخلوقات التى أنعم الله – تعالى – بها على الإنسان لما فيها من الفوائد الكثيرة، والمنافع العديدة، يقول ربنا – تبارك وتعالى – فى محكم كتابه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾(يس ٧١-٧٣).

و(النعمى)، و(النعماء) و(النعيم) كلها ألفاظ مستمدة كذلك من النعمة. والعرب يطلقون لفظة (الأنعام) أساسا على الإبل، والقرآن الكريم يضيف إليها كلا من البقر والضأن والمعز (سورة الأنعام ١٤٢-١٤٤)،

وتعرف الأنعام باسم "المال الراعية" ، وواحدتها (النعم). قال الفراء: هى ذكر لا يؤنث لأنهم يقولون : "هذا نعم وارد" وجمعه "نعمان" على وزن حمل وحملان، وجمع الجمع (أنعام) و(أناعيم).



يطلق العرب لفظة (الأنعام) أساسا على الإبل، وإن شملت بالإضافة إلى الإبل كلا من البقر والغنم والماعز، ولذا تعرف بالمال الراعية، وواحد الأنعام، النعم، قال الفراء: هو ذكر لا يؤنث لأنهم يقولون هذا نعم وارد، وجمعه (نعمان) كحمل وحملان، وجمع الجمع (أنعام) و(أناعيم). واسم (الأنعام) مستمد من (النعمة) وهى اليد والصنيعة والمنة لأنها من أجل من (أنعم) الله به على الإنسان من خلائق. (والنعمى) و(النعماء) و(النعيم) مستمدة كذلك من (النعمة) يقال: فلان واسع النعمة واسع الرزق ومنه المال.

والأنعام من الحيوانات الثديية، والثدييات هى طائفة من طوائف الحيوانات اختصها الله تعالى بالقدرة على إفراز اللبن من بين فرث ودم لإرضاع صغارها حتى تكبر، ولذلك ميزها الخالق سبحانه وتعالى بعدد من الغدد الخارجية القادرة على إفراز اللبن تعرف باسم الأثداء أو الضروع.

وعلى الرغم من قلة عدد أنواع الثدييات (حوالى أربعة آلاف نوع) إلا أنها تتوزع توزعا فاعلا فى جميع بيئات الأرض، وتلعب دورا مهما فى تبادل المادة والطاقة بينها وبين تربة الأرض قل أن تشاركها فيه مجموعة أخرى من مجموعات الحياة الأكثر عددا مثل الحشرات والطيور.

فمن الثدييات ما يعيش على اليابسة مثل الجمال، والأبقار والغنم والماعز والزراف والغزلان والبغال والحمير والفيلة والكلاب والقطط والنمور والأسود والأحصنة وغيرها. ومنها ما يعيش فى الماء كالحيتان والدلافين، ومنها ما يطير فى الهواء كالخفافيش.

وطائفة الثدييات من ذوات الدم الحار التى تتميز بوجود غطاء من الشعر أو الصوف يغطى أجساده فى أغلب الأحوال، وبأعداد من الغدد التى تعمل على حفظ درجة الحرارة للجسم فى حدود مناسبة، وبأجهزة عصبية معقدة، وبوجود الضلوع فى الجزء الصدرى فقط حتى تتلاءم مع أجهزتها التنفسية، حيث توجد الرئتان فى فراغ خاص بهما مفصول عن فراغ كل من القلب والبطن. ومعظم الثدييات من الحيوانات الولودة، التى تلد صغارها كاملة النمو، وترضعها الأم من لبنها حتى تفطم.

ويمتد تاريخ الثدييات على الأرض حوالى (١٨٥) مليون سنة مضت (من العهد الجورى المبكر) وإن كانت أغلب الأنواع المعروفة لنا اليوم لا يتعدى وجودها اليوم على الأرض (٩٠) مليون سنة، ولم يزدهر انتشارها على الأرض إلا منذ حوالى (٥٠) مليون سنة فقط.

ومن الثدييات ما يأكل الأعشاب، ومنها ما يأكل الحشرات، ومنها آكلات اللحوم، ومنها آكلات اللحوم والأعشاب، ولذلك تتمايز أسنانها إلى قواطع وأنياب وضروس.

والأنعام من الثدييات آكلات الأعشاب ذات الحافر مزدوج الأصابع، والتى ميزها الله تعالى بالاجترار وهيأ لها جهازا هضميا خاصًا قادرا على هضم كل من الأعشاب، وأوراق الأشجار، وغير ذلك من الأعلاف الخشنة، وزودها بقدر من الميكروبات التى تتعايش معها لتعينها على هضم المواد السليوزية المعقدة من معدة الاجترار، وتزيد من القيمة الغذائية لها بتحويل النيتروجين العضوى الناتج من عملية تخمر الطعام إلى عدد من الأحماض الأمينية، وتجهيز أعداد من الفيتامينات المهمة.

أما الثدييات ذات الحافر أحادى الأصابع فتشمل الأحصنة وأشباهها، والفيلة وأشباهها ولذلك كان فى فصل كل من الخيل والبغال والحمير عن الأنعام فى مطلع سورة النحل إشارة ضمنية لتلك الفوارق، وإلى التشابه التشريحى والوظيفى بينها حيث إن كلها من الثدييات اللبون.

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ (النحل ٦٦).

ذكر أصحاب المنتخب فى تفسير القرآن الكريم، ما نصه "وإن لكم أيها الناس من الإبل والبقر والغنم لموعظة تعتبرون بها، وتنتقلون فى هداها من الجهل إلى العلم بالصانع المبدع الحكيم، ونسقيكم من بعض ما فى بطونها من بين فضلات الطعام والدم لبنا صافيا لذيذا سهل التناول للشاربين.

كيف يتكون اللبن؟

يتكون اللبن أساسا من البروتينات والكربوهيدرات، والدهون والعديد من العناصر والفيتامينات والماء. وكل ذلك يستمد من غذاء الحيوان وشرابه، ومن دمه، والذى وصفته الآية السابقة : ﴿ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾ والفرث هو الأشياء المأكولة والمنهضمة بعض الانهضام فى الكرش، ولذا يطلق عليها أحيانا ثقل الكرش، فإذا خرجت من الكرش سميت روثا.

ولقد صمم الخالق سبحانه وتعالى ضروع الأنعام، وضروع غيرها من الحيوانات الثديية (اللبون) بحكمة بالغة كى يمكنها من إنتاج اللبن

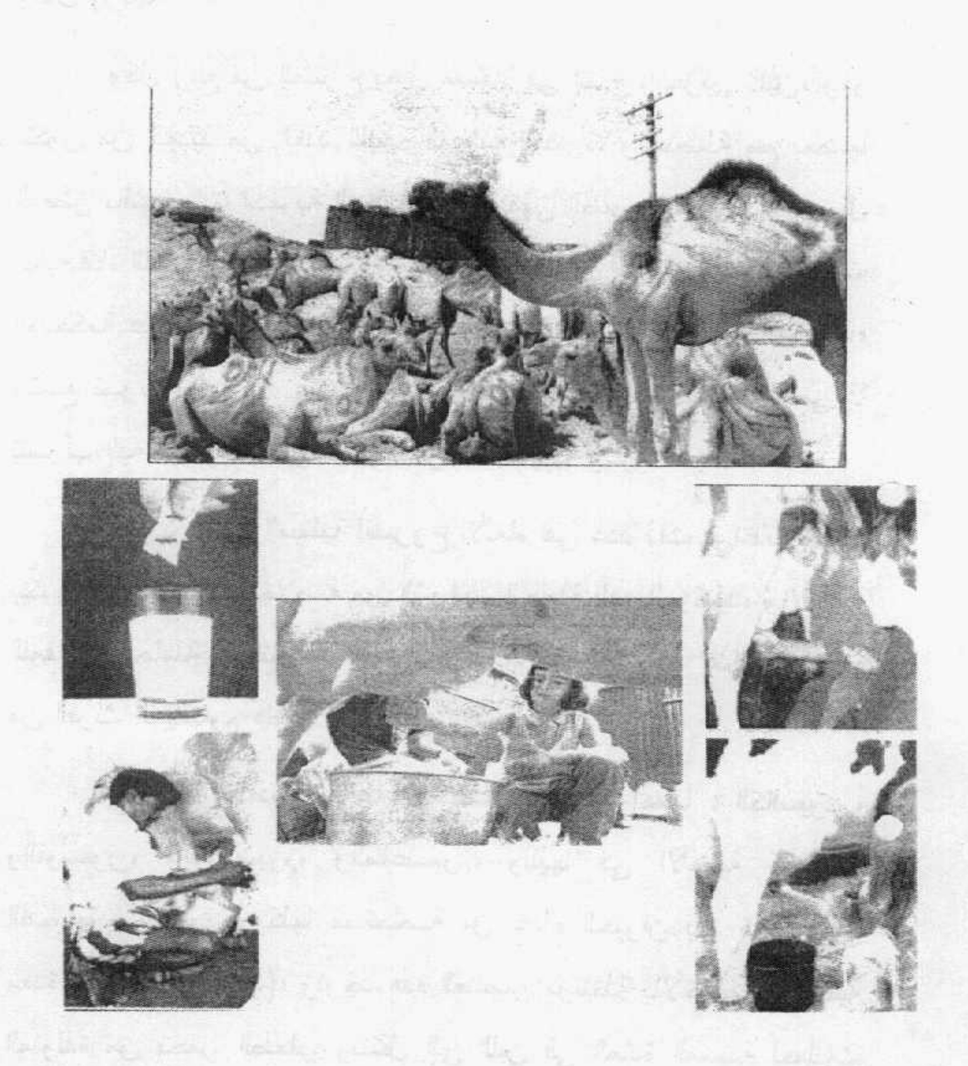
لإرضاع صغارها، واستفادة الإنسان منه. فضروع الأنعام رباعية التركيب، وتتدلى بأربطة خاصة من الحوض لرفعها عن الأرض، ولامتصاص ما قد تتعرض له من صدمات خاصة عندما تمتلئ باللبن، ويثقل وزنها.

وكل ربع من الضرع يعمل مستقلا فى إنتاج وتخزين اللبن، وهو يتكون من العديد من الغدد اللبنية المبطنة لجداره، والمتصلة مع بعضها البعض بالشعيرات الدموية المغذية لها، وينتهى الضرع بالحلمة التى تمثل نهاية قناة اللبن، ويحكم شكلها ووضعها وطولها، وزاوية ميلها، والعضلات المتحكمة فيها ضوابط وراثية فى غاية من الدقة تحكم تدفق اللبن فيها، وتمنع تسربه منها إلا عند الضرورة، كما تضبط إحكام غلقها حتى لا تتسرب إليه البكتريا وغيرها من الملوثات الحيوية وغير الحية.

والغدد اللبنية المبطنة لضروع الأنعام هى غدد ذات فراغات كبيرة يتكون فيها اللبن باستخلاصه من الشرايين الحاملة للدم المؤكسد، والأوعية اللمفاوية الحاملة لسوائلها العديمة اللون، وما بها من مواد غذائية مستمدة من الفرث المهضوم هضما جزئيا فى معدة الحيوان.

وفى اللبن العديد من آثار العناصر التى من أهمها : الكالسيوم ، والفوسفور، والبوتاسيوم، والماغنسيوم، ويليها فى الأهمية كل من الصوديوم والكلور، وكلها مستخلصة من غذاء الحيوان بعد تخمره فى معدة الاجترار (الفرث)، وتوجد هذه العناصر مرتبطة بالأحماض الأمينية المتولدة من تخمر الطعام. وتنتقل إلى اللبن فى المادة المسببة لعمليات تجبن اللبن.

ويستمر تدفق اللبن إلى ضرع الحيوان ما دامت الظروف الصحية له، والبيئية المحيطة به ملائمة من حيث توافر التغذية المناسبة، والماء العذب، والهدوء النسبى، وما دامت عمليتا الرضاع والحلب تتمان بانتظام.



إن للأنعام منافع عديدة للإنسان، ذكرت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾ وتقول الدكتورة مها فريد عقل، الأستاذ بطب بنات الأزهر، إن منافع الأنعام تنقسم إلى قسمين، أنعام سخرت لحمل أثقال الإنسان إلى بلدان بعيدة مثل الجمال، وأنعام سخرت لحومها وألبانها لغذاء الإنسان مثل البقرة والضأن والماعز. ومن العظة فى خلق الجمال لتلائم وظيفتها أنها تقطع مسافات طويلة بالصحراء تصل إلى ٤٠ كيلومترا فى اليوم، وقد وهب الله سبحانه ما سخرت له، فالجمل يستطيع أن يسير لمدة خمسة إلى سبعة أيام بدون طعام، كما يمكنه أن يفقد ربع وزنه دون أن يؤثر ذلك فى وظيفته الطبيعية. ويخزن الجمل كمية كبيرة من الأنسجة الدهنية فى سنامه تمده بالطاقة فى حالة نقص الطعام.

وللجمل قدرة فائقة فى شرب المياه، فهو يستطيع أن يشرب ما يقرب من مائة لتر من الماء فى عشر دقائق فقط، كما أن للجمل قدرة فائقة أيضا فى تحمل نقص المياه ليلائم طبيعة الصحراء، وله قدرة على رفع درجة حرارة جسده لأكثر من ٦ درجات عن حرارته المعتادة حتى لاتؤثر حرارة الجو فى خروج المياه من جسده، كما يحدث للإنسان فى حالة العرق نتيجة ارتفاع حرارة الجو، ويستطيع أن يحمل ما يقرب من مائة وخمسين كيلوجراما من الأثقال بدون جهد، ويمكنه أيضا أن يتحمل أثقالا تصل إلى أربعمائة كيلوجراما ببذل جهد أكبر، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ

بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

يقول الكاتب الكبير أنيس منصور: لكى أقول لك ان (بول) الإبل سامّ، وإنه من الممكن أن يكون شفاء لبعض الأمراض، فقد قلبت فى أكثر من مائة صفحة منقولة من الموسوعات العالمية على شبكات الإنترنت.

أما المناسبة فهى صدور كتاب عنوانه (التداوى بألبان وأبوال الإبل – سنة نبوية ومعجزة طبية) جمعها ورتبها شهاب البدرى يس فى ١٢٠ صفحة من منشورات (مكتبة منهاج النبوة) أما أن البول يستخدمونه فى البادية العربية، فهذه حقيقة، وفى الريف المصرى أيضا، وأذكر أننى قرأت فى رحلة السفنية (رع) المصنوعة من ورق البردى للرحالة النرويجى تور هايردال أن ركاب السفنية قد أصابهم التهاب شديد فى جلودهم بسبب حرارة الشمس، وملوحة الماء.

فما كان من الطبيب الروسى المرافق لهم إلا أن طلب منهم أن يتبولوا بعضهم على بعض، فكان الشفاء.

وقد اعتمد المؤلف على حديث عن أنس بن مالك أن جماعة جاءوا إلى المدينة، فلم يستريحوا إلى جوها، فذهبوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فطلب إليهم أن يشربوا ألبان وأبوال الإبل فصحت أبدانهم.. وروى المؤلف من تجارب أهل المدينة الشيء الكثير.

أما فى المائة ورقة التى أمامى، فقد استخدمت (أبوال) الإبل كنوع من الطب البديل فى علاج أمراض كثيرة، وبعضها يصعب تصديقه، ولكن التقارير الطبية المعتمدة فى الهند والصين وأمريكا تؤكد أن محتويات بول الإنسان أيضا يشفى من عدد كثير من الأمراض، ولكن المشكلة هى أن

الإنسان ينفر من الاقتراب من البول، أو محاولة شربه، ولذلك لجأ بعض الأطباء إلى خلطه بمواد تغير لونه ورائحته.

ويرى الأطباء أيضا أن بول الإنسان يصلح لعلاجه هو، وليس لغيره.. وعندما قرأت التحاليل المعملية للبول، وجدت أنه مركب من ثلاثين أو أربعين مادة، وأنها ليست سامة، ويمكن لمن أراد المزيد من المعلومات الحديثة عن هذه العادة أو (الروشة القديمة) أن يفتح الإنترنت على (العلاج بالبول) وسوف يجد العجب العجاب ... (الأهرام ٢٠٠٤/٣/٨).

الإبـــــل

لا واحد لها من لفظها، وهى مؤنثة لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لها لازم، وفى القرآن يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية ١٧)، ويقول عز من قائل: ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ (الأنعام ١٤٤)

وفى القاموس : الإبل : الجمال والنوق (ج آبال) وهذا الجمع سماعى، وجاء ذكر الجمل فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ (الأعراف ٤٠)، وفى موضع آخر يقول الحق : ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ (المرسلات ٣٣)

ودلالة كلمة "صفر" تشير إلى الصحة والقوة، فإذا أردنا أن نصف الشرر وصفناه بأنه شرر أصفر، وهذا يعنى أنه شرر قوى..

ونوق : الناقة الأنثى من الإبل.

والنعم : الإبل خاصة ، أو الإبل والبقر والغنم (ج) أنعام.

يتوهم البعض أن قطعان الإبل ترعى أعشاب البر على نحو عشوائى، لكنها فى الحقيقة إنما تفعل وفق نظام دقيق لاتحيد عنه، ولعل المتأمل للجمال، وهى تشرب أو تنتقل – وهى الكائنات التى تقطع الفيافى مسطرة بأخفافها تاريخا بيولوجيا ممتدا – يتذكر قول الله – عز وجل – ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾

وقد كانت أعداد كبيرة من هذه الحيوانات عنصرا لا غنى عنه فى حياة العربى، ولاستمرار الحياة فى جزيرة العرب قديما، ومازالت موجودة ومازال هناك من يرفض فض عقد الوفاء للإبل التى جعلت منذ القدم ولزمن طويل من الصحراء مكانا للعيش، ولها من تراث العرب مكانة مميزة.

ويمكن معرفة مكانة الإبل عند العرب عندما نتجول فى بعض مدن المملكة العربية السعودية، ونشاهد قطعانا من الإبل الوضح، أو غيرها من أنواع الإبل تسرح حول المبانى الفخمة والقصور، وليس بعيدا عن منشآت صناعية ضخمة أقيمت فوق رمال الصحراء، وكذلك نجد أعدادا منها فى دولة الكويت تقارب حسب إحصاءات عديدة حوالى عشرة آلاف رأس. ولفهم هذه المعادلة يمكننا العودة إلى بعض ما قاله بروكلمان : (يجب) أن نضع نصب أعيننا أهمية الإبل للعربى، من حيث هى أول مصدر، وأهمه لضرورات الحياة، ومن حيث هى الرفيق الذى لا يعرف الملل أو الكلل فى

رحلاته التى لا نهاية لها فى القفار والبرارى، ولن يأخذنا العجب بعد ذلك إذا علمنا أن البعير كان يلهب رغبة العربى فى الصياغة والتصوير الفنى..

فإذا كانت الإبل للعربى تعنى له كل شيء فى حياته الأولى، فهى لا تزال له إلى الآن لا غنى عنها، ولا يزال متمسكا بها، وهذا يدل على نوع من الاعتراف بالجميل لهذا الحيوان الرائع عند العربى، فمن يملك الإبل يملك العز، لأن إبله تكسبه الرفعة والعزة والمكانة العالية والاحترام بين أفراد قبيلته، وبين القبائل الأخرى.. والنياق الوضح وهى البيضاء اللون من النياق الغالية لذلك فمن يملكها يملك مرتبة عالية من العز.. والإبل مال لأنها رأس مال قوى وكبير، ورأس مال مادى واجتماعى ونفسى، فهى بالنسبة للبدوى أعظم الحيوانات نفعا، ولولاها لما كانت البادية صالحة للسكن قديما وحديثا .. إن تربيتها بركة، ولحمها غذاء، وحليبها شفاء، وبولها نغسل به شعرنا فيطول، ونكوى ببعرها الحكة وبعض الأمراض الجلدية الأخرى، نرحل على ظهورها، وكنانلبس منها دبرها، ومن المجاهيم ذات اللون الأسود، ومنها العربية، حجمها كبير، ووبرها كثيف وتتحمل ظروف البادية.

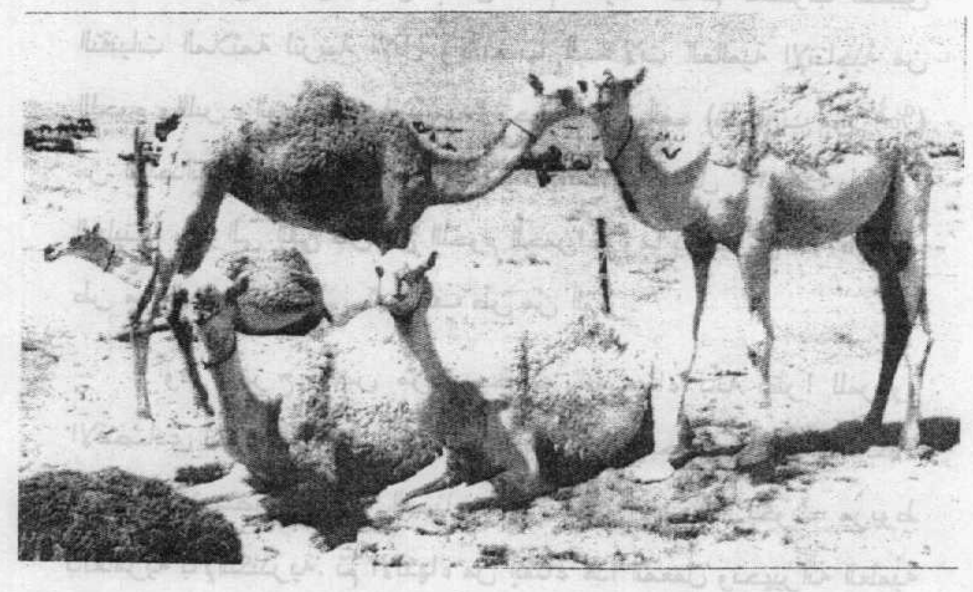
أما الخوارة فشكلها جميل لكنها لا تتحمل ظروف الصحراء، رشيقة القوام، أما نياق الجيش، فتسمى هجن الجزيرة، وتستخدم فى السباق، وهناك بعض السلالات الأخرى كالوضح والحمرا والصفرا والشقحة والتى يكون لون وبرها أبيض وأحمر، وهناك الإبل الجودية والإبل صديقة النباتات البرية، ترعاها بقانون إلهى ألهمها الله إياه، وتدور

مسافات تصل إلى ٨٠ كم يوميا تبحث عن النباتات، وتستطيع الاستفادة من النباتات الشوكية وقليلة الأهمية، على عكس الحيوانات الأخرى.

والجمل يستطيع الصبر على العطش، وذلك بسبب توفير استهلاك المياه فى جسمه نفسه، إضافة إلى وجود الوبر الذى يغطى جسمه، ففى فصل الصيف يستطيع البقاء بدون الماء أسبوعين وتركيز الأملاح فى بول البعير يصل إلي ضعف تركيزها فى ماء البحر، وذلك لقدرة كلية الجمل العجيبة على إفراز الأملاح والبول والتحكم بها. ونشاهد الجمل يرعى فى الصحراء، ويقطع القيافى تحت لهيب أشعة الشمس، فهو يستطيع أن يغير درجة حرارة جسمه تبعا لتغير حرارة الجو، حيث يرفع درجة حرارته فى الصيف، وعند الظهيرة، بحيث يكون الفرق بسيطا بين حرارة الصحراء وجسم الحيوان، وبذلك يستطيع الرعى، والسير لمسافات طويلة تحت هجير الشمس اللاهب، كما تتحمل أخفاف الإبل حرارة الرمل الهائلة التى قد تصل إلى ٨٠ درجة مئوية، والأشواك لكونها كتلة متفرقةُ قاسية وسميكة.

ويختلف حليب النوق عن غيره من حليب الحيوانات الأخرى، حيث تؤثر فيه نوعية الأعشاب التى يتغذى عليها الجمل، ومياه الشرب، ويهيج الجمل في موسم التلقيح، وتتكالب النياق عليه، ولكن الجمل لا يلقح أمه، وهو وفى لصاحبه، فالجمال تعود لمكانها دوما حتى لو سرقت..

أمومة



تمتلك الدول العربية ما يقرب من ١٢ مليون رأس من الإبل وحيدة السنام، تمثل ٧٠% من تعداد الإبل فى العالم. وهذا التعداد يعادل حوالى ١٩% من إجمالى الوحدات الحيوانية فى هذه الدول. وعن الأهمية الاقتصادية للإبل بالدول العربية، فإنها تنتج حوالى ٣,٢ مليون طن سنويا من الحليب الطازج الذى تفوق قيمته الغذائية حليب الأبقار والماعز نظرا لاحتوائه على كميات وافرة من فيتامين ج والأملاح المعدنية المهمة، مما نرى ونشاهد اليوم اهتمام الناس بهذا الحليب والحرص الشاغل لمن يشكو من أمراض الكلى، أو أمراض أخرى قالوا إن علاجهم فى هذا البول – سبحان الله ، بالإضافة إلى حوالى ٠,٢ مليون طن من اللحوم الحمراء، وحوالي ٠,١ بليون طن من الجلود، وحوالى ٣ آلاف طن من الوبر الذى يمكن استخدامه فى صناعة الخيام والملابس والحبال والفرش.

أما فى مصر، فبالرغم من عدم تكثيف الدعم المطلوب لتطبيق التقنيات الملائمة لتربية الإبل ولانتخاب السلالات العالمية الإنتاجية من اللحوم واللبن والوبر، فإن الإبل تمثل حوالى ٧٧ ألف (ما يقرب من ٢%) من الوحدات الحيوانية الكلية فى مصر، وتنتج ما يعادل ٢١ ألف طن من الحليب، وحوالى ألفى طن من اللحوم الحمراء، وما يقرب من ٠,٦% ألف طن من الجلود، وحوالى ٠,١ ألف طن من الوبر.

وقد صرح رئيس مركز بحوث الصحراء بأنه نظرا للمردود الاقتصادى لتنمية الإبل فى مصر، فقد قام مركز بحوث الصحراء بإنشاء مصنع متخصص للتلقيح الصناعى فى الإبل بمحطة بحوث مريوط بالعامرية بالإسكندرية. تم الانتهاء من إنشاء هذا المعمل وتجهيزاته العلمية الحديثة عام ١٩٩٩م – وخلال السنوات الثلاث السابقة حقق هذا المعمل إنجازات عظيمة فى مجال تجميد وحفظ السائل المنوى من الأغنام

والماعز والأبقار والجمال ليكون هذا المعمل مركزا مهما لحفظ الأصول الوراثية الحيوانية بمصر.

ويقوم هذا المعمل بتوفير الجرعات التلقيحية المتميزة لصغار المربين بالأراضي المستصلحة. هذا بالإضافة إلى تقديم خدمة متكاملة تشمل الرعاية الصحية، وتشخيص الأمراض التناسلية، والتلقيح الاصطناعي وتشخيص ومتابعة الحمل حتى الميلاد بنظام الوحدة ذات الطابع الخاص.

وحول المعوقات الطبيعية لجمع السائل المنوى من ذكور الإبل، صرح الدكتور السيد السيد حسانين – أستاذ فسيولوجيا التناسل المساعد، ومسئول معمل التلقيح الاصطناعى بمركز بحوث الصحراء، بأن أهم الإنجازات العلمية التى حقق بها مركز بحوث الصحراء سبقا عالميا هو التغلب على أهم معوقات تطبيق تقنيات التلقيح الاصطناعى فى الإبل، وهى صعوبة جمع السائل المنوى من الذكور خلال موسمها التناسلى المحدود (حوالى ثلاثة أشهر فى السنة) نظرا للعديد من السلوكيات الجنسية الطبيعية للجماع فى الإبل، وعدم إمكانية الحصول على السائل المنوى منها بالكميات والنوعية التى تتيح تطبيق هذه التقنية الحديثة فى الإبل.

تختلف الإبل عن حيوانات المزرعة فى السلوك الجنسى للجماع، حيث ترقد الأنثى على سطح الأرض فى وضع البروك، ويتقدم الذكر فوق ظهر الناقة الباركة، ثم يثنى ساقيه الخلفيتين للجلوس فوق النصف الخلفى للناقة محتضنا الناقة بين فخذيه مما يعيق استخدام المهبل الاصطناعى لجمع السائل المنوى من الذكر أثناء الجماع، ويكون الذكر خلال فترة

الجماع من الناقة فى حالة هياج وشراسة بالغة مما قد يسبب خطورة على الأفراد المتواجدين بمنطقة الجماع.

وتستغرق فترة الجماع بين الذكر والأنثى فى الإبل ما يقرب من ثلاثين دقيقة، نظرا لخصوصية ذكور الإبل فى قذف السائل المنوى على دفعات منفصلة أثناء فترة الجماع، بينما يتم قذف السائل المنوى فى ذكور حيوانات المزرعة دفعة واحدة لا تستغرق سوى ثوان معدودات فقط.

وللتغلب على هذه المعوقات الطبيعية للسلوك الجنسى للإبل، فقد تم ابتكار دمية ناقة ذات مواصفات فنية خاصة ملحق بها معمل صغير (أسفل الناقة تحت سطح الأرض) لسهولة جمع السائل المنوى من ذكور الإبل.

وقد أثبتت النتائج التى تحققت بعمل التلقيح الاصطناعى بمحطة بحوث مريوط خلال الموسم التناسلى للإبل ٢٠٠١/٢٠٠٢ أن هذا الابتكار الجديد قد حقق طفرة كبيرة فى تقنية جمع السائل المنوى من ذكور الإبل بالمقارنة بالطرق العالمية التقليدية التى كانت تتبع دوليا، أو فى معمل التلقيح الاصطناعى بمحطة بحوث مريوط خلال السنوات الثلاث السابقة. هذا وقد تم نشر الابتكار بمؤتمر الجمعية المصرية للخصوبة والتناسل المنعقد بكلية الطب البيطرى بجامعة القاهرة فى فبراير ٢٠٠٢م.

وقد لاقى هذا الابتكار استحسانا كبيرا من العلماء المتخصصين فى مجال التلقيح الاصطناعى بالإبل، وأجمع الحضور بالمؤتمر على أن هذا الابتكار سيحقق طفرة علمية كبيرة فى مجال تقنيات التلقيح الاصطناعى، والتحسين الوراثى بالإبل، وسوف يساعد على التغلب على المعوقات التناسلية لهذه الحيوانات كافة مما يحقق مردودا اقتصاديا كبيرا لإنمائها كمصدر مهم للحوم الحمراء واللبن والوبر والجلود.

إن إحدى الشركات الألمانية العالمية المتخصصة فى إنتاج مستلزمات التلقيح الاصطناعى ونقل الأجنة قد سعت للحصول على حق إنتاج هذا الابتكار، وتسويقه عالميا مع حفظ حقوق صاحب الابتكار، إلا أنه رفض العرض نظرا لإصرار الشركة على تسويقه كمنتج ألمانى، وليس منتجا مصريا.

والأمل معقود فى أن تكون وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى قد تبنت إنتاج وتسويق هذا الابتكار "كصناعة مصرية" وخاصة أن معظم الدول المتميزة فى تربية الإبل وحيدة السنام (عربية أو أفريقية أو آسيوية) تربطنا بها علاقات تجارية، واتفاقيات ثنائية. وآن الأوان لإنشاء "مزرعة إنماء الإبل المصرية" الآن بعد أن تحقق لنا التميز فى جمع وحفظ السائل المنوى من الإبل بنتائج تفوق أضعاف ما تحقق فى مراكز متخصصة أخرى بدولتى الإمارات والسعودية.

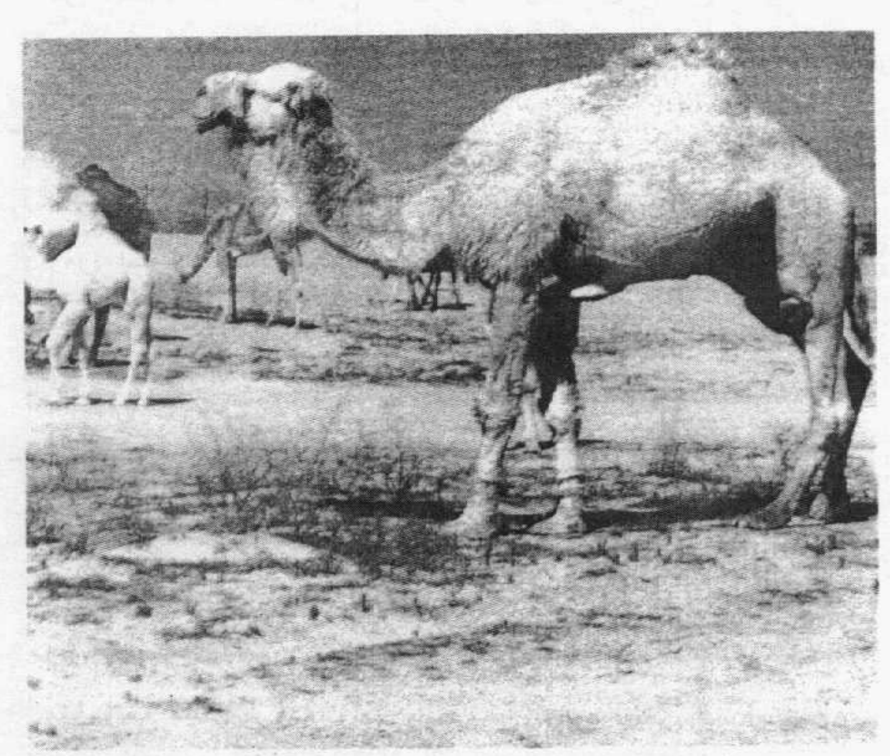
ولعل "مزرعة إنماء الإبل المصرية" أن يتم أو يكون بسيناء، أو بالساحل الشمالى الغربى أسوة بمثيلاتها بدول عربية شقيقة، وتكون هذه المزرعة التنموية متخصصة فى التربية المحسنة للإبل، ويتم بها تطبيق التقنيات الحديثة من الرعاية، والتلقيح الاصطناعى، ونقل الأجنة والعظام المبكر والتسمين كمصدر رئيسى للحوم الحمراء، مع إمكانية إدخال سلالات مستوردة تتميز بالإدرار العالى للبن للتحسين الوراثى للإبل المحلية، مثل السلالات المميزة من الهند وباكستان التى تنتج الناقة منها حوالى ١٢٠٠٠ لتر من اللبن خلال موسم حلابة يمتد طوال العام، أو معظم شهور السنة، وبتحقيق هذا الأمل فإنه يمكن تلخيص المردود الاقتصادى من إنشاء هذه المزرعة المتخصصة فيما يلي:

- زيادة نسبة الإخصاب للإبل بحوالى ٣٦% عن المعدلات الصحراوية الطبيعية.

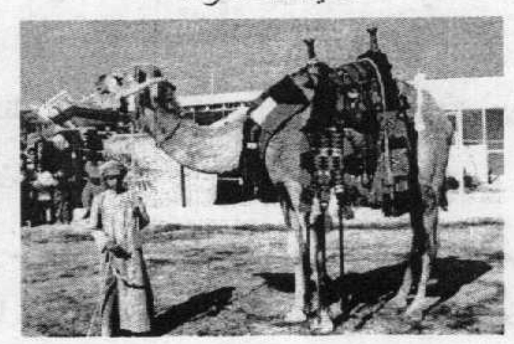
- خفض المدة الفاصلة بين ولادتين للنوق بحوالى ٤٢% عن المعدلات الصحراوية الطبيعية (حوالى ٢٤ شهرا).

- زيادة معدلات النمو للجعدان المفطومة والمسمنة كمصدر رئيسى للحوم الحمراء.

- زيادة معدلات إنتاج اللبن من الإبل بحوالى ٨٣% عن المعدلات الصحراوية الطبيعية وأن تحقيق هذه الآمال ليس بالأمر العسير فى ظل قيادة وعهد الرئيس محمد حسنى مبارك، الذى لا يألو جهدا فى سبيل تحقيق الرخاء لمصر..



سفينة الصحراء



- من صفات الجمل العربى: يذكرها الأستاذ زغلول النجار فى الآتى:

- ضخامة الجسم، وارتفاع القوائم، وطول العنق فى تناسق عجيب يمكن الجمل العربى من سرعة الحركة، واتساع مجال الرؤية، ومن اختزان كميات كبيرة من الماء والغذاء والدهون والطاقة تعينه على احتمال الجوع والعطش لفترات لا يقوى عليها حيوان آخر.

- لرأس الجمل أنف ذو منخارين أعطاهما الله تعالى القدرة على الانغلاق كليا تحاشيا لرمال الصحراء العاصفة، ومنعا لجفاف القصبة الهوائية، وزوج من العيون الحادة الإبصار ترتفعان فوق رأسه المحمول على عنقه الطويل، وجسده المرتفع عن الأرض مما يوسع مجال الرؤية، ولكل واحدة من هاتين العينين المندفعتين إلى الخلف طبقة من الأهداب تقيهما من هبوب العواصف الرملية فى الصحراء، وما تحمله من أذى وقذي. ولفم الجمل شفتان عريضتان، السفلى منهما مشقوقة حتى تمكنه من تناول الأعشاب الشوكية دون أن تؤذيه.

- وعلى جانبى رأس الجمل أذنان صغيرتان يكتنف كلا منهما شعر كثيف لوقايتهما من الرمال العاصفة، خاصة وأن الله تعالى قد أعطاهما القدرة على الانثناء إلى الخلف، والالتصاق بجانبى الرأس لمنع دخول الرمال فيهما...

- أقدام الجمل منبسطة على هيئة الخف المكون من نسيج دهنى سميك يعين الجمل على السير فوق الرمال الناعمة، وفوق غير ذلك من أنواع التربة الخشنة، والصخور الناتئة.

- ذيل الجمل محاط بشعر كثيف يحمى أجزاء جسده الخلفية من كل أذى، خاصة من الرياح العاصفة المحملة بالرمال.

- طول سيقان الجمل تبعده عن التأثر بحرارة الأرض، وارتفاع سنامه يبعد غالبية جسده عن التأثر بحرارة الشمس، لأن تكتل كمية كبيرة من الدهون فى منطقة السنام يحول دون انتشار حرارة الشمس إلى داخل الجسم، خاصة أن الخالق العظيم قد ألهم الجمل بالوقوف متعامدا مع أشعة الشمس قدر الاستطاعة حتى لا يتعرض لها من جسده إلا أقل مساحة ممكنة.

- خلق الله تعالى الجمل وله وسادة حرشفية / قرنية أسفل صدره تعرف باسم "الكلكل"، ووسائد مشابهة فوق كل ركبة من ركبه، وهذه الوسائد تمكن الجمل من الرقود على الأرض مهما كانت قاسية، وخشنة دون أذى، كما تعينه على رفع جسده عن الأرض لعزله عن حرارتها وللسماح لتيار من الهواء يتحرك بينه وبين الأرض لتهويته، وتلطيف درجة حرارته.

- جعل الله سبحانه وتعالى للجمل جلدا غليظا جدا، قليل المرونة، قادرا على تحمل العواصف الحارة المحملة بالرمال عند هبوبها، وعلى مقاومة لسعات الحشرات، وقرصات غيرها من الحيوانات خاصة وأن هذا الجلد يغطيه وبر سميك يدفئ جسم الجمل فى الشتاء، ويحمى حرارته من التصرف إلى الخارج، ويحميه من

حرارة الشمس الحارقة فى الصيف، خاصة وأنه يعكس أشعتها بلونه الفاتح، وجلد الجمل يمتاز بقلة انتشار الغدد العرقية فيه، مما يقلل من فقدان مخزونه المائى عن طريق العرق.

- كذلك يساعد طول العنق عند الجمل، وارتفاع أقدامه على تمكينه من تناول أوراق الأشجار العالية، وتساعد شفته السفلى المشقوقة على تناول الأعشاب الشوكية دون أو تؤذيه، خاصة وأن الله تعالى قد جعل للجمل ميلا فطريا للأعشاب المالحة التى تكثر فى الصحارى الجافة وذلك مثل أنواع الحلفاء. وللجمل قدرة فائقة على استيعاب كميات كبيرة من أملاح هذه الأعشاب دون التأثير على درجة ارتوائه، أو شعوره بالعطش، وذلك من مثل أملاح الصوديوم، والكالسيوم، والسلينيوم، والفوسفور والنحاس وغيرها. وكل واحد من هذه الأملاح يلعب دورا مهما فى حياة الجمل، وفى تخليق أعداد من الأنزيمات اللازمة لنشاطه الحيوى، والجمل يستهلك من كل هذه الأملاح ما يحتاجه، ويختزن الباقى فى الكبد لاسترجاعه عند الحاجة إليه.

من صفات الجمل التشريحية:

الجمل من الثدييات المشيمية المجترة، ولكنه يختلف عن كثير منها بتضاؤل المعدة الثالثة، وبوجود ما يسمى – مجازا – باسم الأكياس المائية فى المعدة الأولى، وهذه الأكياس عبارة عن انثناءات تضم الملايين من الخلايا الغددية التى تلعب دورا رئيسيا فى تفعيل عملية الهضم، وإنتاج كم كبير من السوائل.

كذلك فإن البلعوم الطويل للجمل يحتوى على عدد هائل من الغدد التى تعمل على ترطيب الوجبة الغذائية الجافة، مما يعين على سهولة تحركها إلى باقى أجزاء الجهاز الهضمى، خاصة وأن الجمل يعتمد فى غذائه أساسا على الأعشاب الجافة، وأوراق الأشجار الشمعية القاسية.

زود الله سبحانه وتعالى الجهاز الهضمى للجمل بالعديد من الإنزيمات المنتجة فيه، والكائنات الدقيقة المتعايشة معه، لتقوم بتحليل المواد السيليوزية القاسية فى المعدة المجترة إلى عدد من المركبات النيتروجينية، مثل الأمونيا واليوريا، ثم بناء عدد من الأحماض الأمينية، والبروتينات والدهون، فى تجهيز عدد من الفيتامينات اللازمة لحياة الجمل، ومن العجيب أن يصل تركيز أحد الفيتامينات المهمة مثل "فيتامين د" فى جسم الجمل إلى خمسة عشر ضعفا لما هو موجود فى أجساد باقى الحيوانات المجترة على الرغم من فقر غذاء الجمل بصفة عامة، وذلك لأن هذا الفيتامين يلعب دورا مهما فى تركيز الكالسيوم فى العظام، وهو أمر يحتاجه الجمل بهيكله العظمى الضخم.

من الصفات الوظائفية لأعضاء جسم الجمل:

- الجمل من ذوات الدم الحار، ولكن الله تعالى قد وهبه القدرة على تغيير حرارة جسده ليتوافق مع درجات الحرارة المحيطة به صيفا وشتاء،٠ونهارا وليلا دون أن يصاب بأذى، ويتراوح المدى الحرارى لدماء الجمل بين ٣٤م، ٤٢م وهو مدى يعتبر قاتلا للعديد من الأحياء.

- يؤدى نقصان كمية الماء فى أجسام معظم الحيوانات إلى زيادة لزوجة دمائها مما يؤدى إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم، وينتهى بالكائن إلى الوفاة. أما الجمل فتبقى لزوجة دمه ثابتة مهما نقص الماء فى جسمه مما يسمح لعملية النقل الحرارى أن تتم بين القلب والأطراف.

- الارتفاع فى درجة حرارة جسم الجمل يعين على نقص استخدام الأكسجين مما يبطئ من عملية التمثيل الغذائى فى داخل جسمه، وبالتالى يحد من ارتفاع درجة حرارته، وهذا بعكس جميع المعروف من الحيوانات.

- يستطيع الجمل العيش دون شرب الماء لعدة أسابيع، وكمية الماء التى يتناولها ترتبط بنوعية الأكل الذى يأكله، وعلى درجة الحرارة الخارجية حوله، وقدر الماء الذى سبق له تناوله.

وفى الجو البارد يستطيع الجمل العيش على كمية الماء الموجودة فيما يتناوله من طعام إذا كان غضا طريا، وفى هذه الحالة يمكنه الاستغناء عن شرب الماء لمدة تصل إلى الشهر الكامل. أما فى الأجواء الحارة، ومع تناول الطعام اليابس، فإن الجمل بإمكانه الاستغناء عن شرب الماء لمدة تصل إلى الأسبوع. ولذلك وهب الله تعالى الجمل القدرة على تحمل ندرة كل من الماء، ومصادر الغذاء فى الصحراء، وقلة تنوع تلك المصادر، وضعف محتواها الغذائى، كما أعطاه القدرة على شرب كميات كبيرة من الماء٠عند توافره دون أن يؤذيه ذلك، وأعطاه القدرة كذلك على تحمل إنقاص وزنه بمعدل الثلث، وزيادته بنفس المعدل دون التعرض لأية مخاطر صحية علما بأن ذلك قد يودى بحياة غيره من الحيوانات.

الدابة:

يقول الله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور ٤٥) (الدابة) فى اللغة هى كل ما يدب على الأرض، أى يمشى عليها بخفة، وجمعها (دواب)، وإن كان من اللغويين من يعتبر لفظة (دابة) جمعا لكل شئ يدب على الأرض قياسا على خائنة جمع خائن، ولذلك يقال (دب)، (يدب)، (دبا) و(دبيبا) لكل من يمشى بخفة على الأرض.

وقد قيل إن الفعل يستعمل للتعبير عن حركة الحيوان أكثر من استعماله للإنسان، وللحيوان الذى يحيا على اليابسة بالذات، دون الحيوان الذى يحيا فى الماء، ولكن الأولى إطلاقه على عموم من مشى على الأرض، وذلك لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل ٦١).

ذكر ابن كثير ما مختصره : "يذكر تعالى قدرته التامة، وسلطانه العظيم فى خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد، (فمنهم من يمشى على أربع) كالحية وما شاكلها، "ومنهم من يمشى على رجلين" كالإنسان والطير، "ومنهم من يمشى على أربع" كالأنعام وسائر الحيوانات.

وجاء فى الظلال : "وهذه الحقيقة الضخمة التى يعرضها القرآن بهذه البساطة، حقيقة أن كل دابة خلقت من ماء، قد تعنى وحدة العنصر

الأساسى فى تركيب الأحياء جميعا، وهو الماء.. فهى ذات أصل واحد، ثم هى كما ترى العين، متنوعة الأشكال، منها الزواحف تمشى على بطنها، ومنها الإنسان والطير يمشى على قدمين، ومنها الحيوان يدب على أربع. كل أولئك وفق سنة الله ومشيئته.

وذكر أصحاب المنتخب فى تفسير القرآن الكريم، ما نصه " الله خلق كل شىء، وأبدع الأشياء بإرادته، وخلق كل حى يدب من أصل مشترك هو الماء، لذلك لا يخلو الحى منه، ثم خالف بينهما فى الأنواع والاستعدادات ووجوه الاختلاف الأخرى، فمن الدواب نوع يمشى على رجليه كالإنسان والطير، ومنها نوع يزحف على بطنه كالأسماك والزواحف، ومنها نوع يمشى على أربع كالبهائم، يخلق الله من خلقه ما يشاء ".

وتوضح الآيات أن طرائق تحرك الدواب هى وسيلة من وسائل تصنيفها الجيدة، وحركة الدابة هى انتقالها من مكان إلى آخر سعيا وراء طلب الطعام والشراب، أو للهرب من الأعداء، أو للارتحال عند التغيرات البيئية إلى مكان أنسب.

وتاريخ الزواحف على الأرض يرجع إلى ثلاثمائة مليون سنة، وهى تضم حيوانات بطيئة الحركة بصفة عامة، لأنها تزحف ببطنها على سطح الأرض، ويعرف منها قرابة ستة آلاف نوع، منتشرة فى مختلف أرجاء الأرض..

ويمكن تصنيف الزواحف حسب طريقة الحركة إلى المجموعات التالية:

أ) زواحف تمشى على بطنها:

١- رتبة الثعابين: ويعرف منها قرابة ثلاثة آلاف نوع تنتشر فى مختلف بيئات الأرض.

٢- السحالى الثعبانية: من السحالى ما يعيش تحت الأرض بصورة مستديمة، وهذه تضعف أرجلها إلى حد الاختفاء الكامل.

ب) زواحف تمشى على أربع أرجل :

١- رتبة السحالى (الغطاءات): هذه الرتبة هى أكثر الزواحف المعاصرة انتشارا حيث يعرف منها أكثر من ٢٥٠٠ نوع من مختلف بيئات الأرض، وإن كان أغلبها يدب على سطح اليابسة، ولكل منها أربع أرجل قوية نسبيا، كاملة التكوين، وإن كان لبعضها القدرة على تسلق الأشجار كالحرابى (جمع حرباية)، التى هيأ الله تعالى أرجلها بقدرات قابضة، والسحالى الطائرة من جنس دراكو، التى زودها الله سبحانه وتعالى بثنيتين على جانبى الجسم تشبهان الأجنحة يعينانها على الطيران لمسافات قصيرة، ويوجد فى مصر حوالى أربعين نوعا من السحالى أكثرها انتشارا البرص، والضب، والحرباء.

٢- رتبة السلاحف : للسلاحف أرجل ضعيفة لا تكاد تقوى على حملها بعيدا عن سطح الأرض، ولذلك تمشى بحركة بطيئة، يضرب بها المثل فى البطء نظرا لثقل جسمها، وضعف أقدامها، وهناك ما يقرب من ٢٥٠ نوعا من السلاحف منها: السلاحف الأرضية، والسلاحف البحرية، وسلاحف الماء العذب.

٣- التماسيح : وتضم أكبر الزواحف المعاصرة، ويعرف منها واحد وعشرون نوعا تعيش كلها فى الماء العذب، ولا تخرج منه إلى اليابسة إلا نادرا لوضع البيض على الشواطئ الرملية للأنهار فى مواسم التكاثر.

ج) زواحف تمشى على رجلين:

- من الزواحف العملاقة المندثرة ما مشى على الرجلين الخلفيتين فقط لقصر الطرفين الإماميين قصرا شديدا.

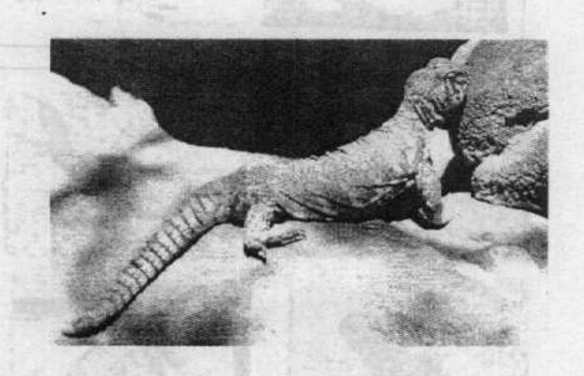
أما فى غير كل من الديدان والزواحف، فإن البرمائيات تميزت بأطراف متطورة أمامية وخلفية بكل منها خمس أصابع، وتتميز حركة كل من البرمائيات والزواحف ذات الأرجل بأنها على شكل مشى بطىء، أو جرى على الأرجل الخلفية مستخدمة الذيل لحفظ توازن الجسم.

أما الطيور فكلها ثنائية الأرجل لتحول طرفيها الأماميين إلى جناحين، وتجمع الطيور فى طائفة واحدة تضم ٢٧ رتبة ، وأكثر من ٨٦٠٠ نوع تنتشر فى مختلف بيئات الأرض.

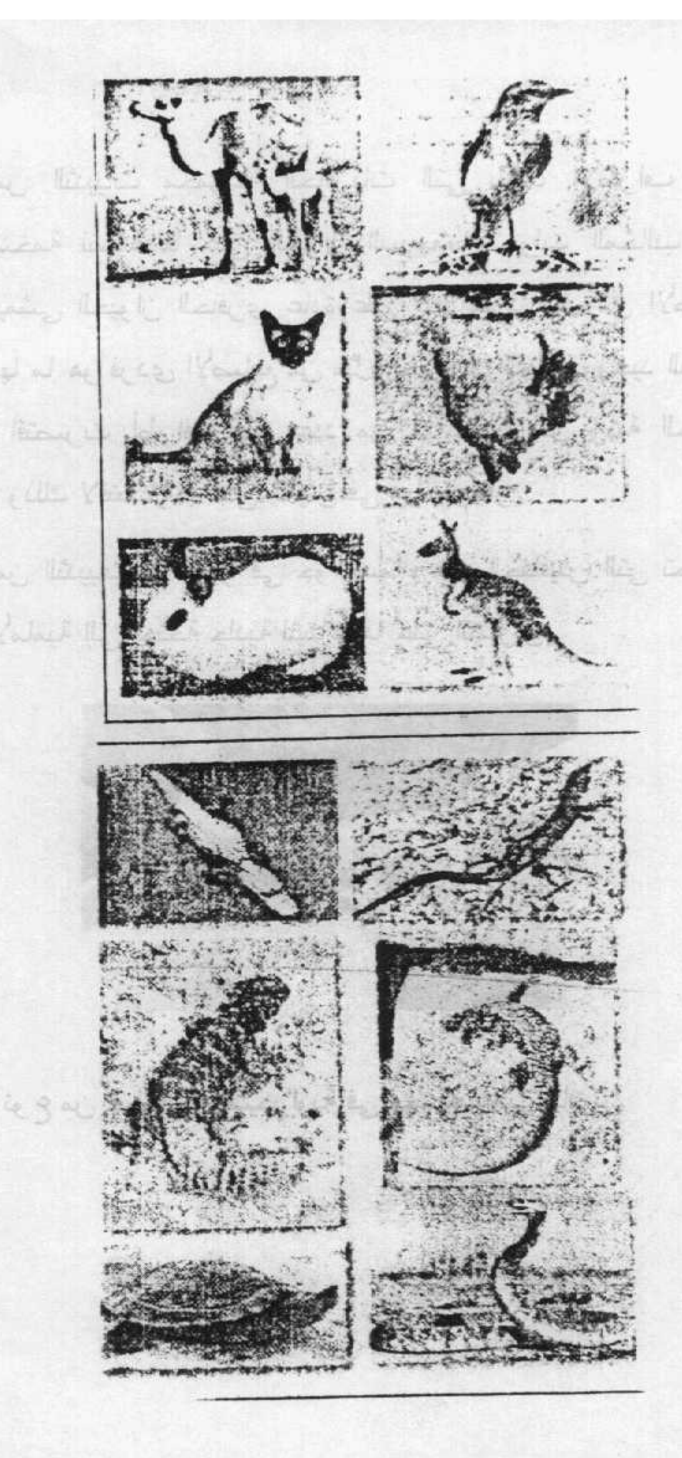
أما الثدييات فلكل منها أربعة أطراف تتدلى تحت الجسم تماما، ويمكنها أن تتحرك فى الأمام إلى الخلف، لأن مفصل المركبة متجه إلى الأمام، ومفصل الكتف متجه إلى الخلف مما يجعل معظم طاقة الحركة موظف توظيفا صحيحا، وتظهر أهمية ذلك فى حيوان كالنمر الذى تصل سرعته إلى ١١٥ كيلومترا فى الساعة، ويستطيع أن يصل فى سرعته إلى ٧٥ كيلومترا فى الساعة خلال ثانيتين فقط من انطلاقه فى الجرى، وهو ما يفوق تسارع أية سيارة سباق صنعها الإنسان.

ومن الثدييات مجموعة الحافريات التى بلغت الأطراف فيها أحجاما ضخمة لتساعدها على الجرى السريع، وتحولت المخالب إلى حوافز، ويمشى الحيوان الحافرى عادة على عدد مفرد قليل من الأصابع فأصبح منها ما هو فردى الأصابع من مثل الخيول، والفيلة، ووحيد القرن، ومنها ما اقتصرت أطرافه على عدد من الزعانف مثل رتبة الحيتان والدلافين، وذلك لاقتصارها على العيش فى مياه البحار.

ومن الثدييات ما يطير فى جو السماء مثل الخفافيش التى تحولت أطرافها الأمامية إلى أجنحة جلدية لتساعدها على الطيران.



نوع من السحالى الصحراوية فى محمية سانت كاترين



﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

الصورة الفنية عند الحيوان:

منذ عام ١٩٨٠م، وبعد خبرة طويلة فى مجال تصوير الطبيعة بشكل عام، والحيوانات بشكل خاص، قام المصور العالمى فرانس لا تينغ، بجولات طويلة فى غابات ومناطق كثيرة من الدول، والتقط صورا لنظرات حيوانات مختلفة، وتحمل أعباء كبيرة لأنه كان يجلس ساعات طويلة بانتظار حركات مناسبة للحيوانات دون ككل أو ملل، كما كان يركز على قرب الهدف (الحيوان) منه حتى يكون خياله قريبا منه كفاية، وبالتالى لتكون صوره متميزة، وبهذا الشكل، يكون قد أقام جسورا للتواصل بين عالم الحيوانات، وبين ملايين الناس المتواجدين فى بيوتهم، الذين لم يواجهوا حيوانات ضخمة كالأفيال خلال حياتهم ولم يذهبوا لصيد الأسود فى الليالى الإفريقية. وقد تفرد فرانس لاتينغ بتحقيق دقة متناهية فى تصوير الحيوانات كى يثبت قوة الحيوانات وعزة نفسها عندما تكون فى الطبيعة، مع عدم التركيز المفرط على جماليات اللقطة.

وكانت أهم أعماله فى مدغشقر، حيث صور كلا من الحرباء والسحلية، ولاحظ أن عينى الحرباء تتحرك كل واحدة بمعزل عن الأخرى، وهذا يسمح لها بأن تحدد مكان غذائها ومكان غنائمها وخصومها دون أن تدير رأسها، أما فيما يتعلق بالسحلية، فقد تأكد له أن هذا الحيوان يملك نظرات قوية بفضل عينيه الكبيرتين جدا، والمجهزة بأربع حدقات، وإضافة إلى جولاته فى مدغشقر– قام لا تينغ بزيارة كثير من غابات العالم، مثل غابات البيرو والكنغو وبوتسوانا والبورنيو.. والتقط كثيرا من صور الحيوانات، ومنها الحيوان الليلى الذى له عيون غير متناسبة مع

جسمه، لأن جسمه لا يتجاوز الخمسة عشر سنتيمترا، بينما يزن كل عضو جهاز الإبصار لديه ثلاثة غرامات، أى بما يزيد عن وزن كامل دماغه.

وإضافة إلى ملاحقة الحيوانات التى تعيش فى الغابات، فقد اهتم فرانس لا تينغ بالحيوانات البحرية، ونظراتها تحت الماء، إذ لاحق حيوانا ضارا نصف مائى، يستطيع الرؤية وهو غاطس تحت الماء لأن عينيه تتموضعان فى الجهة العليا من رأسه، حيث يملك جفنا ثالثا شفافا يغطى العين خلال الغطس، كما اهتم بالحيوانات التى كانت تراقب كاميرته عندما كان يقوم بتصويرها كما هو الحال عند فأرة الأشجار، وبالأشجار وبالحيوانات التى تتمتع بعيون ذات قدرة استثنائية تمكنها من رؤية وصيد فرائسها الفئران والحشرات والخنافس) سواء خلال ضوء النهار، أو خلال العتمة، إذ تستطيع بفضل مقلة العين المرنة، التركيز على أى شىء من بعيد، كما تساعد فتحة الحدقة العريضة جدا على الاستفادة من الضوء الخافت فى الليل مهما كان ضئيلا.

يقول أنيس منصور:

متعة مؤكدة أن تشاهد عالم الحيوان، فهى أسهل طريقة لفهم سلوك الإنسان لأنه كان حيوانا ولا يزال.

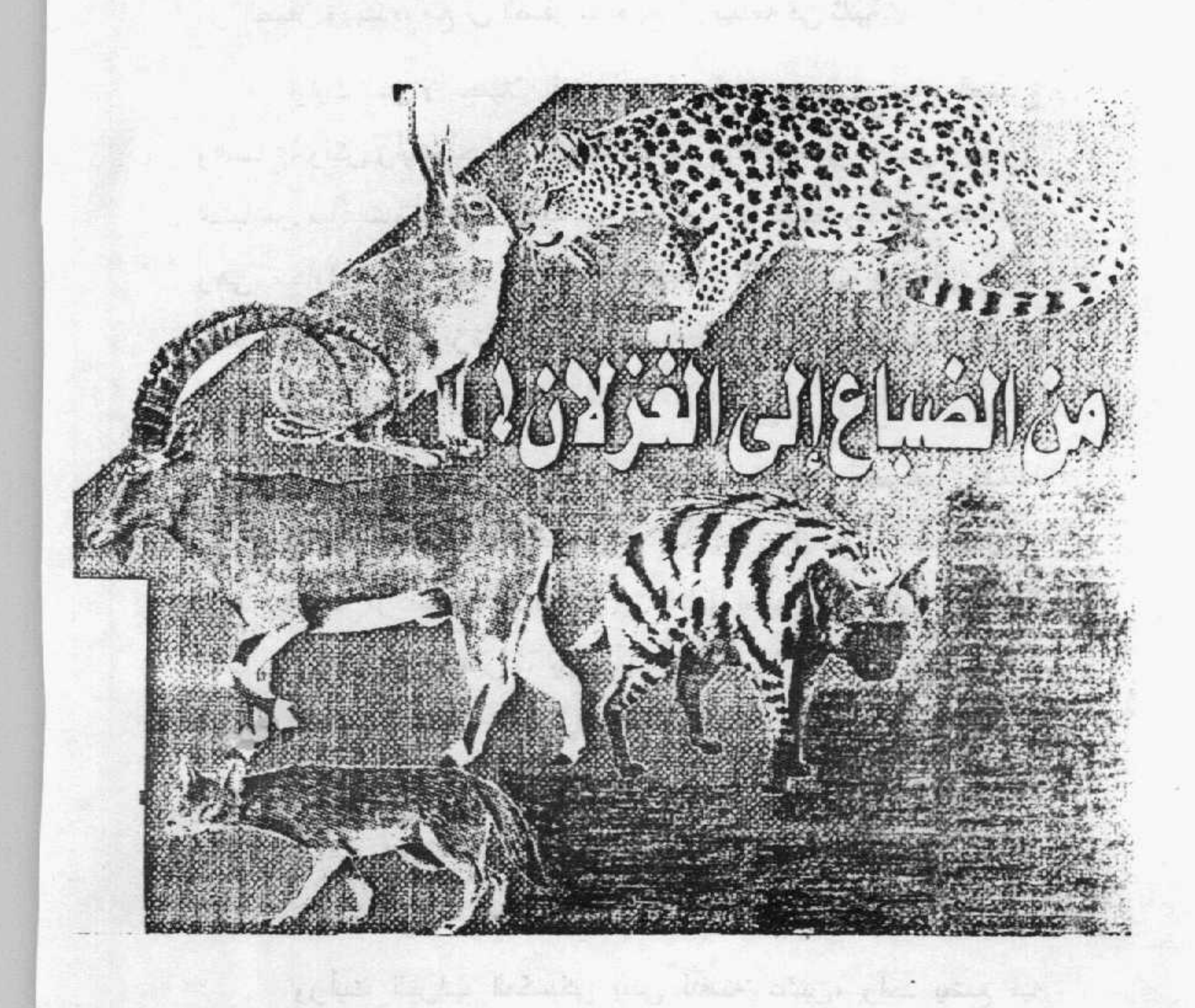
فمن المشاهد الغريبة أن تجد طائرا صغيرا أحس بالفيل يمشى إلى جواره، فجأة نجد هذا الطائر نفخ نفسه، ونفش ريشه فصار أكبر حجما، وهو لا شىء بالمقارنة بهذه الحيوانات الضخمة ولكنه يحمى البيض الذى تحته، ولا يكف عن الصياح والرقص والقفز.. وتهديد الحيوانات الضخمة

القادمة. وحتى عندما يجيء صقر ويخطف البيض فإنه يظل يطير قريبا من الصقر ويهدده، مع أن الصقر يستطيع أن يبتلعه فى ثانية.

رأيت غزالا جميلا يقفز فى السماء، ويهبط ويسبق الضباع والسباع، ولكن رأيت أحد الضباع يقترب لكى يخطف الوليد الذى نزل إلى الدنيا من ساعات، أما الأم فكانت فى حالة جنون، تهاجم وتضرب بساقيها، وهى محاولة مميتة لها، ولكنها لا تتوقف. وقد تموت قبل أن يموت صغيرها، ولكنها غريزة الأم التى تحمى صغيرها وتعميها عن الحقيقة، وهى أنها الا قدرة لها على ذلك.

ورأيت القطة الأم قبل أن تنطلق تتصيد العصافير طعاما لصغارها، فإنها تغطى جسد الصغار بلعابها، فلا تترك جزءا. وتعود وتجد صغارها كما تركتها، فماذا فعلت؟ إن لعابها سام تماما حتى لا يقربها النمل ولا النحل ولا القردة، بل رأيت القردة لا تكاد تمد لسانها حتى تصرخ، أو حتى يغمى عليها. ويقال إن لسان الأم فى دفاعها عن أولادها ينقط سما زعافا، فهى ليست فى حاجة إلى أن تمضى الليل والنهار فى حماية الصغار دون طعام فيموتون وتموت. لقد سلحتها الطبيعة بما هو أقسى من السكين والرصاص.

ورأيت الغراب المكسيكى يبنى لنفسه عشين، واحد يضع فيه البيض، والثانى يضع فيه الصغار. أما الصغار فقد لف على مناقيرها خيوطا تجعلها لا تنادى الأم فتسمعها الطيور الجارحة، أما العش الآخر فقد وضع فيه بيضا. البيض من حجر، فإذا جاء طائر يكسر البيض تنبهت الأم إلى الخطر فأخفت صغارها تحتها.


من الضباع إلى الغزلان!!



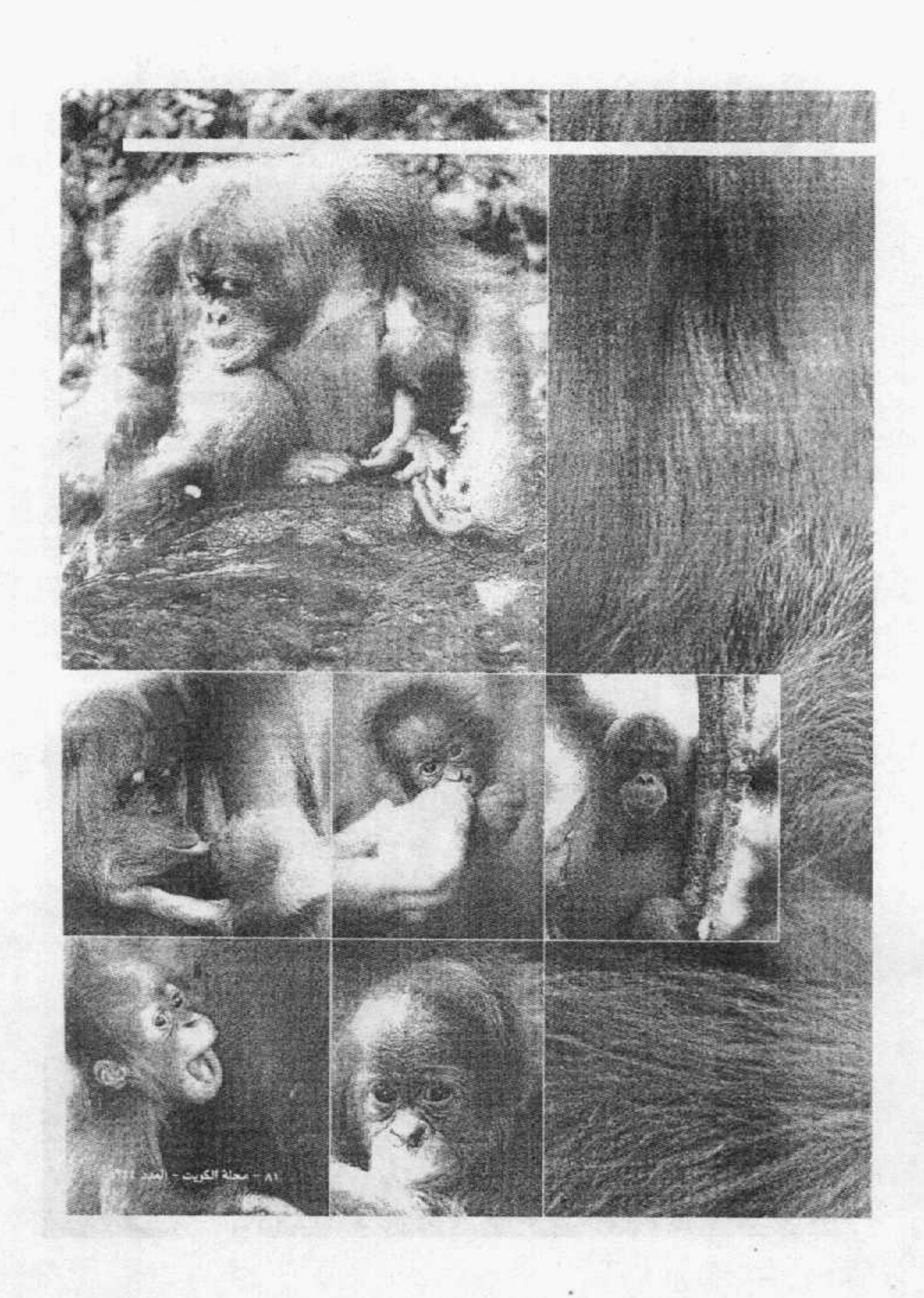
اللحظة الطبيعية

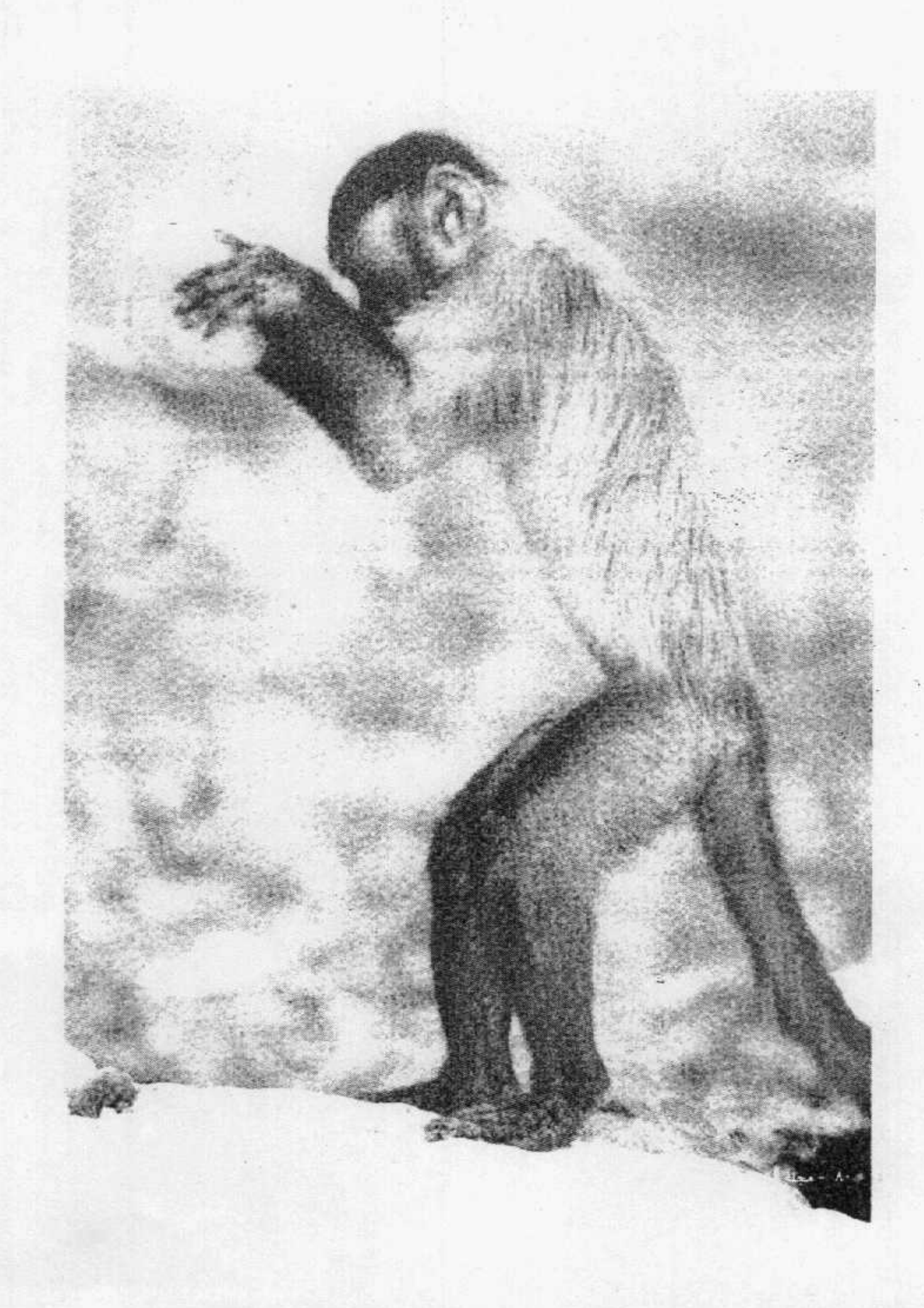
حنان القردة

[illegible] ١٩٩٨ [illegible]

[illegible] بفعل
[illegible] الجميلة تردد الماء
[illegible] أن الصغير
[illegible] الا رغبتها الجامحة
[illegible] أنفاسه من الجوع
[illegible] أخيرا انتهى
[illegible] «فورستر» إلى أمه.
[illegible] بصدرها باحثا عن
[illegible] سوداء مفعمة
[illegible] صغيرها. وها
[illegible] وفرحه.
[illegible] إليه
[illegible] قوة
[illegible]

م.د.


٨١ - مجلة الكويت - العدد



الفصل التاسع

الشعاب المرجانية

صوم الحيوان

الرحمة بالحيوان

الموت الرحيم.

الشعاب المرجانية

يطلق اسم المرجان على مجموعة أنواع من الحيوانات اللافقارية المصنفة تحت شعبة Cnidarians والتى تضم المرجان الصلب، والمرجان الرخو، والمرجان النفيس إضافة إلى المرجان المائى، إلا أن الشائع من المرجان هو النوع الصلب، وينقسم النوع الصلب إلى المرجان البانى للشعاب، والذى يبنى الهيكل الأساسى للشعاب المرجانية، والنوع غير البانى والذى لا يدخل فى مكونات بناء الشعاب..

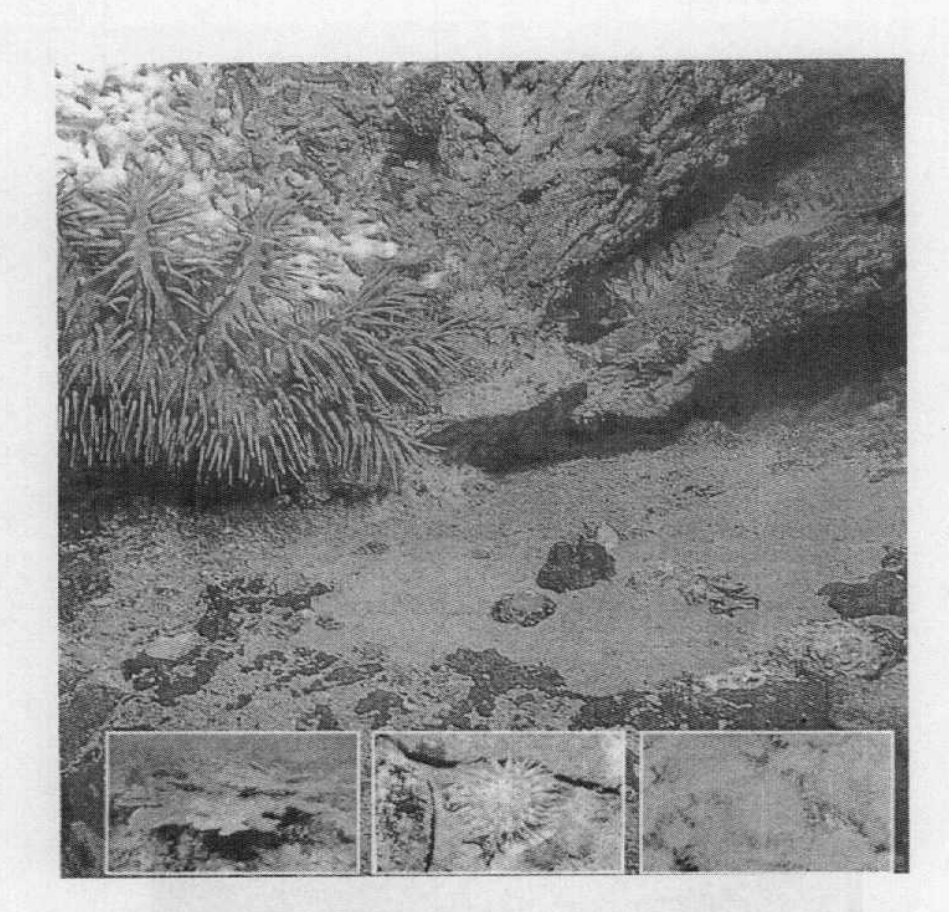
وتعتبر الشعاب المرجانية إحدى أقدم المواطن النباتية والحيوانية الحية على الأرض لأنها تطورت قبل ٤٥٠ مليون سنة، واليوم يبلغ عمر معظم الشعاب بين خمسة آلاف وعشرة آلاف سنة، ولاشك أن الشعاب المرجانية تمثل أهمية بالنسبة إلى البيئة البحرية، وهى تعطى منظرا طبيعيا خلابا، وهى عبارة عن تراكمات صخرية من مادة الجير "كربونات الكالسيوم" يفرزها الملايين من حيوان المرجان أسطوانى الشكل الشبيه بشقائق النعمان الذى يتراوح حجمه ما بين أجزاء من المليمتر إلى عدة سنتيمترات (بقياس القطر) كما تفرزها الطحالب أيضا، وتشكل الهيكل الخارجى للحيوانات المرجانية، وذلك أيضا بوجود أنواع أخرى من الكائنات الدقيقة البحرية بداخلها والتى تسهم فى تغذيتها، والتى يتغذى عليها الحيوان ليلا، إن مادة الجير والتى تترسب على قيعان صلبة فى البحر تكون الصخور ذات الأشكال الهندسية الجميلة متنوعة الصلابة بما يشبه الفناجين الصغيرة، ومع مرور آلاف السنين تبنى هذه الحيوانات ما يعرف بالشعاب المرجانية، والتى تعتبر من أكثر المناطق البحرية تشعبا وتعقيدا. والطبقة الخارجية للشعاب تحتوى على حيوانات مرجانية بسيطة،

وتتراكم الطبقة الخارجية الدقيقة على القديمة بنية اللون، وبذلك تكون تلك الطبقة بمثابة جلد متغير جديد للشعاب الحية، وأسفل تلك الطبقة يوجد هيكل جيرى يحتوى على شعيرات طحلية خضراء وأنواع أخرى من الطحالب اللحمية الكلسية، ويبنى المرجان بشكل أفقى طبقة تلو الأخرى لينمو فوق الهيكل من الجيل السابق.

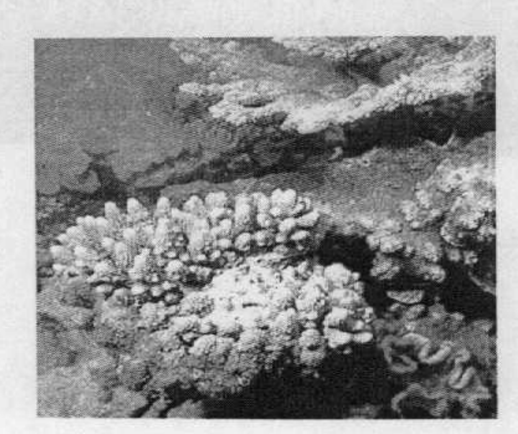
ويتطلب نمو الشعاب المرجانية مياها دافئة وضحلة وصافية تسمح بمرور أشعة الشمس، ولها ملوحة معتدلة، وهى تحتاج إلى ضوء فى عملية النمو.

وتعتبر الشعاب المرجانية مؤشرات حساسة لنوعية المياه، والتكامل البيئى للنظام الاجتماعى، وهى قد وجدت وعاشت على هذا الكوكب منذ آلاف السنين، وكانت أحد المعالم المميزة والرائعة، كما أنها كانت مرتعا وسكنا لعدد كبير من أحيائه البحرية، ولكنها الآن ونتيجة لممارسات الإنسان الخاطئة وغير المحسوبة تتعرض لخطر داهم ومهلك، ولذلك فلابد من الإسراع بسن وتطبيق التشريعات والقوانين التى تكفل حياة تلك الكائنات من الفناء والاندثار.

إن الشعب المرجانية هى أحد أكثر الأنظمة البيئية تعرضا للخطر على ظهر هذا الكوكب، فهى تتعرض بشكل شديد للتلوث، وعمليات الصيد الجائرة والمدمرة، وعلى رغم جميع الجهود الإقليمية للمحافظة عليها، فربما تكون غير كافية لإنقاذ الشعاب من الخطر الذى يتهددها، ألا وهو ظاهرة الاحتباس الحرارى..



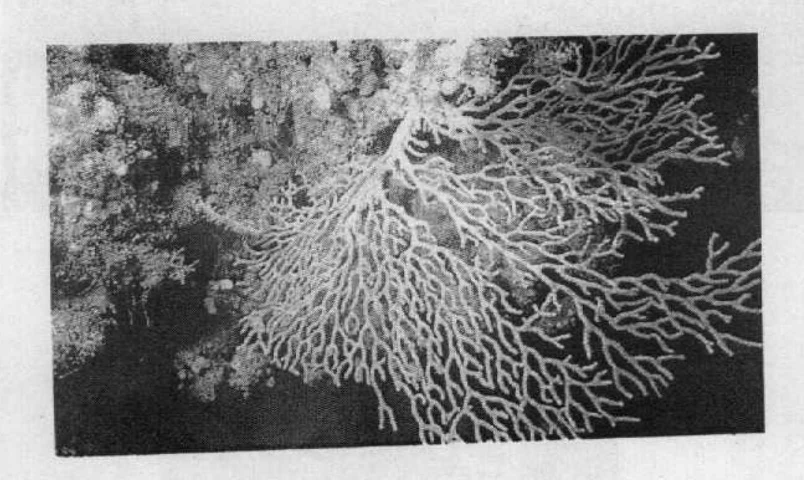
الشعاب المرجانية



الشعاب أقدم المواطن النباتية والحيوانية الحية على الأرض



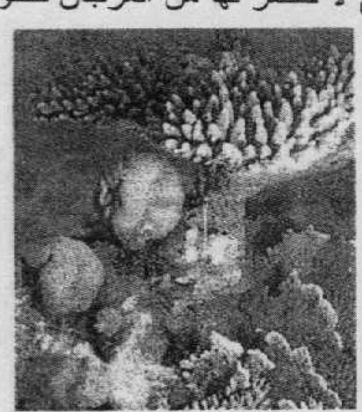
أسماك ذهبية تزين الشعاب

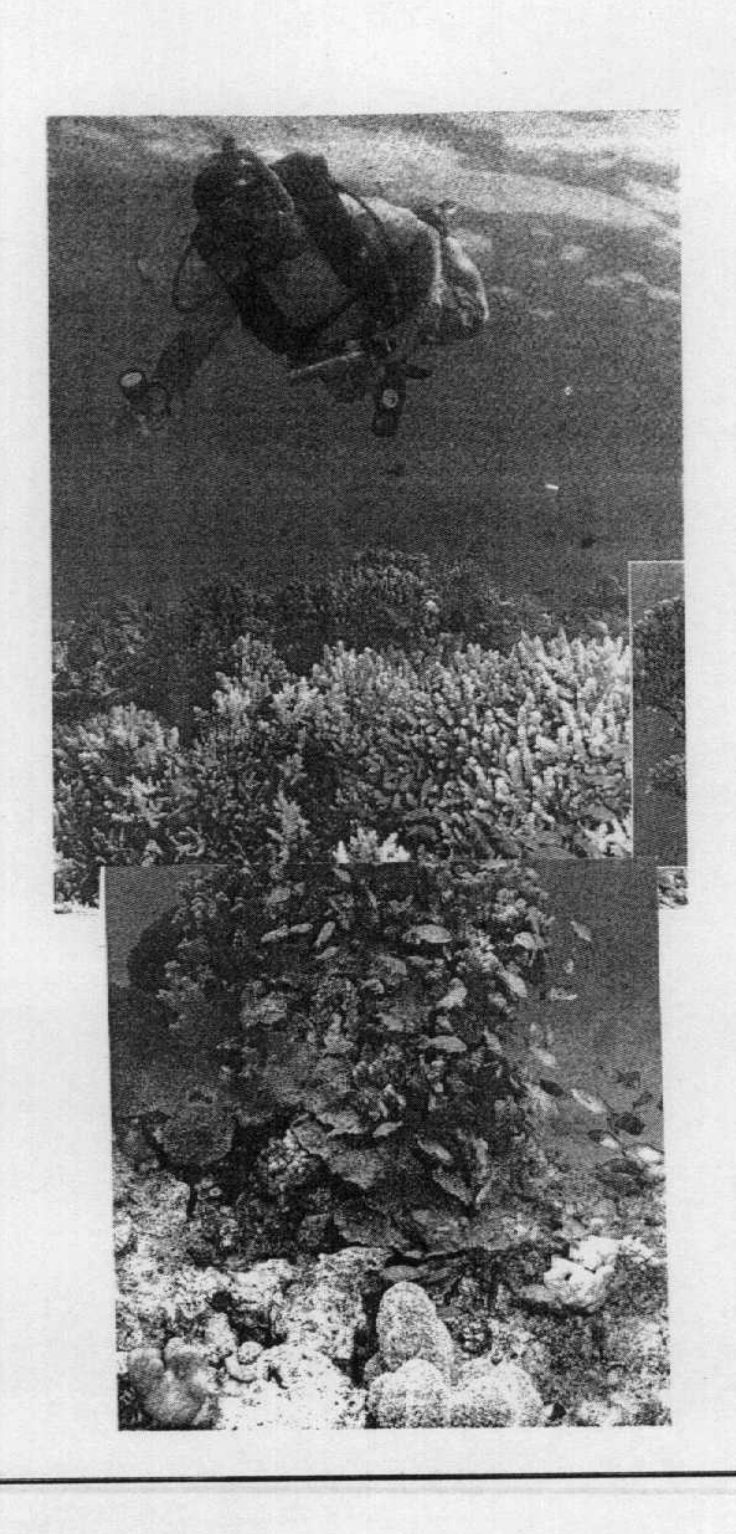


مرتع خصب للعديد من الكائنات البحرية



ـواع لا حصر لها من المرجان تحتويها الشعاب





ويعد الطيب المستخرج من الحيوانات أغلى العطور وأندرها. فالعنبر يستخرج من حيوان بحرى تتغذى عليه الحيتان المريضة، وتحمله الأمواج إلى الشاطئ. والمسك يستخرج من أحد أنواع الأيائل الذى كاد ينقرض لجد الناس فى صيده، والزَّباد طيب نادر يستخرج من سنور الزباد، وهو حيوان قريب من القط، ويعرف بلسانه ذى الحلمات الحارة المشينة، وبأظافره التى تخرج من غمدها أثناء مشيه.

يقول ابن منظور فى (لسان العرب): "الزباد مثل السنور الصغير، يجلب من نواحى الهند، وقد يأنس فيقتنى، ويحتلب شيئا شبيها بالزبد يظهر على حلمته بالعصر، مثل ما يظهر على أنوف الغلمان المراهقين، فيجتمع وله رائحة طيبة، وهو يقع فى الطيب". وقد توسع الدميرى فى كتابه (حياة الحيوان الكبرى) فى شرح كيفية استخلاص عطر الزباد.

وإذا كانت البحار يخرج منها اللؤلؤ والمرجان والأصداف، فإن الحيوانات والزواحف المفترسة فيها ثراء كبير، ففراء الدب والثعلب ثياب فاخرة، وجلد النمر والتمساح والثعبان أحذية وحقائب، وسن الفيل فى عداد المقتنيات الثمينة، حتى الدودة تأخذ منها الحرير، بل أغلى أنواعه – الحرير الطبيعى، والنحلة يخرج من بطونها شراب فيه شفاء للناس ، هو العسل الأبيض الذى تستخلصه من رحيق الأزهار فى عملية ذات مراحل متعددة أو منتظمة وشاقة تستحق الدراسة.

النملة الصغيرة التى قد لا نعبأ بها، عالم عجيب من الصبر والنظام والعمل المحسوب الدءوب، وهى فى تكوينها الصغير البالغ الدقة أدل على القدرة من أقوى الحيوانات وأضخمها.

في عالم الحيوان، يشهد الناظر أعمالا مبهرة مدهشة، تأتيها هذه المخلوقات، ولا إرادة لها فيها، أعمالا ليست من بنات أفكارها، وحسن تدبيرها، بل هي من وحى يأتيها من مدبر أمرها. وحى مبثوث فى تضاعيف خلاياها، على هيئة شفرة سرية مدهشة، تفسرها هذه الآية التى يقول فيها الله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل ٦٨)، فإلهام الحيوان أقوى برهان على قدرة الملهم الخالق العظيم ورعايته، وثمة معجزة أخرى من معجزات الوحى الإلهى لمخلوقاته.. إنها معجزة الصوم. فالحيوانات البرية تصوم.. والحيوانات البحرية تصوم.. والطيور تصوم.. والحشرات تصوم.. وحتى النباتات – أيضا – تصوم . وإنها لحقيقة مثيرة مذهلة، تقف العقول أمامها حيرى عاجزة. فمع قدوم فصل الشتاء تبدأ كثير من الحيوانات الصوم، ولا تزال ممسكة حتى تتبدد غيوم الشتاء، وهذا صوم موسمى يرتبط بدرجة حرارة الجو، ودرجة حرارة جسم الحيوان، فمثلا فى الشتاء لا تسمع للضفادع صوتا، إذ يضطرها برد الشتاء القارس أن تخلد إلى البيات هربا من الموت، وكذلك الثعابين – وهى من الزواحف– لا تحتمل أجسامها برودة الشتاء، فتختبىء منها تحت الصخور أو تلتجىء إلى تجويفات ومراقد فى بطن الأرض، تقضى فيها الحياة نائمة لا تتحرك ولا تأكل، ولا تقوم بأى نشاط على الإطلاق. فإذا ذهب الشتاء خرجت من مكانها أوفر نشاطا وحيوية.

وتصوم الحشرات عند مبيتها فى الشتاء. وبياتها الشتوى ما هو إلا طور سكون فى أحد أطوارها، وهى إذ تستعد للدخول فى هذا الطور، تفقد جزءا من مائها، وتساعد هذه الخاصية على مقاومة فعل درجات الحرارة

الواطئة جدا، فلا يحدث التجمد فى خلايا أنسجة الجسم، ولابد لها – قبل المبيت – أن تختزن دهنا فى أجسامها، ليعينها على مشقة الصوم الطويل.

ولعل من أعجب حالات الصوم الشتوى، ما نعرفه عن الدب القطبى الأبيض– وهو من الثدييات – فقد دأبت الأنثى على المبيت الشتوى شهورا، تدفن فيها نفسها تحت طبقة جليدية سميكة، تاركة منفذا دقيقا يتسرب منه الهواء إليها.

ويستطيع الحيوان أن يستمد طاقته اللازمة من الشحم الداكن اللون لديه لإجراء حياته طوال فترة صومه، دون أن ينفد سريعا ويخذله.

وليس الصقيع والجليد وحدهما سبب البيات، فالحرارة الشديدة والجفاف يفعلان بحيوانات البلاد البعيدة، ما فعله البرد القارس، فالضفادع والقواقع والتماسيح والأفاعى وبعض الأسماك– فى البلاد المدارية – تلجأ عادة إلى البيات الصيفى، اتقاء حرارة الجو.

أما الجمل فصومه ضرورة بقاء، فهو يعبر الفيافى والقفار، فى الحر وتحت وهج الشمس المحرقة أياما وليالى طويلة، بدون ماء أو طعام معتمدا على سنامه الذى ميزه الله به.

وهناك أنواع من السمك، وأنواع من الحشرات تصوم فى الصيف، كما أن بعض الطيور تصوم عن الطعام والشراب حينما تقوم بحضانة البيض.

إن لمعجزة الصوم هذه فى عالم الحيوان فوائد صحية – كما هى لدى الإنسان – فمن قديم الزمن، قال أبو قراط – أبو الطب – " أن تأكل وأنت مريض، فأنت غالبا تغذى مرضك". وهو يعنى أن الامتناع عن

الطعام – فى بعض الأمراض – يساعد كثيرا على الشفاء، وأن الأكل يؤخره. هكذا عرف الناس بالفطرة قيمة الجوع كدواء لبعض الأسقام، ولكن المثير أن الحيوانات قد عرفت هذه الحقيقة أيضا، إذ تمتنع عن الأكل، كلما مرضت. هكذا دون أن تستشير طبيبا أو تستمع إلى نصيحة، بل تأتيها النصيحة وحيا أو إلهاما من خالقها، الذى تكفل بها ويسر لها سبل حياتها فى الصحة والمرض. فالحصان إذا أصابه المرض، امتنع تلقائيا عن الطعام، فلا يقربه. والكلاب إذا ما أصيبت بكسر فى عظامها، صامت، والأيل إذا ما أحس وهج سم الحيات فى جسمه، صام عن الماء خمسة أيام، لئلا يساعد على تنشيط الكريات الدموية فى جسمه، فيلقى حتفه.

إن الباحثين، يرون أنه لولا صيام المخلوقات لما حافظت على كيانها وقوتها واستمرار تقدم سلالتها ومقاومة الظروف الطارئة المعادية التى تتعرض لها فى حياتها. وهم يرون أن صوم المخلوقات هو أحد أسرار حياتها ، إذ لابد أن تصوم لفترات معينة منتظمة، مهما توافر حولها الطعام والشراب.

ونظرة إلى هذه المخلوقات قبل صومها، وبعده، نجدها أكثر بهاء وحيوية ونشاطا وأشد إقبالا على الحياة. فالنباتات تخرج أوراقها الجديدة، وتبدأ حياة الربيع قوية مزدهرة تفيض بالحيوية والجمال بعد صوم طويل فى رقدة الشتاء الهادئة. والحيوانات تجدد جلودها وفراءها، والطيور تكتسى ريشا جديدًا زاهيا، وتبدأ بالتزاوج والتغريد، والحشرات تخرج لتأكل وتتكاثر من أجل الجديد القادم، كل هذا أسرار الصوم ومعجزاته. الصوم الذى هو فطرة وإلهام من الله، وضرورة حياة، لكل المخلوقات، فسبحان ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه ٥).

الرحمة بالحيوان

من منطلق خلافة الإنسان فى الأرض، وتحمله المسئولية عن هذا الكون بما فيه ومن فيه تأتى مسئولية الإنسان عن الحيوان، وللإسلام فى هذا الصدد موقف ثابت فى قضايا أسلوب التعامل مع الحيوان، والرفق به...

فالحيوان كائن حى، وقد خلقه الله الذى خلق الإنسان، وخلق كل شئ فى هذا الكون، والإسلام له قيمه وتعاليمه الراسخة فى تعامل الإنسان مع الحيوان ومع الجماد أيضا، فلا يجوز إساءة استخدام أى شىء من مخلوقات الله تعالى.

ويعلمنا الرسول (ﷺ) أن الإساءة للحيوان، والقسوة عليه وتعذيبه بأى شىء من الأشكال يحبط أعمال الإنسان، ويعرضه لغضب الله وعقابه. روى أن النبى ﷺ، قال : "عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لاهى أطعمتها ولا سقتها، ولا هى تركتها تأكل من خشائش الأرض".

ويخبرنا النبى ﷺ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ سُمَيٍّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا فَقَالَ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ أخرجه صحيح مسلم.

ويعنى بذلك كل كائن حى. وقد كان ذلك منذ أربعة عشر قرنا من الزمان قبل أن تعرف البشرية جمعيات الرفق بالحيوان فى العصر الحديث.

وتمتد الرحمة بالحيوان إلى طريقة ذبحه، فيوصى النبى ﷺ بتخفيف الألم على الحيوان عند ذبحه بقوله : "إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته " وقد رأى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : " ويلك قدها إلى الموت قودا جميلا" فالرحمة من القيم التى أكد عليها الإسلام، وخاصة مع الحيوان الذى لا يستطيع أن يفصح عما بداخله.

إننا نلمس دلائل الرحمة الإلهية بأوسع معانيها فى سورة الأنعام، وهى رحمة نابعة من القوة وليس من ضعف أو عجز، وقد كتب على نفسه الرحمة : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾، أن رحمته تغلب غضبه، فالله رحيم إلى أوسع وأعمق وأشمل ما تكون الرحمة، وهو قوى إلى أبعد ما تكون القوة، ولم تدعه قوته إلى التخلى عن رحمته، فإذا كان الله يعطينا المثل فى التراحم ولو كانت لك قدرة أو قوة، وقد طالعت ما كتب عن حكاية (فأر) فى الصحف الأمريكية، حيث أنهم رجل باصطياد فأر ثم قتله بمكنسة، عندما كان الفأر يلتهم الطماطم التى يزرعها فى الحديقة، فاتهم الرجل بالقتل، وبأنه انتهك قوانين الولاية التى تجرم الإساءة والقتل للحيوان، وقد ووجه بالعقوبة والحبس، ودافع الرجل عن نفسه بأنه لم يقتل الفأر تحت تأثير الكراهية أو الغضب، وأنه لا يحب أن يكون ضحية فأر ..

وفى تايوان قيل إنهم يأكلون الثعابين البرية ، وقبل أكلها يذبحونها، ونشرت إحدى الصحف عن شاب مريض هوايته تعذيب الثعابين فحبسوه وحاكموه..

فالرحمة بالحيوان الذى لا يملك دفاعًا عن نفسه مهما كان قويا، فقد ذلله الله لنا، وجعل الصبى الصغير قادرا على أن ينيخ الجمل العملاق، أو يمتطى الحصان القوى، أو ما شابه، والقرآن الكريم يذكرنا بنعمة الله علينا فيقول: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ ، ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾، وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾.

وقد نظم مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر فى الفترة من ٦-٧ ديسمبر ٢٠٠٣م مؤتمرا حول رعاية وتنمية الثروة الحيوانية فى الحضارة الإسلامية والنظم المعاصرة، وصرح الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس مجلس إدارة المركز، بأن جامعة الأزهر سعت إلى عقد هذا المؤتمر لاهتمامها بحفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره من أجل بيان رعاية الإسلام شريعة وحضارة بالحيوانات لأهميتها الاقتصادية والبيئية والجمالية. وأشار إلى أن المؤتمر يركز على الاستفادة من مقررات الشريعة الإسلامية فى ترشيد وتطوير النظم والقوانين المتصلة بتنمية الثروة الحيوانية والعناية بها والتأكيد على أهمية نشر الوعى بها كمسئولية دينية وإنسانية، وكذلك يسعى إلى تحقيق أهداف متعددة هى بيان الأهمية الاقتصادية والبيئية والتربوية والجمالية وموقف الشريعة من

الأساليب المستحدثة لتنمية الثروة الحيوانية وكيفية تنميتها بطريقة سليمة كما يهدف المؤتمر إلى التعرف على عناية الإسلام والحضارة الإسلامية بالحيوان، وكذلك التعرف على التشريعات المعاصرة فى العناية والإحسان بالحيوان، والاستفادة من خبرات المنظمات الحكومية وغير الحكومية فى العناية بالحيوان. وقال : إن قضية العناية بالحيوان تأخذ أبعادًا جديدة فى هذا العصر، منها وجود فجوة غذائية من اللحوم من العديد من الدول، والتوجه نحو الثروة الحيوانية من خلال الهندسة الوراثية، واستحداث أعلاف وأغذية تحتوى على بقايا الحيوانات ومواد كيماوية مما أدى إلى ظهور أمراض عديدة، وكذلك ظهور ممارسات غير مقبولة عند ذبح الحيوان.

وأوضح الدكتور محمد عبد الحليم عمر، الأستاذ بجامعة الأزهر أن المؤتمر ناقش ثمانية محاور مهمة هى: المملكة الحيوانية آية من آيات الله فى الكون، وتنمية الثروة الحيوانية، والحيوان فى الشريعة الإسلامية، ورعاية الحيوان فى الشريعة الإسلامية والتشريعات المعاصرة، والحيوان فى الحضارة الإسلامية، وجهود المنظمات غير الحكومية فى رعاية الحيوان، وناقش هذا المحور جهود المؤسسات الحكومية فى رعاية الحيوان، وناقش دور المستشفيات الحكومية ورعاية الحيوان، أما المحور الأخير فتناول نشر ثقافة رعاية الحيوان.

أما مؤتمر رعاية وتنمية الثروة الحيوانية فى الحضارة الإسلامية والنظم المعاصرة الذى نظمته جامعة الأزهر من خلال أحد مراكزها البحثية، وهو مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى، فى الفترة من ٢٨ فبراير إلى أول مارس عام ٢٠٠٤ م، فقد تناول بالبحث والمناقشة عددا كبيرا من الأبحاث والدراسات المتعلقة بموضوعه، ومنها حقوق الحيوان

فى الشريعة الإسلامية، ودور المؤسسات الحكومية والدينية والإعلامية وكليات الطب البيطرى، ونقابة البيطريين فى نشر ثقافة الرفق بالحيوان، والضوابط العملية والشرعية والقانونية لتنمية الثروة الحيوانية.. وقد أولى المؤتمر اهتماما كبيرا لموضوع (الحيوان فى القرآن الكريم والسنة المطهرة) الذى جاء فى دراسة مستفيضة أعدها للمؤتمر الدكتور محمد بن أحمد صالح، أستاذ الدراسات العليا، وعضو المجلس العلمى بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض..

فى هذه الدراسة التى عرضت فى الجلسة الأولى للمؤتمر الذى امتدت أعماله إلى إحدى عشرة جلسة تناول الدكتور الصالح نظرة الإسلام للحيوان، والرفق به والانتفاع به، وأشار إلى قصص الحيوان فى القرآن بأسماء بعض الحيوانات، وهى سورة البقرة والأنعام والفيل والعاديات والنحل والنمل والعنكبوت.. كما ورد ذكر العديد من الحيوانات والطيور، بل والحشرات والهوام فى آيات كثيرة، وأحاديث عديدة وقد حث الإسلام على العناية بالحيوان، والرفق به ورحمته..

وفى الدراسة نفسها تحدث الدكتور محمد بن أحمد الصالح عن زكاة الثروة الحيوانية، وركز على زكاة الإبل والبقر والغنم والخيل، والمنتجات الحيوانية كالعسل واللبن ومشتقاته، وما يستخرج من البحر من سمك وعنبر ولؤلؤ ومرجان، وفى حديثه عن زكاة السمك قال : "إذا كانت النصوص الشرعية لم ترد بوجود الزكاة فى السمك، ولم تبين مقدار الواجب فيه، فإن القياس على المعادن والزروع وغيرها لا يعفى تلك الثروة الطائلة من حق الفقراء فيها، فضلا عن وقوعها فى مجال عروض التجارة التى تجب فيها الزكاة.."

فى بريطانيا أقاموا أخيرا نصبا تذكاريا للحيوانات التى اشتركت فى الحروب فى أوربا وآسيا، وقد نقشوا الأسماء التى تميزت بأعمالها العظيمة.. ملايين الخيول والبغال والكلاب والحمام والفيلة والقردة والديدان، دون أن يدرى بها أحد – اللهم إلا الجنود الجرحى.

ففى الحرب العالمية الثانية هبطت ألوف الكلاب بالمظلات وراء خطوط الألمان، وألوف حملت أسلاك التليفون، وألوف تدربت على انتشال جثث الموتى والجرحى وسط الألغام، وتحت النار فلم توقفها أى نار أو دخان عن القيام بمهامها القتالية.

وفى آسيا ماتت ملايين الخيول والفيلة والقرود وسط غابات بورما. أما البغال فقد نزعوا حبالها الصوتية حتى لا تنهق ليلا ونهارًا لأى سبب. أما القرود فكانت تسرق ملابس قوات الأعداء لكى يعرفوا نوعية من الذى يحارب الإنجليز فى الظلام.

أما الحشرات فقد استخدم الإنجليز تلك الحشرات التى تضىء، وبذلك يتمكن الجنود من قراءة الخرائط فى الليل فى المخابئ.

والحمام الزاجل كان له دور خطير، فهو ينقل الرسائل والشفرة فى كل ساعات الليل والنهار، وفى المطر وفى الجليد ذهابا وإيابا. وكان الألمان يطلقون الصقور على الحمام، أو يطلقوا عليه النار.. ولكن استطاع الحمام أن يمضى عبر البحار والغابات .. وعلموا الحمام إذا سقط جريحا أن يمزق الرسائل التى يحملها، أو يبتلعها..

إن هذه الحيوانات لا تعرف أن الذى قامت به عمل بطولى، وإنما هى أطاعت سادتها، ونفذت ما تدربت عليه.

يقول لنا المؤرخ الكبير سليم حسن: إن الفراعنة استخدموا الكلاب فى الحرب، فقد كان الكلب يتابعهم فى كل معاركهم، وكان يسبقهم للتعرف على جثث القتلى، واختراق خطوط العدو، ولذلك وجدنا الكلاب على جدران المقابر – ربما كان الحمار هو الحيوان الوحيد الذى كان الفراعنة يضربونه – ولم يعرف الفراعنة أن الحمار سوف يكون رمزا لحزب سياسى فى أمريكا.

ويقول : إن المصرى القديم كان يغنى للأبقار وهو يحلبها، وأثبتت التجارب العلمية أن الغناء والموسيقى يشجعان الحيوانات على إدرار كثير من اللبن.

وقال سليم حسن أيضا: إن كل فلاح يجب أن يتقد ببيان عن عدد الحيوانات التى يملكها حتى يمكن تقدير الضرائب عنها.

وهناك أغنيات شعبية عن الحيوانات المصرية .. عن الكلاب والطيور والقطط، ودراسة مقارنة عن أخلاقها وسلوكيات الإنسان.

وكان المصرى القديم يضع الرحمة بالحيوان قبل إطعام الحيوان، ويقول : احتضان الحيوان ومداعبته أقوى أثرا من إطعامه وتسمينه، فالحب ليس طعامًا وشرابًا، وإنما الملاطفة والمداعبة.. ولذلك ظهرت صور كثيرة لصغار وكبار يحتضنون الحيوانات الصغيرة.

ويقول سليم حسن: إن عددًا كبيرًا من الأغنيات الشعبية قد ترجمها المؤرخون على أنها أغنيات الأمهات للأطفال، وجاء من بعدهم باحثون آخرون أثبتوا أنها ليست للإنسان وإنما للحيوانات.

وقد أودع الله فى قلوب الآباء سرا فى رعايتهم وعنايتهم بالأبناء، وتلك رحمة من الله اختصها فى قلوبهم، فأصبح فى قلب كل منهم شعلة من العطف والرحمة لا تخمد نارها، وينبوع متدفق من البر والحنان لا ينضب معينه، ولولا هذه الشعلة المعقدة من الرحمة، وهذا الينبوع المتدفق من الحنان، لما تعاقبت الأجيال جيلا بعد جيل، ولما رأينا هذا الكون الشاسع قد امتلأ بالكائنات ونسلها..

ولم تكن شعلة العطف والرحمة والحنان تضيء قلوب الآباء فى معشر بنى الإنسان فحسب، بل أودعها الله أيضا قلوب آباء الحيوانات، حتى أننا نرى بينها ضروبا من الرحمة والرعاية، لا تقل قيمة وروعة عما نراه عند بنى الإنسان، وربما فاقتها.

ولا يبدأ حنان الأم وعطف الأب وتعاونهما البناء بمجرد رؤية وليدها أو فقسها لأول مرة .. بل يبدأ قبل ذلك وهو جنين فى أحشاء أمه .. وقد يبدأ هذا العطف وهذا الحنان بابتداء وضع البيض، فالحيوانات التى تضع بيضا كالأسماك والطيور، تدفعها أمومتها ورغبتها فى المحافظة على نسلها إلى وضع بيضها فى موقع بعيد عن الأعداء، وتخفيه فى مكان أمين تحت صخرة أو فى دخل شق ... وبعض الطيور يبنى لهذا البيض عشا محكم الصنع، ولا تكتفى الأم بوضع البيض فى مكان أمين، بل تسعى جاهدة إلى وضعه فى البيئة المناسبة له لكى تفقس الصغار فتجد حولها ما تحتاج إليه ..

وفى معظم أنواع الطيور يتعاون كل من الذكر والأنثى فى حضانة البيض والاعتناء بالصغار ويتحمل كل منهما مسئولية محددة، وبالرغم من ذلك نجد الأنثى وحدها أو الذكر وحده قد يقوم بحضانة البيض. ويأتى تدريب

الأبوين لصغارهما على الطيران والسباحة والعوم واقتناص الفريسة، ضربا من ضروب الأبوة، ومظهرا من مظاهرها المتباينة..

إن الطيران والعوم والسباحة واقتناص الفريسة غرائز أسسها موروثة، ولكن لا سبيل إلى إظهارها إلا بإرشاد الأمهات وتدريبها، ولا تقف الأمومة والأبوة عند حد تدريب الصغار ورعايتهم، بل يتعدى ذلك إلى الدفاع عنها إذا مسها ضر مهما كلفها ذلك من جهد ومشقة، ومهما عرضهما ذلك لأضرار وأخطار.. إنهما ينسيان أنفسهما وحياتهما ووجودهما، ولا يفكران فى لحظة الخطر المحدق إلا بوليدهما أو صغيرهما ..

وأمام هذا القبس الإلهى لا يملك البشر إلا أن يسجد لله أمام هذا السلوك الذكى..

الموت الرحيم:

من المعروف فى أى بلد متحضر أن الكلب أو القط الأليف، حين يعانى من عذاب مرض لا شفاء منه، أو أصبح عجوزًا لا يستطيع أن يمشى أو يأكل، فإن الإجراء الأخلاقى المقبول فى هذه الحالة هو إعطاؤه جرعة مميتة من حامض مميت، ذلك لأن ترك الحيوان المريض أو الذى يعانى من الشيخوخة، يعيش بوسائل صناعية، يعتبر أمرًا قاسيًا. وفى الدول الغربية تأمر جمعيات الرفق بالحيوان بتعجيل موت الحيوان المريض المتعذب من الشيخوخة.

غير أن البعض يرى أن مثل هذه العمليات لا يتفق وشرائع الأديان السماوية، إلى جانب الدخول في الإجراءات القانونية، مما جعل بعض الدول لا تقر مثل هذه العمليات. ولا شك في أن الرحمة بالحيوان أمر إنساني، وأن رفع المعاناة عن الحيوان سلوك لا جدال فيه، لكن أن يقتل الطبيب المريض المتعذب فليس هذا دور الطب، لأنه حكم الإعدام، ومن المعروف أنه منذ زمن "إيبوقراط" كان مقبولا من المهنة الطبية، أن يقدم الطبيب جرعات متزايدة من مسكنات الآلام، والمهدئات لرفع المعاناة عن المريض، ويمكن أن يتم القتل بسكين أو بندقية بدلا من محقنة ، والتعجيل بموت المريض المتعذب يعني موتا سهلا، ولكن لا ينبغي أن يكون دور الطبيب هو دور القاتل .

إذا كان هذا هو المطلب لتخفيف معاناة المرض عن المريض الحيوان، وهو أمر يستنكره البعض، ويوافق عليه البعض الآخر، فما بالنا إلى نظرنا إلى عذاب الذبائح التي يأكلها الناس في العالم، فقد ظهرت في أوربا موجات من الرحمة بالحيوان من وحشية الإنسان، فمن يذبح بالسكين فقد قسى على الخيوان لأنه يشعر بأنه سوف يذبح، ولذلك فهو يتعذب حينما يرى الإنسان وهو يرفع السكين ويوقعه على الأرض، ثم يمسك برقبته ويغرز السكين ويزداد عذابه .. وأما الذين يطلقون الرصاص على الحيوان فيصدع، فيعتقدون بأنه لا يتعذب برؤية الجزار والسكين.

إن جماعات الرفق بالحيوان تنظر إلى الحيوان على أنه إنسان فاقد النطق، ولكنه يعرف ويفهم ويشعر، ولا يقول وإنما يقول في نفسه. غير أن الأطباء لا يرون أن الذبح بالسكين به أي تعذيب، بينما الحيوانات التي يطلقون عليها الرصاص فهي ليست مذبوحة وإنما هي مخنوقة، وأكلها

حرام، فبعض الآيات فى (الكتاب المقدس) تشير إلى تحريم أكل المخنوق، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قول الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ ﴾ (المائدة ٣).

وجاء فى سفر التثنية ١٢ : أما الدم فلا تأكله على الأرض تسفكه كالدماء. وجاء فى نفس السفر: احترز ألا تأكل الدم لأن الدم هو النفس، فلا تأكل النفس مع اللحم، على الأرض تسفكه كالماء، وفى سفر (أعمال الرسل) أمر صريح عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم.

وهناك وصية صريحة ألا يؤكل الحيوان بدمه، وهى مذكورة فى سفر التكوين (الإصحاح ٩ وعدد ٤) وكذلك فى (العهد الجديد) وفى خطاب الرسول يعقوب فى المجمع المسكونى الأول للأمم الراجعين حديثا للمسيحية بعد عبادة الأوثان: بأن يمتنعوا عن رجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم.

وهناك كتاب (ثمرات من مواسم الخير) للدكتور محمود محمد عمارة الأستاذ بجامعة الأزهر، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، عن (الذبح والنحر فى الإسلام).

وفى بريطانيا قالت لجنة استشارية تمولها الحكومة: إن ذبح الحيوانات وفقاً للشريعة يجب أن يحظر فى بريطانيا على الفور، وزعم مجلس رعاية حيوانات المزارع أن ممارسات الذبح بالسكين تسبب معاناة للحيوانات، حيث تستغرق عملية ذبح البقرة بهذه الطريقة ما يصل إلى دقيقتين كى تنزف حتى الموت، وأضاف المجلس فى تقرير بشأن رعاية

حيوانـات المـزارع أن المجلس يعتبـر الـذبح دون صـورة سـابقة أمـرا غيـر مقبـول، وأن الحكومـة يجـب أن تنهـى الاستثناء الحـالى الـذى يسـمح بالـذبح حسب الشريعة، وقد وردت منظمـات شـرعية علـى هذا التقريـر، ووصـفت المجلس بأن دعوته بمثابة هجوم على طريقة حياة المسلمين طبقا لدينهم، وقد جـرت تجـارب فـى ألمانيـا أخيـرا أثبتـت أن طريقـة الـذبح طبقـا للشـريعة الإسلامية أكثر رأفة بالحيوان..

وعن اللحم المنهى عن أكله، يروى عن عبد الله بن عمر (رضـى الله عنهما) أنه قال : "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أكل لحـم الجلالـة وألبانهـا" والجلالــة هــى الحيوانــات التــى دأبـت علــى أكـل النجاســات والمستقذرات من الأمور مثل مخلفات وإخراج الحيوانـات الأخـرى، وتكملـة الرواية الوحيدة بضرورة حبس الحيوان الجلال، وعلفه بالغذاء الطاهر لفترة تتناسب مع حجمه حتي تزول ما به من نجاسات، ويعود إلى حالة من النظافة والطهر تطيب نفس الإنسـان السوى معها بأكله وشرب لبنـه بـلا ضـرر أو ضرار.

واختلـف الفقهـاء فـى سـحب هـذا النهـى علـى التحـريم أو التنزيـه، وواضح الأمر أنه أقرب إلى التحريم (إلا فى حـالات الضـرورة القصـوى)، بـل إن بعـض الفقهـاء قـد زاد الحرمـة بركـوب الجلالـة خشـية أن يتعـرض الراكب للتلوث بنجاسة عرقها، وغالب الرأى هو كراهة الركوب تنزها مـن نتن عرقها، وفى زماننا قـام الإنسـان بموقف مشـابه تمامـا أجبـر فيـه الحيـوان على أكل النجاسات فأصابه من الأمراض المستعصـية مـا انتقل إلـى الإنسـان عن طريق الطعام، بل وانتقل إلى أعداد مـن الحيوانـات الأليفـة والبريـة، إمـا عن طريق الطعام أو المخالطة.

خاتمة

الفن هو ألا تقول إلا ما هو ضرورى، والقص فى القرآن الكريم يتكون من أحداث قليلة، وهى تصور فترة زمنية فى حياة أبطالها، فترة مشحونة بلحظات مكثفة تنبئ بإيجاز عن ماض ملىء بالمواقف والأحداث فى تركيز ووضوح، وكل هذا "يجعل صفة التركيز أساسية فى الموضوع أى فى الحادثة وطريقة سردها، أو فى الموقف وطريقة تصويره، ويبلغ التركيز إلى حد أنه لا يستخدمه حرفا واحدا يمكن الاستغناء عنه، أو يمكن أن نستبدل به غيره، فكل حرف له دلالته وله إيحاؤه ودوره" – فكل حرف من الحروف له معنى –

ونحن نعرف أن الواقعية فى القص هى أن تنجح فى "الإيهام" بالواقع ، ويأتى بالتتبع المنطقى الطبيعى للاحداث، وليس نقل الأحداث كما هى . يقول موباسان : "أن تحكى كل شىء فذلك أمر غير ممكن، لأنه يلزمك مجلد كامل لكى تروى ما يحدث لشخص واحد فى يوم واحد".

ومن أجل ذلك فنحن نحتاج إلى كثير من التأمل والتمحيص لمعرفة الشفرة الخاصة لهذا العمل الإعجازى المنطوى تحت هذه اللغة التى تشير إلى أكثر من مستوى واحد للمعنى. وعلى ذلك يمكن أن نقول: إن لهذا القص استقلاله وتقاليده الخاصة، حيث نستشعر فيه الاختزال والإخبار عن طريق الإيحاء، وهى الطريقة التى تشحن الجملة الواحدة بالعديد من المعانى.

إن إبلاغ المطلوب إلى القارئ لابد أن يتم بأقصر الطرق، وأن أقل إشارة تكفى لنقل الأحداث إلى المتلقى الفطن المرهف الحس، المتوقد الذكاء، وأن هناك شفرة خاصة يعرفها المتأمل حق المعرفة.

ونحن نحس وحدة الأثر أو الانطباع فى هذا القص الإعجازى، ولا نريد أن يصل هذا الأثر على كل المتلقين بدرجة واحدة، ولكن هناك أثرًا يتأثر به القارئ، ويترك فى نفسه انطباعا معينا، وهذا الأثر يختلف من شخص إلى شخص، غير أن الهدف هو خلق هذا الأثر بصورة بنائية محكمة.

إذن هذا القص بنية فنية، تنقل سلسلة من الأحداث والمواقف، وفق نسق متوافق يخلق إدراكا كليا خاصا به، ولذلك نجد فيه الإيجاز والتكثيف الذى لا يحتاج إلى التشويق النابع من تفكك الأجزاء بعضها ببعض، بحيث يؤكد له استقلاله الذاتى كمخلوق لا يمكن مضاهاته بمثل..

وما دام القص الذى نقرؤه قصيرًا صغير الحجم، فهو يقدم جزءاً أو شرائح من الحياة، وكلما استطعنا استنتاج أشياء عن الحياة بأكملها من هذه الشرائح، أصبح العمل كاملا، وهى توحى بأشياء كثيرة إلى أبعد حد دون التصريح المباشر، فإذا كان القص يتناول شخصية مفردة أو حدثا مفردًا، أو أنفعالا مفردًا، أو مجموعة انفعالات ناتجة عن موقف مفرد، فهى مبنية على حدث أو موقف كعينة تشير إلى معان جسام، فهى جزء من كل..

"إن أى شىء مهما قل شأنه يحتوى على جانب مجهول، علينا أن نكتشفه عندما نريد تصوير نار مشتعلة، أو شجرة فى سهل، فلنقف أمام هذه النار وهذه الشجرة حتى لا تشتبه علينا بأى شجرة أخرى، أو أى نار أخرى، وهكذا يكون الابتكار".

ومعروف أن من عناصر القصة : الزمن والمكان واللغة والحوار، والزمن فى القص القرآنى أحوج ما يكون إلى التكثيف فى شتى عناصره – ففى مساحة زمنية وجيزة يمكن أن يقال لنا كل شىء. ووحدة المكان محافظ

عليها، لأن المكان يساعد على تكثيف الموقف المعالج، وقد يتحرك القص فى أماكن متعددة عن طريق العودة إلى الماضى، لإجراء بعض المواقف التى مرت بها الشخصية، وفى الانتقال من مكان إلى مكان يساعد على الاقتناع بالهدف المقصود، أما لغة الحوار فهى كلمات تتلاءم مع الشخصيات المتحدثة والمتحدث إليها، مع الحفاظ على المستوى الإعجازى الذى خاطب به العرب بلغتهم الشائعة والمتداولة فى ذلك الوقت.

أما الدكتور محمد مختار المهدى، الأستاذ بجامعة الأزهر، فيقول : لا منافاة مطلقا بين نسج القصة وإهمال الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فهناك نوع واحد من القصص الذى يلتزم ذلك فى بنائه الفنى وهو القصص التاريخى، أما الأقصوصة – مثلا – فقد اشترط الباحثون الأحداث حسب ظهورها، فهى تلتزم فكرة واحدة معزولة عن كل شىء، ولا تخضع للحبكة ولا تعنى بالتفاصيل، ولا تهتم إلا بحالة علاقة مباشرة بالحادثة أو الفكرة، ولا يلزم لها بداية أو نهاية، بل قد تكون صورة أو مشهدا أو جوا نفسيا خاصا..

ولقد واجه القرآن بالقصص ثقافات أهل الكتاب، وما كان يحكى من الآباء للأبناء والأحفاد فى جزيرة العرب عن ماضيهم وتاريخهم خير دليل على صدق هذه القصص، فلو كانت غير صحيحة لأصبحت وسيلة للطعن على النبى صلى الله عليه وسلم، بأنه يفترى ويختلق ويكذب لكنه ظل لديهم الصادق الأمين طوال حياته، وقد حث القرآن الكريم فى سياق كثير من قصصه على تنبيه العقول إلى البحث والتدبير.

أما عن استخدام الرمز، ويعنى فى اصطلاح الأدباء التعبير عن الحقيقة عن طريق الإيحاء بها، حيث يكون له ظاهر وباطن.. ويعتمد على

تراسل المشاعر والإيحاءات النفسية الغامضة، فالقرآن لم يعتمد عليه، وإنما فى القصص القرآنى لمحات وأغراض وأهداف تفهم من سياق القصة ويدركها العلماء الراسخون فى أسرار الألفاظ العربية، ومن المقارنات بين المواقف المتشابهة والمختلفة، فالحرف فى القصة يؤدى وظيفة خاصة سواء من ناحية الفن أو الغرض.

لقد خرج هذا الكتاب مصورًا لعالم الحيوان فى القرآن الكريم، فقد كشفت آياته البينات عن طوائف الثدييات، وطوائف الحشرات، وأثبتت الحقائق العلمية التى توصل إليها العلماء فى العصور الحديثة، فمملكة الحيوان مملكة كبيرة، وتحتاج لإمعان نظر، وتدبر حتى ندرك قدرة الله فى هذا الكون، وهذا الخلق .. فإذا فكرنا فى كيفية خلق الإبل، وأن الأنعام خلقها لنا الله تبارك وتعالى لتكون لنا دفئا، وفيها لنا منافع، ثم إنه جعل لنا الخيل والحمير لنركبها، ولتكون لنا زينة فى حياتنا، أما ما ذكر فى آيات القرآن من أنواع الحيوانات، فلأن الله تعالى لم يترك شيئا إلا وأحصاه، وجعله لنا آية فى حياتنا، فقد ذكرت الخيل وكان لها عند العرب مكانة كبيرة، واستخدامهم لها يكاد يكون مستمرا لأن طبيعة معيشتهم تتطلب ذلك، وتدفعهم لهذا الاستخدام، فهى فى الحرب وفى السلم، وهى مركبهم وزينتهم، من أجل ذلك وصفوها فى أشعارهم فى صور رائعة، وكان القرآن الكريم سباقا فى بيان منزلتها، مجيدا فى وصفها، مبينا قدرها حين أقسم بها، فى قول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾. وهكذا نجد الخيل تحتل مكانا بارزًا فى شعر الشعراء، وفى آيات القرآن الكريم، وكذلك جاء ذكر الناقة، سفينة العربى فى الصحراء – بيئته التى لا ماء فيها ولا زرع –

وسلواه فى رحلته، ومؤنسته فى وحدته، وأسبغ عليها القرآن الكريم أوصافا مختلفة، وصور مشاهدها فى كثير من المواقف، وخطيت بها أيضا أشعار الشعراء، فلا تكاد قصيدة تخلو من ذكرها فى القديم، ونرى أيضا الحمار والكلب فى لقطات قرآنية، حتى إن الكلب أصبح يشكل عنصرًا من عناصر البناء القصصى فى قصة أهل الكهف، وتتناول الشعراء هذه الحيوانات فى أشعارهم حتى كانت لهم مرثيات فى هذه الحيوانات، ولا نغفل حكاية النملة مع سيدنا سليمان إذ تبسم من قولها ، ورسالة الهدهد إليه من ملكة سبأ.. كل هذا حمله القرآن الكريم إلينا، ليدلنا على أنه ساق إلينا كل ما تختص به الكائنات أو بعضها ليطلعنا عليها، ولنتعرف على خصائصها، وما الأدوار التى قامت بها على مر العصور، حتى أصغر الكائنات كالبعوضة والذباب ضرب بهما الأمثال ليعتبر بها الناس، وتكون لهم درسا وموعظة فى حياتهم.. وهكذا تسير آيات القرآن الكريم فى ذكر أسماء الحيوانات كالجمل والنعجة والبدن وغيرها، فالبحث قد أحصى بعض ما جاء فى القرآن الكريم، وأتى ببعض الخصائص والصفات لهذه الكائنات، وعرض لبعض المشاهد والصور كما صورها القرآن الكريم، بالقدر الذى يمكن القارئ من معرفة هذه الحيوانات، وكأنه يعيش وسط هذه المملكة .. عن طريق الحكايات التى قصها علينا، ونحن بدورنا نقوم بعرضها على أطفالنا، أو هم أنفسهم يحاولون متعة القراءة بها ...

د. خالد الزواوى

كشاف

أشار القرآن الكريم فى آياته البينات إلى كثير من أسماء الحيوانات والطير، وقد استطعت أن أحصى منها الآتى:

اسم الحيوان أو الطير	اسم السورة ورقمها
بقرة / البقر	البقرة ٦٧ – ٧١ – الأنعام ١٤٤ – ١٤٦
بقرات	يوسف ٤٣ ، ٤٦
ناقة	الأعراف ٧٣ – ٧٧- هود ٦٤ – الإسراء ٥٩ الشعراء ١٥٥- القمر ٢٧ – الشمس ١٣
الضفادع	الأعراف ١٣٣
الهدهد	النمل ٢٠
النمل	النمل ١٨
الجمل / جمَالة	الأعراف ٤٠ – المرسلات ٣٣
الخيل / العاديات	آل عمران ١٤ – الأنفال ٦٠ – النحل ٨ – الحشر ٦ – الإسراء ٦٤ – العاديات ١
البغال	النحل ٨
الحمار – الحمير	النحل ٨- الجمعة ٥ – المدثر ٥١ – البقرة ٢٥٩- لقمان ١٩
العنكبوت	العنكبوت ٤١
القرد	البقرة ٦٥- المائدة ٦٠ – الأعراف ١٦٦
الطير / طيراً / طائر	آل عمران ٤٩ – المائدة ١١٠ – الفيل ٣ – الأنعام ٣٨ – سبأ ١٠ – ص ١٩ – الواقعة ٢١- البقرة ٢٦٠ – يوسف ٣٦ – ٤١- النحل ٧٩ – الأنبياء ٧٩ – الحج

	٣١ – النور ٤١ – النمل ١٦-١٧-٢٠
الغراب	المائدة ٣١ – فاطر ٢٧
الحوت	الكهف ٦٣-٦١- الصافات ١٤٢- القلم ٤٨- الأعراف ١٦٣
الإبل	الأنعام ١٤٤ – الغاشية ١٧
جراد	الأعراف ١٣٣- القمر ٧
نسر	نوح ٢٣
الكلب	الأعراف ١٧٦- الكهف ١٨-٢٢ – المائدة ٤
خنزير / الخنازير	البقرة ١٧٣- المائدة ٣-٦٠- الأنعام ١٤٥- النحل ١١٥- الأعراف ١٦٦
الثعبان / الجان	الأعراف ١٠٧- الشعراء ٣٢ – النمل ١٠ – القصص ٣١
الذئب	يوسف ١٣-١٧
الفيل	الفيل ١
لحما طريا	النمل ١٤ – فاطر ١٢
المن والسلوى (السلوى طائر)	البقرة ٥٧- الأعراف ١٦٠ – طه ٨٠
اللؤلؤ والمرجان	الرحمن ٢٢ – ٥٨
قسورة (أسد)	المدثر ٥١
دابة / الدواب	البقرة ١٦٤ – الأنعام ٣٨ – هود ٦ – ٥٦- النحل ٤٩-٦١- النور ٤٥- النمل ٨٢ – العنكبوت ٦٠ – لقمان ١٠ – سبأ ١٤ – فاطر ٤٥ – الشورى ٢٩ – الجاثية ٤- الأنفال ٢٢-٥٥ الحج ١٨ – فاطر ٢٨
بعوضة	البقرة ٢٦
الذباب	الحج ٧٣

السبع	المائدة ٣
الجوارح	المائدة ٤
كل ذى ظفر	الأنعام ١٤٦
الفراش	القارعة ٤
الهدى	البقرة ١٩٦ – المائدة ٢-٩٧-٩٥- الفتح ٢٥
الغنم	الأنعام ١٤٦- الأنبياء ٧٨ – طه ١٨
نعجة	ص ٢٣-٢٤
البدن	الحج ٣٦
النحل	النحل ٦٨
الوحوش	التكوير ٥
الأنعام	آل عمران ١٤ – النساء ١١٩- المائدة ١ - الأنعام ١٣٦- ٣٨-١٣٩-١٤٢-الأعراف ١٧٩- يونس ٢٤ – النحل ٥- ٦٦- ٨٠- الحج ٢٨-٣٠-٣٤- المؤمنون ٢١- الفرقان ٤٤- الشعراء ١٣٣- فاطر٢٨- الزمر ٦- غافر ٧٩- الشورى ١١- الزخرف ١٢- محمد ١٢ – الفرقان ٤٩- يس ٧١- طه ٥٤- النازعات ٣٣- عبس ٣٢- السجدة ٢٧.

إنها ثروة ضخمة، وكنز لا يفنى لمن تدبر بعض الآيات البينات التى ذكرت فيها الحيوانات والطيور.. ففيها خير لا يحصى، وفيها آيات للناظرين والمتدبرين، وفيها عبر وعظات. ولها منزلة كمنزلة البنين والمال؛ فضائلها عميمة لمن أراد أن يحيا حياة سعيدة.. فانظر إلى قول الحق تبارك وتعالى عن :

الأنعام

قيل الأنعام كلها هى بهيمة الأنعام، وقيل التى توجد فى بطون الأنعام إذا ذبحت أو نحرت، والبهيمة كل ذات أربع قوائم من دواب البر والبحر ماعدا السباع، والآيات التى ذكرت فيها الأنعام هى:

﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾(آل عمران ١٤)

﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾(النساء ١١٩)

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾(المائدة ١)

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾(الأنعام ١٣٦)

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾(الأنعام ١٣٨)

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾(الأنعام ١٣٨)

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾(الأنعام ١٣٩)

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾(الأنعام ١٤٢)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾(الأعراف ١٧٩)

﴿ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾(يونس ٢٤)

﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ ﴾(النحل ٥)

﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗ ﴾(النحل ٦٦)

﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗ ﴾(المؤمنون ٢١)

﴿ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا ﴾(النحل ٨٠)

﴿ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ (الحج ٢٨)

﴿ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ (الحج ٣٠)

﴿ لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ ﴾ (الحج ٣٤)

﴿ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ (الفرقان ٤٤)

﴿ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴾ (الفرقان ٤٩)

﴿ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴾ (الشعراء ٣٣)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ (فاطر ٢٨)

﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ ﴾ (الزمر ٦)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ (غافر ٤٩)

﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ﴾ (الشورى ١١)

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ (الزخرف ١٢)

﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ (محمد ١٢)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ (يس ٧١)

﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ﴾ (طه ٥٤)

﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ (عبس ٣٢)

﴿ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ﴾ (السجدة ٢٧)

البدن:

ومفردها بدنة – ناقة أو بقرة تنحر بمكة قربانا

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ (الحج ٣٦)

النعجة :

الأنثى من الضأن (ج) نعاج ونعجات (ص ٢٣)

﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ (ص ٢٣)

﴿ وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ (ص ٢٣)

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ ﴾ (ص ٢٤)

﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾
(ص ٢٤)

الطير :

والآيات التى حملت كلمة "الطير" جاءت فى سور كثيرة كما نقرأ فى هذه الآيات:

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ (البقرة ٢٦٠)

﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ (آل عمران ٤٩)

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى ﴾ (المائدة ١١٠)

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ﴾ (يوسف ٣٦)

﴿ وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ﴾ (يوسف ٤١)

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ ﴾ (الأنبياء ٧٩)

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾
(الحج ٣١)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾ (النور ٤١)

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾
(النمل ١٦)

﴿ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ (النمل ١٧)

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ (النمل ٢٠)

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ (سبأ ١٠)

﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص ١٩)

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الواقعة ٢١)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ (الملك ١٩)

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران ٤٩)

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ﴾ (المائدة ١١٠)

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (الفيل ٣)

الجوارح :

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ (المائدة ٤)

الغراب :

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (المائدة ٣١)

﴿ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾ (المائدة ٣١)

المن والسلوى :

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ (البقرة ٥٧)

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ (الأعراف ١٦٠)

﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ (طه ٨٠)

الثعبان :

﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ (الأعراف ١٠٧)

﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ (الشعراء ٣٢)

﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾ (طه ٢٠)

﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ (النمل ١٠)

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ (القصص ٣١)

والثعبان : الذكر من الحيات.

والجان : جنس من الحيات معروف

﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾(سورة الرحمن ١٥)

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾(الرحمن)

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾(الرحمن ٣٩)

الذئب :

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ (يوسف ١٣)

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ (يوسف ١٤)

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ (يوسف ١٧)

الذباب :

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ (الحج ٧٣)

الجراد والقمل والضفادع :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ﴾ (الأعراف ١٣٣)

﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (القمر ٧)

الغنم:

اسم مؤنث موضوع للجنس يقع للذكور والإناث

﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ (الأنعام ١٤٦)

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ (الأنبياء ٧٨)

﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ﴾ (طه ١٨)

الإبل :

لا واحد لها من لفظها، وهى مؤنثة لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم.

﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ (الأنعام ١٤٤)

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (الغاشية ١٧)

النمل :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ (النمل ١٨)

النحل :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ (النحل ٦٨)

الهدهد :

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ (النمل ٢٠)

الحمار / حمر / حمير

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ (الجمعة ٥)

﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (البقرة ٢٥٩)

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ (المدثر ٥٠)

﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ (النحل ٨)

﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ (لقمان ١٩).

قسورة : والقسورة هى الأسد بلغة بعض قبائل العرب

﴿ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٌ مُّسۡتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةٍ ﴾ (المدثر ٥٠، ٥١)

السبع:

﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ (المائدة ٣)

الوحوش :

﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾ (التكوير ٥)

الجمل / جمالة

﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ۚ ﴾ (الأعراف ٤٠)

﴿ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٍ كَٱلۡقَصۡرِ ۝ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفۡرٌ ﴾ (المرسلات ٣٣، ٣٤)

بقرة / بقرات / البقر

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ (البقرة ٦٧)

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴾
(البقرة ٦٩)

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾
(البقرة ٦٨)

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ (البقرة ٧١)

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ (يوسف ٤٣)

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ (يوسف ٤٦)

﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ (الأنعام ١٤٦)

﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ (الأنعام ١٤٤)

كل ذى ظفر:

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ (الأنعام ١٤٦)

الفيل :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ (الفيل ١)

الناقة :

﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ (الأعراف ٧٣)

﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ (الأعراف ٧٧)

﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ (هود ٦٤)

﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾ (الإسراء ٥٩)

﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الشعراء ١٥٥)

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴾ (القمر ٢٧)

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ (الشمس ١٣)

الخيل/ العاديات:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ (آل عمران ١٤)

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾(الأنفال ٦٠)

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل ٨)

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ (الحشر ٦)

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ (الإسراء ٦٤)

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ (العاديات ١)

بعوضة:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (البقرة ٢٦)

قردة:

﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ (البقرة ٦٥)

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ (الأعراف ١٦٦)

﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ (المائدة ٦٠).

المراجع

القرآن الكريم

١- ابن منظور : لسان العرب – دار صادر – بيروت / لبنان د.ت أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى – السيد أحمد صقر : إعجاز القرآن – دار المعارف ١٩٥٤

٢- أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى – الإمام اللغوى (-٤٢٩هـ): كتاب فقه اللغة وسر العربية.

٣- أحمد محمد الحوفى : سماحة الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة ١٩٩٧.

٤- د. أحمد مختار عمر : اللغة واللون – دار المعارف – مصر ١٩٩٦

- اللغة واختلاف الجنسين – دار المعارف – ١٩٩٦
- العربية الصحيحة ١٩٨١

٥- د. إبراهيم مدكور : الشفاء لابن سينا – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦- الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد منير الاسكندرى: ملحق بالكشاف – الانتصاف .

٧- الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٧٣-٨٥٢) – فتح البارى بشرح صحيح البخارى المجلد ٤ – دار الريان للتراث – القاهرة د.ت.

٨- الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ -٢٤١) : مسند الإمام أحمد بن حنبل – المجلد ٣ – دار الكتب العلمية بيروت / لبنان د.ت .

- المسند شرح وفهرسة أحمد شاكر جزء أ (١٦٤ – ٣٤١) دار المعارف – القاهرة (١٣٩٢- ١٩٧٢)
٩- البيهقى : دلائل النبوة – مجلد ١ ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان د.ت
١٠- الجاحظ : المختار من كتاب الحيوان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة ١٩٩٧ – الحيوان تحقيق د. عبد السلام هارون – الذخائر – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ٢٠٠٢ .
١١- الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ابن قتيبة – القاهرة ١٦٥٤
١٢- السيد أحمد صقر : تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة – القاهرة ١٩٥٤
١٣- الزمخشرى (-٥٣٨): أساس البلاغة تحقيق عبد الرحيم محمود ط١ – مطبعة أولاد أو رفاند (١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣م)
١٤- الفيروز أبادى : القاموس المحيط ط٢ : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده – مصر (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)
١٥- جلال الدين عبد الرحمن السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن ط٣ – البابى الحلبى ١٩٥١.
١٦- جيمس تريفل: هل نحن بلا نظير - ترجمة ليلى الموسوى- سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت – العدد ٣٢٣ يناير ٢٠٠٦.
١٧- د. خالد الزواوى : الماء (الذهب الأزرق فى الوطن العربى) – مجموعة النيل العربية – القاهرة ٢٠٠٤.
- إكساب وتنمية اللغة – مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع – الإسكندرية ٢٠٠٥.

- اللغـة العربيـة – مؤسسـة حـورس الدوليـة للنشـر والتوزيـع - الإسكندرية ٢٠٠٣
- مشـاهد أبكتنـي – دار الوفـاء لدنيا الطباعـة والنشر – الإسـكندرية ٢٠٠٢
١٨ - د. زين الخويسكى : معجم الألوان فى اللغة والأدب والعلم ط١ – مكتبة لبنان – بيروت ١٩٩٢
١٩ - سيد قطـب : فـى ظـلال القـرآن – فـى ثمانيـة أجـزاء – دار إحيـاء التراث العربى / بيروت /لبنان ط٣ سنة ١٩٦١
٢٠ - د. شوقى ضيف : العصر الجـاهلى ط١٥ – دار المعـارف – مصـر ١٩٨٤.
٢١ - د. صالح أحمد العلى : ألوان الملابس العربية فى العهود الإسلامية الأولـى "فـى مجلـة المجمـع العلمـى العراقـى – المجلـد السـادس والعشرون – مطبعة المجمع العلمى العراقى – بغداد ١٩٧٥.
٢٢ - عباس محمود العقاد : مراجعات فـى الآداب والفنـون – دار الكتـاب العربى – بيروت ١٩٦٦.
٢٣ - عبد الـرزاق نوفـل : بـين يـدى الله ط١ – مكتبـة النهضـة المصـرية بالقاهرة – د.ت
٢٤ - د. عز الدين اسماعيل : الأدب وفنونـه ط ٤ – دار الفكـر العربـى – القاهرة ١٩٦٨ – الأسس الجماليـة فـى النقد الأدبـى ط١ – دار الفكـر العربى – القاهرة ١٩٥٥ .
٢٥ - عمر الدسوقى: النابغة الذبيانى ط٦ – دار الفكر العربى ١٩٧٥.
٢٦ - مجلة العربى الكويتية – العدد ٤١٧ نوفمبر ١٩٩٣
العدد ٤٢٣ فبراير ١٩٩٤

العدد ٥٤٠ نوفمبر ٢٠٠٢

٢٧- مجلة الكويت : العدد ٢٢٩ نوفمبر ٢٠٠٢

العدد ٢٣٢ فبراير ٢٠٠٣

العدد ٢٣٩ سبتمبر ٢٠٠٣

العدد ٢٤١ نوفمبر ٢٠٠٣

٢٨- محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٤ – دار المعارف – القاهرة ١٩٧٩.

٢٩- د. محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر- ط٢ – دار المعارف – مصر ١٩٧٨.

٣٠- محمد فؤاد عبد الباقى : المعجز المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار إحياء التراث العربى – لبنان – وكمل بمطبعة دار الكتب المصرية ١٦٤٥ .

٣١- مصطفى بدوى : مبادئ النقد الأدبى – المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٣.

٣٢- هوجو ماجنوس H. Magnus – التطور التاريخى لمعنى اللون سنة ١٨٧٧.

The historical Evolution for the meaning of colour

٣٣- ليو هرفتش : "إبصار الألوان – عيوبه ونقائصه" فى العلم والمجتمع – ترجمة د. عمر مكاوى – العدد ٤٤، مركز مطبوعات اليونسكو – القاهرة – سبتمبر / نوفمبر ١٩٨١.

كتب للمؤلف

- الصورة الفنية عند النابغة – الشركة المصرية العالمية – لونجمان – ١٩٩٢م
- تطور الصورة فى الشعر الجاهلى – ط١ – مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع – الإسكندرية ٢٠٠٠م.
- التعليم المعاصر (قضاياه الفنية والتربوية) – مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع – الإسكندرية ٢٠٠١م.
- مشاهد أبكتنى – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية ٢٠٠٢م.
- اللغة العربية – مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع – الإسكندرية ٢٠٠٣م.
- الجودة الشاملة فى التعليم (وأسوان العمل فى الوطن العربى) – مجموعة النيل العربية – القاهرة ٢٠٠٣ م
- البطالة فى الوطن العربى (المشكلة والحل) – مجموعة النيل العربية – القاهرة ٢٠٠٤ م.
- الذهب الأزرق فى الوطن العربى (الماء) – مجموعة النيل العربية – القاهرة ٢٠٠٤م.
- سماحة الأديان والسلام العالمى – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية ٢٠٠٤م.
- إكساب وتنمية اللغة – مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع – الإسكندرية ٢٠٠٥م.
- تطور الصورة فى الشعر الجاهلى – طبعة ثانية – مؤسسة حورس الدولية للنشر التوزيع – الاسكندرية ٢٠٠٥م.

- الشـباب والفـراغ ... ومسـتقبل البحـث العلمـى – مؤسسـة حـورس الدولية للنشر والتوزيع – الإسكندرية ٢٠٠٦م.

كتب تحت الطبع

زمن بلا أوراق

الحوارات الإلهية

المحتويات